

خامس الخلفاء الراشدين

الإمام الحسن بن علي

للأستاذ

حسن كامل الملطاوي



لجنة التعريف بالإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى ، وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) .

قرآن كريم

« إنّ ابنى هذا سيدٌ ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

حديث شريف رواه البخارى

مقدمة

الى سيدى أمير المؤمنين أبى محمد الحسن السبط رضى الله عنه :

أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو . وأصلى وأسلم على مولانا رسول الله جدك المصطفى الذى سماك من ابتكاره حسنا . ولم يكن ذلك الاسم الجميل معروفا من قبل . كما نسبك اليه بالبنوة ، وان كنت من صلب أبيك الامام على . ولقبك بالسيد . فنلت بذلك كله شرفا لم ينله معك الا أخوك الامام الحسين ، صلوات الله وسلامه على سيدى رسول الله وآله وصحبه وأزواجه . ورضوان الله على من اقتفى أثره الى يوم الدين وبعد .

فقد وصفك الواصفون . فقالوا انك كنت أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم . ونشأت عفا كريما . حليما ، عليما . خطيبا . فارسا . عابدا . زاهدا . راشد الرأى . ولقد صورك للناس أخوك الامام الحسين رضى الله عنه . حين قال فى تأبينك مع حزنه عليك ، ووحشته بفراقك :

« رحمك الله أبا محمد . ان كنت لناصرا للحق . وتؤثر الله عندمداحض الباطل . فى مكان التقية بحسن الروية ، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين حاذره . وتقبض عليها بيد ظاهرة . وتردع ما يريده أعداؤك بأيسر المؤنة عليك . وأنت ابن سلالة النبوة . ورضيع لبان الحكمة . فالى روح وريحان وجنة نعيم . أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه . ووهب لنا ولكم السلوةوحسن الأساء عليه » .

فأى شرف أحاط بك ياسيدى السبط . فى محتدك ، وفى اسمك، وفى رسمك ، وفى خصالك . وقديما قالوا :

ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

سيدى السبط الكريم :

كان من بركات أخيك الامام الحسين ، أن دفعنى الى الكتابة عنك ، فما كاد القراء يطلعون على كتابى « الامام الحسين بن على » الذى نشره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى ١٥ من شوال ١٣٨٥ (الموافق ٥ فبراير ١٩٦٦) . حتى ألحوا على فى الكتابة عنك ، وها أنا دا ألبى رغبتهم سعيدا بك كما سعدت به ، فسلام الله عليكما وعلى سائر سادتى آل البيت ورحمته وبركاته . ولكما منى الاكبار والاعجاب ، ما أكبر الحق وانصف أهله المنصفون .

سيدى السبط الكريم :

لقد وقفت على تاريخك العاطر ، فرأيت أن العناية الربانية قد هيأتك لأن تكون اماما كاملا . فوعيت فى طفولتك الباكرة أحاديث عن جدك صلى الله عليه وسلم . أخذها عنك الرواة ، مع أنك لم تعاشره أكثر من سبعة أعوام ونصف .

ورأيتك ملازما لأبيك . تغرف من بحره الزاخر وترتوى . ويمدك بمكنون اللآلىء والدرر . وهو الذى تربى من صباه فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخذ عنه الكتاب والحكمة ، فامتلأ علما ونورا . وقال فى ثقة بالله : أيها الناس سلونى قبل أن تفقدونى ، فوالله ما من آية فى كتاب الله نزلت الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل .

ورأيتك معلما للناس وللناشئة من أهل بيتك ، مما علمك الله . فكنت منهم الامام ، وكانوا هم الأئمة من بعدك .

ورأيتك عابدا ، ذا همة خارقة فى عبادتك ، حتى كأنك قطعت الدنيا الى الآخرة ، وعاينت الغيب ، فرأيت أن الأمر جد لا هزل فيه ، فشد ذلك من عزمك ، حتى حججت بيت الله عشرين مرة ماشيا على قدميك وابلك تقاد بين يديك ، وتقول تواضعا لله ، انى أستحى أن أذهب الى بيت الله الحرام راكبا ، فما أعظم الهيبة ، وما أكبر الهمة .

ورأيتك وفيا بوالديك وأهلك وصحبك وصحب أبويك . متأثرا بقول جدك المصطفى صلى الله عليه وسلم : حسن العهد من الايمان .

ورأيتك حسن العشرة لأزواجك على كثرتهن . وهن ضرائر . وهو ما رغب الناس فى مصاهرتك مع كثرة طلاقك . حتى انه حين أمر أبوك مناديه أن ينادى فى الناس الا يزوجوك لأنك رجل مطلاق . كانوا يقولون للمنادى : نزوجه فان شاء أمسك وان شاء سرح .

وقد انتقد كثرة زواجك بعض الجهال . وما درى أنه لا بهمة مع الحلال . وما درى أن زمانكم عبر زماننا . ومعاييركم غير معاييرنا . فقد كان تعدد الزواج فى أيامكم مستحسنا . لتقوية العصبيات . والاكثار من الذرارى المقاتلين . ولئن كان التعدد مستحبا لغيركم فقد كان فيكم أهل البيت أكثر استحبابا . لأن سلالة النبى صلى الله عليه وسلم أمان ورحمة لأهل الأرض . كيف لا وهم الطاهرون المطهرون . الذين يبثون الهدى بين الناس بالقول والعمل والحال .

ورأيتك تحل الطيبات . وزينة الله التى أخرج لعباده . لتظهر للناس نعمة الله عليك وعليك منهم . حتى انك كنت تلبس برنس الخز وتسجونه (بالطو) من جلود الثعالب . وتركب الخيل المسومه .

ورأيتك مواسيا المنكوب فى ساعة العسرة . وان تباعد عنه أحبابه . فقد خرجت مع أبيك ومع أخيك . تودع الصحابى الجليل . أبا ذر رضى الله عنه . وهو خارج الى الربذه مما أثر فى نفسه فخاطبكم قائلا رحمكم الله أهل بيت النبوه . مالى بالمدينه سكن ولا شجن غيركم . اذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورأيتك سخيا . تعطى بسؤال وبغير سؤال . ورآك قبلى أبوك فى سخائك وجودك فوصفك قائلا : صاحب جفنه وخوان . فتى من فتيان قريش .

ورأيتك حلو الحديث . عف اللسان . لا تصدر عنك الكلمات النابية . كما كنت تأخذ أمورك بالروية فلا يذهب عنك الرشد بغضب أو تسرع فى كل

ذلك فى هيبة ووقار يحسب حسابهما صاحب السلطان فى عرشه ، حتى لقد قال معاوية : والله ما رأيته جالسا عندى الا خفت مقامه .

ورأيتك واصلا لسيداتنا أمهات المؤمنين ؛ رضى الله عنهن ، تزورهن كل يوم ، وتبرهن وتهدى اليهن ، فملأت عليهن بعض الفراغ الكبير الذى خلفه جدك صلى الله عليه وسلم حين اختار الله له الرفيق الأعلا .

ورأيتك حليما . حلما شاد به خصومك ؛ حتى لقد قال مروان ، وهو ممن جرعكم الغيظ ؛ ان حلمه كان يوزن بالجبال .

ورأيتك جادا فى مواقف الجد ؛ فاذا رأيت ما يمس كرامتك ، زأرت فى وجه خصمك زئير الأسود . لا ترهبك سطوته ، ولا يصدك سلطانه .

ورأيتك تثبت عند رأيك ، اذا اطمأنت اليه نفسك ، وهى نفس طاهرة، فكنت تعتد به وتعتز ؛ وتقف حياله مدافعا ، حتى مع أبيك الذى تحبه ، وأخيك الذى تعزه .

ورأيتك خفت الله فى دماء المسلمين ؛ فلم ترد أن تلى أمر أمة محمد وتراق فى سبيل ذلك محجمة دم ، كما قلت حين تنازلت عن الخلافة لمعاوية، على الرغم من معارضيك فى ذلك من أهلك وأنصارك المخلصين .

ورأيتك ملكت الدنيا وزهدت فيها ؛ فحققت ما قال به الصوفية الذين أخذوا عن أبيك المعرفة ، فقد قالوا : ليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك ، بل الزهد ان تتركها من قلبك وهى فى يدك ، وهو ما كان منك بفضل الله .

ورأيتك تدرأ الحدود بالشبهات ، حين شكوت الى أخيك الامام الحسين ، السم الذى سقيته غدرا ومت به فقال لك أخبرنى من سقاك ، فقلت لتقتله ، قال نعم ، فقلت ما أنا بمخبرك ، ان يكن صاحبى الذى أظن، فالله أشد نقمة ، والا فما أحب أن يقتل بى برىء ، فكنت رجل السلام مرة أخرى فى موطن تغلى فيه الصدور حقدا وانتقاما من الأعداء ، فما أعظم الورع .

وليت الغيب انكشف لخصومكم ، فرأوا ماجر عليهم ، وعلى ذراريهم، وعلى الأمة الاسلامية ، الطمع فى ملك الدنيا ، فكانوا تركوا الحق لأهله ، ولم يردوا على الله يوم القيامة بأوزارهم ، حين تأتونه أنتم خفافا ، لكم لا عليكم .

وقد يظن البعض ، انك خالفت سياسة أبيك ، فجنحت للسلم وحارب أبوك ، ولو دقق الباحث ، لرأى أن أباك كان رجل السلام . وقد كان ينشده ويحاوله ما وسعه الجهد ، حتى مع الخوارج الذين ضلوا السبيل ، فما قاتل كرم الله وجهه خصومه . الا بعد أن بصرهم ونصح لهم وأقنعهم ،ولكن الأهواء صمت آذانهم عن سماع الحق ، فلم يجد بدا من حربهم ، استعمالا لحقه ، وصيانة لسلطانه ، ولو أنه كان أراق دماءهم قطرة قطرة ،واستأصل شأفتهم ، ما كان آثما ، وقد أعذر من أنذر .

وكذلك كان أخوك الامام الحسين ، رجل سلام ، ولكن خصومه أكرهوه على القتال دفاعا عن نفسه . وشرف دينه ، وكرامة أمته ، والتاريخ خير شاهد .

وانك حين سالمت معاوية ، لم تخالف أباك ، ولم تقصد الى مخالفته ، بل اجتهدت رأيك فى ظرف غير ظرفه ، فقد بان لك غدر أصحابك بيقين ، حين اعتدوا عليك وطعنوك ، ونهبوا عسكرك ، فكيف كنت تقبل أن تكون مأمورا وأنت الأمير ، أو أن تكون تابعا وأنت المتبوع . واذا كان ابن عمك عبيد الله بن عباس ترك لواءك . وانحاز لمعاوية ليلا حيث اشترى منه ذمته بالمال ، فقد كان الشراء من غيره أهون على معاوية وأرخص . وما أصدق أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه حين قال : ان فتنة الدنيا طغت على النفوس طغيانها الذى لا تجدى فيه الحيلة أو المحاولة .

ولقد كان أبوك فى حربه بعد المسالمة مجتهدا ، وكنت أنت فى سلمك بعد الاستعداد للقتال مجتهدا ، وكان أخوك فى قتاله مكرها مجتهدا ، ذلك بأن مواقفكم كلها خلت من الأهواء النفسية والأغراض الدنيوية ، وكنتم تريدون خير الأمة ، وحفظ الدين الذى قام فى بيتكم ، فكان قيامه رحمة للعالمين .

وعلى ضدكم . كان خصومكم ، وانى أقيم الشهادة لله ، فقد تلبسوا بهوى النفوس . فجانبوا الحق . وحادوا عن الصراط المستقيم . ولئن كانت حرمة الصحابة واجبة على كل مسلم . فحرمة آل البيت أوجب ، خاصة وأن الحق كان على الدوام فى جانبهم كما كانوا هم على الدوام فى جانب الحق، لا شبهة فى ذلك . وتوضيح الواضحات من المشكلات كما يقولون .

فاذا كانت قريش قد حاجت العرب والأمصار بالنبوة ، فبنو هاشم كانوا أولى من بنى أمية بالخلافة . لا بالقرابة فحسب . ولكن بالسبق فى الاسلام ، والسبق فى الجهاد . دلك الى العلم والورع ، وهو أمر لايسبقهم فيه سابق . ولا يلحقهم لاحق . باعتراف بنى أمية أنفسهم ، ولم ينل أمير المؤمنين عثمان الخلافة على أنه أموى . بل نالها بسبقه وجهاده وسخائه . وهى سجايا شخصية له ميزته عن قومه من بنى أمية ، وحين كان عثمان فى السابقين الأولين . وفى المهاجرين الهجرتين ، كان معاوية وأبوه من ألد أعداء الاسلام .

واذا كان المهاجرون والانصار وأهل بدر ، قد بايعوا الامام على بالخلافة فى المدينة . فقد كان معاوية فى دمشق ملزما بهذه البيعة. لأن هؤلاء هم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، والتزم معاوية ببيعتهم . فما باله لم يلتزم ببيعتهم هذه المرة . وما بال عمرو بن العاص يشاركه الخطيئه فى الخصومة التى قامت على الطلب بدم عثمان ، وكان عمرو من المحرضين على عثمان حتى قال : كنت القى الراعى فأحرضه على عثمان ، وحين علم بقتل عثمان فرح وقال : انا أبو عبد الله ما نكأت قرحة الا أدمينها ، كما كان عمرو أول من أشار على عثمان باعتزال الخلافة ، وثار فى وجهه وقاطعه على ملأ من الناس وقال له ، اتق الله يا عثمان فقد ركبت أمورا وركبناها معك ، فما تباكى عمرو على عثمان .

واذا كنا مطالبين بحفظ حرمة الصحابة ، فمعاوية وأعوانه من الصحابة، مطالبون بكف النفس عن الهوى قبل غيرهم من الأجيال التى تليهم ، حتى لقد قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حين نزل قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) ما كنت أحسب أن أحدا من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية ، ويقول العارفون تعقيبا على قوله ذلك : فكان ابن مسعود فى هذا المقام فانيا عن الدنيا .

واذا كان خصومكم قد اتخذوا دم عثمان ، رضى الله عنه ، تكأة لهم فى موقفهم من أبيك كرم الله وجهه ، فماذا صنعوا هم لقتلة عثمان حين صار لهم الملك والسلطان ، وما بالهم لم يقتصوا من الثوار . وما بالهم غنموا ملك الدنيا ، وأرضوا ورثة عثمان بالفتات ، وببعض كلمات .

لقد خاصم أباك طلحة والزبير . وعاونتهما أم المؤمنين عائشة ،رضوان الله عليهم ، ولكنهم رجعوا الى الحق بعد أن تبين لهم . فانسحب الزبير عن المعركة . وجدد البيعة لأبيك طلحة وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وطلبت سيدتنا عائشة من أبيك المنتصر فى واقعة الجمل العفو فعفا ، ودعت له بالمغفرة ، وتردد بعد ذلك عبد الله بن الزبير على مجلس أخيك الحسين ، يسمع منه ، ويأخذ عنه ، وكأن لم تكن بينكم وبينهم خصومة . ولا قتال سابق .

أما معاوية ، فأبى من دونهم الا كيدا ونفورا . وأعلنها حربا شعواء ، صلى المسلمون بنارها ، فى صفين حتى كان التحكيم ، وقصة التحكيم ، كانت أخزى . علم الله ، من قصة الحرب . فاتفق أبو موسى مع عمرو على شيء ، وأعلنه أبو موسى فى براءة ، ونكث عمرو فى خديعة . فخلع عليا كما خلعه أبو موسى ، ولم يخلع معاوية ، كما كان الاتفاق . بل ثبت معاوية بغير حق من كتاب أو سنة .

ولم يكن معاوية طالب خلافة ، ولو أنه حرص على قيام الخلافة لرأى أن باك كان أحق بها وأهلها لكنه كان يهدف الى ملك الأكاسرة والقياصرة وكان المجتمع قد فتن بزخرف الدنيا . ولعب الأموال والمناصب بأفئدة الناس وحين رأى الملك قد استوثق له ، ورثه لابنه يزيد من بعده . فخرج عن مبدأ الشورى ، وهو من أقدس حقوق الأمة ، كما خرج عما شرطته أنت عليه فى شروط الصلح . أما مستشاره عمرو فقد ورثه معاوية مصر وخراجها. كما شرط عليه عمرو حين وقف الى جواره يؤازره .

فكيف باﷲ أجارى من يقول ان معاوية كان مجتهدا ، وهل كان مجتهدا حين أمر ولاته أن يسبوا أباك وأهلك على المنابر علانية على مسمع من الناس وأنتم الذين خلدكم بفضلكم كتاب الله الكريم .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا . وقد قتل حجر بن عدى بلا ذنب . وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المجاهدين فى الفتوحات الاسلامية ، كما قتل أصحاب حجر ، وكان معاوية يندم على قتل حجر ويقول : ما قتلت أحدا الا علمت فيم قتلته الا حجرا ، فانى لا أعلم فيم قتلته ، وقد خالف معاوية فى قتل ذلك الصحابى ربه ، كما خالف ما شرطته أنت عليه فى الصلح من تأمين أصحابك وأصحاب أبيك .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد ألحق معاوية زيادا بأبى سفيان ، وكان لزياد أب معلوم هو عبيد ، والله تعالى يقول : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد أخذ البيعة لابنه يزيد ، نابذا الشورى وراء ظهره مع اشتهار يزيد بفسقه وفجوره ، وكان أخوك الامام الحسين علما خفاقا على ظهر الأرض ، يتمنى الناس امامته ، ولم يكن معاوية يجهل أن استخلاف يزيد فيه خروج عن حدود الله ، وفيه خروج على شروط الصلح ، فقد عرض عليك معاوية أن يكون الأمر لك من بعده ، فأبيت أنت الا أن يكون الأمر شورى بين المسلمين .

ولقد أراد معاوية أن يؤسس ملكا خالدا على الزمن لبنى سفيان ، ولكن قدر الله أن يموت يزيد فى شبابه بعد اعوام أربعة من حكمه بل أقل ، ثم تحول الملك سريعا الى مروان وبنيه ، ولم يكن ذلك ليسر معاوية، خاصة وأن مروان عارضه معارضة شديدة فى بيعة يزيد وقال له : فأقم الأمر يا ابن أبى سفيان واهدأ من تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك فى قومك نظرا وان لهم على مناوأتك وزرا .

وما كان أقصر الملك فى بنى أمية بعد ذلك فقد انتزع العباسيون ملكهم الى غير رجعة بعد ستين سنة من مقتل الامام الحسين ، وبعد ان كان

عبد الله بن الزبير انتزع منهم الخلافة على أكثر بلاد الاسلام فى صدر دولتهم حتى قاتلوه وغلبوه وقتلوه .

وقد يسر أمرى فى دراسة موقف معاوية بعض أهله من الأمويين المنصفين ، فقد أبطل بدعة السب على المنابر ، أمير المؤمنين الأموى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فكان عمله هذا شهادة ضد معاوية فى باطله .

وحين تنازل معاوية الثانى بن يزيد عن الخلافة (التى بقى فيها أربعين يوما بعد موت أبيه) خطب خطبة زلزل بها دولة بنى أمية ومكن لخلافة عبد الله بن الزبير ، وقال معاوية الثانى فى تلك الخطبة يكشف عن معاويه الأول ويزيد :

« أيها الناس ، ان جدى معاوية ، نازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منه . لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على بن أبى طالب، وركب بكم ما تعلمون ، حتى أتته منيته ، فصار فى قبره رهينا بذنوبه ، وأسيرا بخطاياه ، ثم قلد أبى الأمر فكان غير أهل لذلك ، وركب هواه ، واخلفه الأمل . وقصر عنه الأجل ، وصار فى قبره رهينا بذنوبه ، وأسيرا بجرمه ، وان من أعظم الأمور علينا لسوء مصرعه وبئس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأباح الحرم ، وخرب الكعبة ، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم — فشأنكم أمركم » .

وتلك شهادة أخرى على معاوية الأول من حفيده ، فان طعنوا فى شهادتنا نحن الآخرين ، فتلك شهادة أهله الأولين .

أما عمرو بن العاص ، فقد عاون معاوية ، وعادى أهل البيت ، وشهد بنفسه على نفسه ، وهو يحتضر ، فندم على ما فرط منه ، فقد روى عنه ابن عباس رضى الله عنهما أنه حين احتضر قال : اللهم خذ منى حتى ترضى ، اللهم أمرت فعصينا ، ونهيت فركبنا ، فلا برىء فأعتذر ، ولا قوى فانتصر ، ولكن لا اله الا الله ، يقول ابن عباس فجعل يرددها حتى فاض .

وانى أقول بعد أن سردت كارها لمعاوية وعمرو تلك المساوىء كما نقلها ثقاة المؤرخين : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رءوف رحيم .

أيها السبط الكريم :

ان ما وقع لكم من الدنيا وأهلها ، يحير الألباب . لكننا أخذنا عنكم الرضا بالمقدور ، وان كان مرا . فذلك من علامات اليقين بالله . ولقد قال أخوك الامام الحسين : فاذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا .

كما أخذنا عنكم أن أفعال الله كلها حسنة ، وان خالفت هوانا ؛ لأن حكمة الله دقت فخفيت عن العقول . هذا فى باطن الأمر . أما فى ظاهره ،فقد علل تلسيذك وابن أخيك الامام على زين العابدين ما وقع لكم خير تعليل حين قال :

عتبت على الدنيا فقلت الى متى أكابدها بؤسه ليس ينجلى
أكل شريف من على نجاره حرام عليه العيش غير محلل
فقالت نعم يا ابن الحسين رميتكم بسهمى عناد منذ طلقنى على

فأشار الى ما كان قاله أبوك أمير المؤمنن على كرم الله وجهه وهو يخاطب الدنيا : اليك عنى يادنيا ، الى تعرضت . أم الى تشوقت ، هيهات غرى غيرى . لقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها .

أيها السبط الكريم :

لقد خفت الله فى دماء المسلمين ، فحفظت دماء خصومك . كما حفظت دماء أنصارك ، وصالحت معاوية ؛ وتنازلت له عن خلافة كانت فى يدك ببيعة شرعية ، فهل خافوا الله فى دمائك ، كلا والله بل خانوا وما خافوا . فأماتوك مسموما ؛ فما أبعد المدى بينك وبينهم ، حين حرصوا على دنيا سرعان ما زالت عنهم ، وحرصت أنت على أخرى تدوم ولا تزول .

أيها السبط الكريم :

كذلك حرصت ، وانت تلفظ أنفاسك الأخيرة . على السلام والوئام ، كعهدك دائما . فأوصيت أخاك الامام الحسين أن يدفنك الى جنب جدك المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فان أبوا فلا يقاتلهم . وليدفنك الى جنب أمك السيدة الزهراء ، فالى جنة الخلد ورضوان من الله أكبر .

وأشهد بالله أن المعتدين عليكم ، والسافكين دماءكم الزكية ، قد أسرفوا على أنفسهم . وجاوزوا الحد فى السرف ، فباعوا الدين بالدنيا واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ، ولقد صدق ابراهيم النجفى حين كان يقول: لو كنت قاتل الحسين ثم دخلت الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولئن كان ابن عباس رضى الله عنهما قال : أول ذل دخل على العرب موت الحسن . فقد قال زيد بن أرقم رضى الله عنه بعد ذلك عندما جىء برأس أخيك الامام الحسين الى اللعين ابن زياد : انتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ويستعمل شراركم .

سيدى السبط الكريم :

حقا لقد فقد المسلمون بفقدكما امامين كان كل منهما فى زمانه وحيد نسجه . وأحب أهل الأرض الى أهل السماء . وكفى بها خسارة يجل عنها العزاء . الا أن يأتينا من يقينكم ونوركم وبلاغتكم من مثل ما قاله أخوك الامام الحسين مواسيا اختك الطاهرة السيدة زينب رضى الله عنها حين رأى هلعها فى واقعة كربلاء المشئومة حيث قال لها :

ابى الله ، وتعزى بعزاء الله . واعلمى أن أهل الأرض يموتون . وأهل السماء لا يبقون . وأن كل شىء هالك الا وجه الله . أبى خير منى . وأمى خير منى . وأخى خير منى . ولى ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة .

سيدى السبط الكريم :

لئن عجز بيانى عن الوفاء بحقك فى هذا الكتيب . فلتغفر لسميك وتابعك عجزه ، ورحم الله أبوى فقد سميانى باسمك . فأسعدانى بذمة صارت لى منك ومن سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أهنأنى بها ،

كما أنى كذلك محب لسادتى آل البيت الكرام وأقول ما قال أستاذى العارف بالله الشيخ على عقل فى الهامه المشرق من كلام طويل .

ومهمــا ألام عــلى حبهــم فلست الفتى خائف اللائمــه
اذا مس نفسى فتــور المعــاصى بذكرهمــو أصــبحت هائمه
فيــا عاذرى ثــم يا عــاذلى ســواء رضــاك أو اللائســه
فقــل ماتشــاء وكن ما تشاء فانى أحــب بنى فاطمــــه

والسلام عليك ، أيها الخليفة الخامس ، فى الخلفــاء الراشدين ؛ وفى أمراء المؤمنين ، والتحيات الطيبات لك فى عليين ؛ ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد .

والى كل محب لسادتى آل البيت الكرام . وناصر للحق وأهله . اقدم الكتيب ، طامعا فى دعوة صالحة من كل قارىء وقارئة ، وراجيا أن ينفــع الله به ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

المؤلف

البـــاب الأول

تاريخه الشخصي

* نسبه
* جهاده
* علمـــه
* أسرته

نسبه الشريف رضى الله عنه :

هو أمير المؤمنين الامام أبو محمد الحسن السبط خامس الخلفاء الراشدين رضى الله عنه . وأبوه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين كرم الله وجهه . وأمه السيدة فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى سيدة نساء العالمين طرا .

قالت أم الفضل : يا رسول الله رأيت كأن عضوا من أعضائك فى بيتى، قال رأيت خيرا ، تلد فاطمة غلاما فترضعيه بلبن قثم، فولدت الحسن فأرضعته بلبن ابنها قثم .

(وأم الفضل هى السيدة لبابة بنت الحارث الهلالية، أول امرأة أسلمت بعد السيدة خديجة بمكة ، وهى زوج سيدنا العباس بن عبد المطلب ، يقال لها لبابة الكبرى . أخت السيدة ميمونة أم المؤمنين ، وخالة سيدنا خالد بن الوليد ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يزورها ، ويقيل عندها ، وكانت من المنجبات ، ولدت للعباس ستة رجال . أحدهم القثم) .

وقد شرفه جده المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كما شرف أخاه الامام أبا عبد الله الحسين السبط بأن نسبهما اليه بالبنوة ، وان كانا من صلب على كرم الله وجهه .

روى الترمذى من حديث أسامة بن زيد قال : طرقت النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الحاجة فقال : هذان ابناى وابنا ابنتى . اللهم انى أحبهما . فأحبهما وأحب من يحبهما .

لذلك يقال لكل من السبطين الحسين والحسين : يا ابن المصطفى . وكانا رضوان الله عليهما يعتزان بأبوته صلى الله عليه وسلم ويهتفان به فيقول كل منهما له صلى الله عليه وسلم « يا أبت » فاذا هتف الحسن بأبيه على قال له : يا أبا الحسين : واذا هتف الحسين بأبيه قال له : يا أبا الحسن . فلما انتقل جدهما صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلا كانا يقولان لأبيهما « ياأبت».

كما روى عنه صلى الله عليه وسلم من وجوه أنه قال فى الحسن والحسين : انهما سيدا شباب أهل الجنة . لذلك كانت أمهما تناديهما فتقول :

يا حسنان مرة ويا حسيناذ مرة أخرى ، من باب المزج التغليب ، رضى الله عنهم أجمعين .

الامام على كرم الله وجهه :

ولد الامام على فى الكعبة يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ٣٠ من عام الفيل ، وتوفى شهيدا قبل فجر ليلة الجمعة ٢١ من رمضان سنة ٤٠ هـ وهو ابن ثلاث وستين .

وفضائله كرم الله وجهه فى الاسلام أشهر من أن تذكر وكفاه شرفا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فى الناس وكانوا قد شكوا اليه عليا فقال : « أيها الناس لا تشكوا عليا ، فوالله انه لجيش فى ذات الله » .

وحين آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار قال له: « أنت أخى » وياله من شرف كبير .

وقد خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته فى المدينة حين خرج صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك ، فبكى كرم الله وجهه وقال يارسول الله تخلفنى على النساء والصبيان ، لأنه كان يشتاق للجهاد فى سبيل الله فيقاتل أعداء الله ، فطيب صلى الله عليه وسلم خاطره وقال له :

أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبى بعدى .

وفى خيبر قال صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فتطاول لها الصحابة ، حتى قال عمر رضى الله عنه ، ما أحببت الا مارة الا ذلك اليوم ، فقال صلى الله عليه وسلم : ادعوا لى عليا ، فأتاه وبه رمد ، فبصق فى عينيه ، ورفع الراية اليه ، ففتح الله عليه .

وروى أبو بكر الانبارى فى أماليه ، ان عليا عليه السلام جلس الى عمر فى المسجد ، وعنده ناس ، فلما قام عرض واحد بذكره ، ونسبه الى

التيه والعجب — فقال عمر : حق لمثله أن يتيه والله لولا سيفه ، لما قام عمود الاسلام ، وهو بعد أقضى الأمة وذو سابقتها وذو شرفها .

وقد كان عبد الله بن عباس تلميذا لامامنا على كرم الله وجهه ، وعرف ابن عباس بالتبحر فى العلم حتى وصف بأنه « حبر الأمة وترجمان القرآن »، ولما سئل ابن عباس : أين علمك من علم ابن عمك ، قال كنسبة قطـرة من المطر الى البحر المحيط .

وقد قال له عمر رضى الله عنه : لا ابقانى الله بأرض لست بها يا أبا الحسن ؛ كما قال : لولا على لهلك عمر .

وقد قال أبو عبيدة رضى الله عنه ، ارتجز الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه تسع كلمات قطع الأطماع عن الالتحاق بواحدة منهن ، ثلاث فى المناجاة وثلاث فى العلم وثلاث فى الأدب .

فأما التى فى المناجاة فهى قوله : كفانى عزا أن تكون لى ربا ، وكفى بى فخرا أن أكون لك عبدا . أنت لى كما أحب ، فوفقنى لما تحب .

وأما التى فى العلم فهى قوله : المرء مخبوء تحت لسانه ، فتـكلموا تعرفوا ، ما ضاع امرؤ عرف قدره .

وأما التى فى الأدب فهى قوله : أنعم على من شئت تكن أميره،واستغن عمن شئت تكن نظيره . واحتج الى من شئت تكن أسيره .

وروى أبو الفرج فى كتاب الأغانى أن ابن عباس سمع قصيدة لعمر بن أبى ربيعة مرة واحدة فحفظها وأعادها وما سمعها قط الا تلك المرة صفحا (أ ى مرورا) ثم أنشدها من آخرها الى أولها مقلوبة فقال له بعضهم مارأيت أذكى منك قط فقال لكننى ما رأيت قط أذكى من على بن أبى طالب عليه السلام .

ولا يفوتك أن الامام عليا كرم الله وجهه ، تربى من طفولته فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشملته بركاته من الصبا ، واستمع الى ما يقوله ابن أبى حديد فى شرح نهج البلاغة فى مناقب امامنا على كرم الله وجهه :

« اجتمع للامام على بن أبى طالب من صفات الكمال . ومحمود الشمائل والخلال ، وسناء الحسب . وباذخ الشرف . مع الفطرة النقية ، والنفس المرضية ، ما لم يتهيأ لغيره من أفذاذ الرجال .

« تحدر من أكرم المناسب ، وانتمى الى أطيب الأعراق . فأبوه . أبو طالب . عظيم المشيخة من قريش . وجده عبد المطلب ، أمير مكة . وسيد البطحاء ، ثم هو قبل ذلك من هامات بنى هاشم وأعيانهم ، وبنو هاشم كانوا ، كما وصفهم الجاحظ « ملح الأرض » وزينة الدنيا وحلى العالم . والسنام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولبات كل جوهر كريم ؛ وسر كل عنصر شريف ، والطينة البيضاء . والمغرس المبارك ، والنصاب الوثيق ؛ ومعدن الفهم . وينبوع العلم .

« واختص بقرابته القريبة من الرسول عليه الصلاة والسلام . فكان ابن عمه ، وزوج ابنته وأحب عترته اليه . كما كان كاتب وحيه . وأقرب الناس الى فصاحته وبلاغته . وأحفظهم لقوله . وجوامع كلمه » .

. « أسلم على يديه صبيا ، قبل أن يمس قلبه عقيدة سابقة . أو يخالط عقله شوب من شرك موروث . ولازمه فتيا يافعا . فى غدوه ورواحه . وسلمه وحربه ، حتى تخلق بأخلاقه ، واتسم بصفاته ، وفقه عنه الدين ؛ وثقف ما نزل به الروح الأمين ، فكان من أفقه أصحابه وأقضاهم وأحفظهم وأوعاهم ، وأدقهم فى الفتيا . وأقربهم الى الصواب . وحتى قال فيه عمر : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن » .

« وكانت حياته كلها مفعمة بالأحداث ، مليئة بجلائل الأمور ، فعلى عهد الرسول عليه السلام ، ناضل المشركين واليهود ، فكان فارس الحلبة ومسعر الميدان ، صليب النبع جميع الفؤاد.. وفى أيام خلافته كانت له أحداث أخرى ؛ لقى فيها ما لقى من تفرق الكلمة ، واختلاف الجماعة وانفصام العروة ؛ ما طوى أضالعه على الهم والأسى . ولاع قلبه بالحزن والشجن .

وفى كل ما لقى من أحداث وأمور . وما صادف من محن وخطوب ؛ بلى الناس وخبرهم ، وتفطن لمطاوى نفوسهم ؛ واستشف ما وراء مظاهرهم ، فكان العالم المجرب الحكيم ، والناقد الصيرفى الخبير .

« وكان لطيف الحس ، نقي الجوهر ، وضاء النفس . سليم الذوق . مستقيم الرأى ، حسن الطريقة ، سريع البديهة ، حاضر الخاطر ، حولا قلبا ، عارفا بمهمات الأمور اصدارا وايرادا .

بل كان كما وصفه الحسن البصرى : « سهما صائبا من مرامى الله على عدوه ، وربانى هذه الأمة ، وذا فضلها وسابقتها ، وذا قرابتها من رسول الله صلى عليه وسلم . لم يكن بالنئومة عن أمر الله ، ولا بالملومة فى دين الله، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه . ففاز منه برياض مونقة ، وأعلام مشرفة . ذلك على بن أبى طالب » .

هذا . وقد كان امامنا على كرم الله وجهه . أول هاشمى من أبوين هاشميين . فاجتمعت له صفات بنى هاشم التى اشتهروا بها مثل الشجاعة . والكرم . والوفاء ، والمروءة . والذكاء والعفة والترفع عن الدنايا ، ذلك الى القوة الجسدية التى ميزتهم واختص بها كثير من رجالاتهم . وأبرزهم امامنا على وأبناؤه . وخص الى جانب تلك الصفات بنفح الهى ، والهام قدسى . فتفجرت من قلبه عيون العلم والحكمة فى بلاغة رائعة . وبيان محكم ، وبعده العارفون امامهم الذى يأخذون عنه حتى قال سيد الصوفية فى القرن الثالث الامام أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه فى شأنه : لو لم تشغله الحروب لأفادنا فى علمنا هذا معانى جليلة ذاك امرؤ أعطى علم اللدنى .

وكان امامنا على كرم الله وجهه أصغر اخوته . وأكبر منه جعفر وعقيل وطالب . وبين كل منهم وأخيه عشر سنين . ولما أصاب القحط قريشا ، أهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعميه حمزة والعباس أن يخففوا عن أبى طالب عبأه . فأخذ صلى الله عليه وسلم عليا . وأخذ العباس طالبا ، وأخذ حمزة جعفرا .

ومن شعر امامنا على الذى يتحدث فيه بنعمة الله عليه قوله :

محمد النبى أخى وصهرى ... وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى ... يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى ... مشوب لحمها بدمى ولحمى

وسبطا أحمد ابناى منها فمن منكم له سهم كسهمى
سبقتكمو الى الاسلام طرا صغيرا ما بلغت أوان حلمى
وصليت الصلاة وكنت فردا فمن منكم له يوم كيومى

وقد ظل كرم الله وجهه حافظا لبنيانه المكين الذى كان له فى شبابه حتى ناهز الستين ، حتى انه كان يمسك بذراع الرجل فكأنه أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس ، واشتهر عنه أنه لم يصارع أحدا الا صرعه ، ولم يبارز أحدا الا قتله ، وقد يزحزح الحجر الضخم لا يزحزحه الا رجال ، ويحمل الباب الكبير فيعيى بقلبه الأشداء . وقد عجب الصحابة من أنه رفع باب الحصن فى خيبر بيد واحدة فشق على عشرات منهم أن يرفعوه جماعة. فكلموه فى ذلك فابتسم وقال : انما هو عون الله ومدده ؛ وكذلك كان يصيح الصيحة فتنخلع لها قلوب الشجعان .

ولقد قتل فى موقعة الخندق ، عمرو بن ود ، فارس شبه الجزيرة العربية ، الذى قدره أصحابه وأعداؤه بالف رجل ، فكانت أخت عمرو تواسى نفسها وتقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبدا ما دمت فى الأبد
لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وكان امامنا على فى واقعة الخندق فتى ناشئا ، فكانت شجاعته من أندر الشجاعات التى عرفها التاريخ ، وفى فتح مكة استجار رجلان بأخته أم هانىء فأجارتهما ، ودخل دارها أخوها على ليقتلهما ، فقالت له انى قد أجرتهما ، فهم بقتلهما لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أهدر دمهما ، فأمسكت بيده وهو قابض سيفه فلم يستطع أن يفك يده منها الا بعد أن أفلت منه الرجلان هاربين ، فذهبت تشكو أخاها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع شكواها امامنا على وهو يضحك ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا رسول الله لقد قبضت على يدى فلم أستطع منها فكاكا حتى أفلت الرجلان فقال صلى الله عليه وسلم مطيبا خاطرها ، قد أجرنا من أجرت بأم هانىء ، ثم قال لامامنا على : لا سبيل لك عليهما ، وعقب صلى الله عليه وسلم قائلا : لو ولد الناس كلهم أبو طالب لكانوا شجعانا .

السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها :

كانت السيدة فاطمة رضوان الله عليها أثيرة عند أبيها المصطفى صلى الله عليه وسلم . فكانت أحب بناته اليه ، ولقبت بالزهراء ، وولدت والكعبة تبنى ، والنبى صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين . وقد توفيت بعد أبيها بستة أشهر وقيل بثلاثة أشهر وكانت فى الثلاثين من عمرها ، وذلك ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدى عشرة من الهجرة .

وجاء فى الصحاح عن المسور بن مخرمة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول : « فاطمة بضعة منى ، يريبنى مارابها ويؤذينى ما آذاها » .

وعن على كرم الله وجهه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم لفاطمة ، « ان الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك » .

وحدث السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مرحبا بابنتى ، ثم أجلسها عن يمينه فأسر اليها حديثا فبكت ، ثم أسر اليها حديثا فضحكت ، فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن ، فسألتها عما قال ، فقالت ما كنت لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض سألتها ، فأخبرتنى أنه أسر الى فقال ان جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة . وانه عارضنى العام مرتين ، وما أراه الا وقد حضر أجلى . وانك أول أهلى لحوقا بى . ونعم السلف أنا لك فبكيت ، فقال ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين فضحكت .

أقول : و لايتعارض ذلك مع قول الملائكة لمريم عليها السلام (ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) . فان مريم عليها السلام كانت مصطفاة على نساء العالمين فى زمانها ، واما سيدتنا الزهراء فمصطفاة على نساء العالمين جميعهن ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وكان صلى الله عليه وسلم . اذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يأتى الى باب فاطمة بعد زواجها من الامام على . فيأخذ

بعضادتى الباب . ويقول السلام عليكم أهل البيت ، الصلاة ، الصلاة . انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا .

وكان صلى الله عليه وسلم . اذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد ، فصلى فيه ركعتين . ثم ثنى ببيت فاطمة رضى الله عنها . ثم يأتى بيوت نسائه .

وقد تزوج بها الامام على فى أول محرم سنة سنتين . وكان قد خطبها أبو بكر وعمر فلم يجبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : أنت لها يا على ، فقال مالى من شىء الا درعى أرهنها فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ، فلما بلغ ذلك فاطمة بكت . فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك تبكين يا فاطمة . فوالله لقد أنكحتك أكثرهم علما وأفضلهم حلما ، وأولهم سلما . وفى رواية أخرى قال لها زوجك الله ورسوله فطاب خاطرها لأن زواجها كان بوحى الله تعالى .

والى زواجها بوحى من الله . يشير العارف بالله سيدى الشيخ أحمد الحلوانى (والد شيخى العارف بالله سيدى عبد السلام الحلوانى) رضى الله عنهما . من قصيده طويلة وطريفه فى مدح آل البيت رضى الله عنهم فيقول :

أتى الوحى أن تجلى عروسالحيدر فيا شرفا أضحى به الكون مفترا
ليهن بنيه المجد نظم هكذا نبى الهدى فاطرب وحيدر والزهرا

أقول ، وقد كانت أم امامنا على — وهى السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف التى كفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قميصه رضى الله عنها . سمته حين وضعته حيدرة والحيدره هو الأسد ليكون اسمه مشابها لاسم أبيها ، فسماه أبوه « عليا » وبه اشتهر .

وقد حدث أم رافع عن وفاة السيدة فاطمة الزهراء فقال . مرضت فاطمة ، فلما كان اليوم الذى توفيت فيه قالت لى يا أمه . اسكبى لى غسلا . فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل . ثم لبست ثيابا لها جددا ، ثم قالت اجعلى فراشى وسط البيت . فاضطجعت عليه ، واستقبلت القبلة ، وقالت يا أمه انى مقبوضة الساعة ، وقد اغتسلت فلا يكشفن لى أحد كنفا فماتت ، فجاء على فأخبرته فاحتملها ودفنها بغسلها ذلك .

وقد حزن كرم الله وجهه لفقدها حزنا شديدا ، وقال فيما عزى به نفسه .

وان افتقادى فاطما بعد أحمد　　دليل على ألا يدوم خليل

ولا غرابة . فيما أكرمت به عند وفاتها ، فهى صفية رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهى أم الأئمة فى هذه الأمة ، وهى بنت أم المؤمنين السيدة خديجة التى أقرأها الله السلام ، والاسعاد اعطاء ؛ كما قال العارفون من العلماء .

وقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها ، أى الناس أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة . فقيل من الرجال ، قالت زوجها ، ان كان ما علمت صواما قواما .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خيم خيمة . وهو متكىء على قوس عربية ، وفى الخيمة على وفاطمة والحسن والحسين فقال : « معشر المسلمين ، انا سلم لمن سالم أهل الخيمة . حرب لمن حاربهم ، ولى لمن والاهم ، لا يحبهم الا سعيد الجد طيب المولد ، ولا يبغضهم الا شقى الجد ردىء الولاده » .

وفى هذه المناسبة . نهدى السادة القراء القصيدة التى جادت بها قريحة الشاعر المسلم العبقرى السيد محمد اقبال شاعر الباكستان العظيم ، فى السيده الزهراء وآلها وقد ترجمها من الفارسية الى العربية صديقى العلامه الشيخ الصاوى شعلان :

نسب المسيح بنى لمريم سيرة　　بقيت على طول المدى ذكراها
والمجد يشرق من ثلاث مطالع　　فى مهد فاطمة فما أعلاها
هى بنت من . هى زوج من . هى أم من　　منذا يدانى فى الفخار أباها
هى ومضة من نور عين المصطفى　　هادى الشعوب اذا تروم هداها
هو رحمة للعالمين وكعبة ال　　آمال فى الدنيا وفى أخراها
من أيقظ الفطر النيام بروحه　　وكأنه بعد البلى أحياها
وأعاد تاريخ الحياة جديدة　　مثل العرائس فى جديد حلاها
ولزوج فاطمة بسورة هل أتى　　تاج يفوق الشمس عند ضحاها

أسـد بحصن الله يرمى المشـكلا ت بصـيقل يمحو سـطور دجاها
ايـوانه كـوخ وكنـز ثـرائه سـيف غـدا بيمينـه تيـاها
فى روض فاطمـة نما غصـنان لم ينجبهمـا فى النيـرات سـواها
فأمير قافـلة الجهـاد وقطب دا ئرة الوئام والاتحـاد ابنـاها
حسن الذى صان الجماعة بعـدما أمسى تفـرقها يحـل عـراها
ترك الامامـة ثم أصبح فى الديا ر امـام ألفتهـا وحسـن عـلاها
وحسـين فى الابرار والأحـرار ما أزكى شـمائله وما أنداهـا
فتعلموا رى اليقـين من الحسـين اذا الحـوادث أظلمت بدجاهـا
وتعلـموا حـرية الايمـان من صبر الحسين وقد أجـاب نداهـا
الأمهات يلدن للشـمس الضـياء وللجـواهر حسـنها وصـفاها
ما سـيرة الابنـاء الا الامهـا ت فهم اذا بلغـوا الرقى صـداها

***

هى أسـوة للأمهـات وقـدوة يترسم القمـر المنيـر خطاهـا
لما شـكا المحتـاج خلف رحـابها رقت لتلك النفس فى شـكواها
جادت لتنقـذه برهن خمـارها يا سـحب أين نداك من جـدواها
نور تهـاب النـار قدس جـلاله ومنى الكواكب ان تنـال ضياها
جعلت من الصبر الجميل غـذاءها ورأت رضا الزوج الكريم رضاها

***

فمهـا يردد آى ربك بينمـا يدها تدير عـلى الشـعير رحاها
بلت وسـادتها لآلى دمعهـا من طـول خشيتها ومن تقـواها
جبريل نحو العرش يرفع دمعهـا كالطل يروى فى الجنـان رباهـا
لولا وقـوف عنـد أمر المصطفى وحـدود شرعتـه ونحن فـداها
لمضيت للتطواف حـول ضريحها وغمـرت بالقبـلات طيب ثراهـا

مولد الامام الحسن رضى الله عنه :

روى ابن ابى حديد بسنده فى شرح نهج البلاغة ، ان الامام الحسن عليه السلام ولد للنصف الأول من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجـرة ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسنا » .

وروى الامام أحمد بسنده عن على كرم الله وجهه ، قال لما ولدالحسن سميته « حربا » فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرونى ابنى ما سميتوه ؛ قال : قلت « حربا » قال بل هو « حسن » فلما ولد الحسين سميته حربا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرونى ابنى ماسميتوه قلت « حربا » قال : بل هو (حسين) فلما ولد الثالث سميته « حربا »فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرونى ابنى ما سميتوه ؛ قلت « حربا » قال بل هو (محسن) ثم قال سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر.

وروى ذلك الحديث ابن الاثير فى أسد الغابة فى ترجمة الحسين ، كما رواه الامام أحمد الا أسماء ولد هارون ، ثم قال وعن عمران بن سليمان قال الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة ، لم يكونا فى الجاهلية .

وقد جاء فى الحديث الشريف : « ان الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه، وجعل ذريتى فى صلب على » .

يوم سابعه رضى الله عنه :

عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام . والعقيقة ذبيحة تذبح ليطعم منها الفقراء شكرا لله تعالى الذى وهب المولود .

وروى جعفر بن محمد عليه السلام ، ان فاطمة عليها السلام حلقت حسنا وحسينا يوم سابعهما ، ووزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضه .

وكانت السيد ةالزهراء ترقص الحسن وتقول فى طرب :

أشبه أباك يا حسن واخلع عن الحق الرسن
واعبد الها ذا منن ولا توال ذا الاحن

شكله رضى الله عنه :

روى البخارى عن عقبة بن الحارث قال : صلى بنا أبو بكر العصر، ثم خرج ، فرأى الحسن بن على يلعب ، فأخذه فحمله على عنقه وهو يقول بأبى شبيه بالنبى ، ليس شبيها بعلى ، وعلى يضحك .

وفى الترمذى عن طريق الزهرى عن أنس قال : لم يكن أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن .

القابه رضى الله عنه :

يلقب رضى الله عنه بألقاب كثيرة وهى : التقى والطيب والزكى والولى والسبط والسيد ، وأمير المؤمنين ، وأشهرها السبط ، وأعلاها السيد ، فقد روى البخارى عن أبى بكرة رضى الله عنه رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن على معه وهو يقبل على الناس مرة . وعليه مرة ، ويقول: «ان ابنى هذا سيد . ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ، وكذلك السبط ، والسبط فى اللغة ولد الولد ، والأسباط فى بنى اسرائيل تقابل القبائل عند العرب ، فكأنه رضى الله عنه أمة وحده فى خصال الخير .

وقال صلى الله عليه وسلم فيه وفى أخيه الامام الحسين رضى الله عنهما وعن ذويهما : « انهما سيدا شباب أهل الجنة » .

كنيته رضى الله عنه :

يكنى رضى الله عنه بأبى محمد ، كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما جاء فى تهذيب الاسماء .

مكانته رضى الله عنه عند جده صلى الله عليه وآله :

روى البخارى عن أسامة . كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلسنى والحسن بن على فيقول : « اللهم انى أحبهما فأحبهما » وقد مر عليك ما رواه البخارى عندما لقبه رسول الله صلى الله عليم وسلم بالسيد .

وجاء فى كتاب الاصابة عن عبد الله بن الزبير ، أنا أحدثكم بأشبه أهله به وأحبهم اليه . الحسن بن على ، رأيته يجىء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره ، فما ينزل حتى يكون هو الذى ينزل ، ولقد رأيته يجىء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

وروى البخارى ومسلم بسندهما عن البراء أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن بن على على عاتقه يقول « اللهم أنى أحبه فأحبه » .

وروى الترمذى بسنده فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاملا الحسن بن على على عاتقه فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ونعم الراكب هو » .

والبنوة التى شرفه بها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد وقوله انما هما ابناى وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما ، أيدها القرآن الكريم فى آية المباهلة وهى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) .

فقد جاء صلى الله عليه وسلم بالحسن والحسين وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول لهم ان أنا دعوت فأمنــوا . وقد أبى أهل نجــران المباهلة خشية أن يصيبهم عذاب الله ورضوا بدفع الجزية « تفسير الامام القرطبى » .

وعند أحمد من طريق عبد الرحمن بن مسعود عن أبى هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه . وهذا على عاتقه . وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى الينا ، فقال : « من أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى » .

وروى الطبرانى عن جعفر بن محمد عن أبيه ، ان النبى صــلى الله عليه وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا . قال ولم يبايع صغيرا الا منا .

مكانة الامام الحسن عند أبيه رضى الله عنهما :

كان امامنا على كرم الله وجهه يعز الحسن والحسين معزة خاصــة ، لمكانهما من رســول الله صلى الله عليــه وسلم . حتى أنه كان يضن بهما فى الحرب خشية أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وســلم فى الأرض ، فكان يؤخرهما ويقول لاصحابه : املكوا عنى هذين لئلا يهدانى

لأنى أخشى أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله فى الأرض ، بينما كان يدفع الراية لأخيهما من أبيهمـا محمـد بن الحنفيـة ويقول له تقـدم ، وأراد الدساسون أن يستغلوا ذلك استغلالا سيئا فقالوا لمحمد لم يغرر بك أبوك فى الحرب ويؤخر الحسن والحسين فقال فى نفس زكية طاهرة ، وعقـل راشد راجح : انما هما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه .

وكان الامام على كرم الله وجهـه ، يفطر فى رمضان عند ابنـه الامام الحسن يوما وعند ابنه الامام الحسين يوما ، وعند ابن أخيه عبد الله بن جعفر يوما .

وكان أصحاب الامام على كـرم الله وجهـه يعلمون مكانة السبطين الكريمين عند أبيهما . فأهدى أحد أصحابه مرة لكل منهما هدية ، ولم يهد شيئا لأخيهما محمد بن الحنفية . فخشى أبوه أن يتأثر فى نفسه ،فوضع يده على عاتقه وقال مخاطبا له ومطيبا خاطره :

وما شر الثـلاثة أم عمرو بصـاحبك الذى لم تصبحينا

ففهم الرجل الاشارة ، وقدم هدية أخرى لأخيهما محمد بن الحنفية رضى الله عنهم أجمعين ، وقد كان محمد شديد القوى . حتى انه كان يلوى الحديد فلا يقيمه غيره ، ومن شابه أباه فما ظلم .

مكانته رضى الله عنه عند اجلاء الصحابه :

كان للسبطين الكريمين مكانتهما الخاصة عند أجلاء الصحابة لأنهم رضوان الله عليهم ، كانوا يحبون بحب رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ويبغضون ببغضه .

وقد مرعلى القـارىء العـزيز ان امامنا الصـديق رضى الله عنه كان يحمل الحسن على عاتقه ويقول بابى شبيه بالنبى ليس شبيها بعلى .

وقد فرض أمير المؤمنين عمـر للحسن والحسين عليهما السـلام مثل فريضة أهل بدر ، فقد روى ابن الجوزى : أدخل عمـر فى أهل بدر ممن لم يحضروا بدرا أربعة : الحسن والحسين وأبو ذر وسلمان ففرض لكل واحد خمسة آلاف .

وقال أمير المؤمنين عمر لقومه من بنى عدي : والله ما أدركنا الفضل فى الدنيا الا بمحمد ولا نرجو ما نرجو من الآخرة وثوابها الا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فهو شرفنا ، وقومه أشرف العرب ، ثم الأقرب فالأقرب .

مقام الامام الحسن رضى الله عنه فى أهل البيت

كان الامام الحسن رضى الله عنه عميد أهل البيت بعد أبيه ، وقد اختلف العلماء فى تعريف أهل البيت اختلافا كبيرا كما يستدل من المراجع الواسعة ، وللامام الجلال السيوطى بحث مستفيض فى أهل البيت أورده فضيلة صديقى الصالح العلامة الشيخ أحمد فهمى فى رسالته المباركة عن السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنهما .

وانى أنقل منه فى ايجاز ما يأتى :

١ ـ اخرج مسلم والنسائى عن زيد بن أرقم قال : قام صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال اذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا ، فقيل لزيد بن أرقم : ومن أهل بيته ؟ قال : أهل بيته ، من حرم عليهم الصدقة بعده ، قيل ومن هم ، قال آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس .

٢ ـ ان أولاد بنات الانسان لا ينسبون اليه ، وان كانوا معدودين فى ذريته ، حتى لو أوصى لأولاد أولاد فلان يدخل فيه ولد البنت .

٣ ـ ان أولاد البنات لا يشاركون أولاد الحسن والحسين عليهم السلام فى انهم ينسبون الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد فرق الفقهاء بين من يسمى ولدا للرجل وبين من ينسب اليه ، ولهذا قالوا لو قال :وقفت على أولادى دخل ولد البنت ، ولو قال ، وقفت على من ينسب الى من أولادى لم يدخل ولد البنت .

وقد ذكر الفقهاء من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه ينسب اليه أولاد بناته ، ولم يذكروا ذلك فى أولاد بنات بناته ، فالخصوصية للطبقة العليا فقط ، فأولاد فاطمة عليها السلام الأربعة ينسبون اليه صلى الله عليه وسلم .

وأولاد الحسن والحسين ينسبون اليهما ـــ فينسبون اليه صلى الله عليه وسلم ـــ أما أولاد زينب وأم كلثوم فينسبون الى أبيهم عبد الله بن جعفر وعمر بن الخطاب ، لا الى الأم ولا الى النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنهم أولاد بنت بنته لا أولاد بنته ، وانما خرج أولاد فاطمة وحدها للخصوصية التى ورد الحديث بها ، وهو مقصور على ذرية الحسن والحسين •

فقد أخرج الحاكم فى المستدرك عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل بنى أم عصبة الا ابنى فاطمة أنا وليهما وعصبتهما » فانظر الى لفظ الحديث ، كيف خص الانتساب والتعصيب بالحسن والحسين دون اختيهما ، لأن أولاد اختيهما انما ينسبون الى آبائهم •

ولهذا جرى السلف والخلف على أن ابن الشريفة لا يكون شريفا ، ولو كانت الخصوصية عامة فى أولاد بناته وان نزلن ، لكان ابن كل شريفة شريفا تحرم عليه الصدقة وان لم يكن أبوه كذلك كما هو معلوم •

ولهذا حكم صلى الله عليه وسلم لابنى فاطمة دون غيرها من بناته ، لأن اختها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم تعقب ذكرا ، حتى يكون كالحسن والحسين فى ذلك ، وانما اعقبت بنتا هى امامة بنت أبى العاصى بن الربيع ، فلم يحكم لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم مع وجودها فى زمنه ، فدل على أن أولادها لا ينسبون اليه لأنها بنت بنته ، واما هى فكانت تنسب اليه بناء على أن أولاد بناته ينسبون اليه ، ولو كان لزينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد ذكر لكان حكمه حكم الحسن والحسين فى أن ولده ينسبون اليه صلى الله عليه وسلم •

٤ ـــ وشرف ذرية السبطين عام ، لا فرق فيه بين أولاد ذكورهما ؛ وأولاد اناثهما ، لأبوة النبى صلى الله عليه وسلم ، كتابا وسنة واجماعا ، واليك ما وقع بين الحجاج والشعبى :

فى مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول ، لمحمد بن طلحة ، قال ، قد نقل ان الشعبى كان يميل الى آل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان

لا يذكرهم الا وهو يقول : هم أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته .

فنقل عنه ذلك الى الحجاج بن يوسف ، وتكرر ذلك عنه ، وكثر نقله عنه ، فأغضبه ذلك من الشعبى ، ونقم عليه ، فاستدعاه الحجاج يوما ، وقد اجتمع لديه أعيان المصرين ، الكوفة والبصرة ، وعلماؤهما وقراؤهما ، فلما دخل الشعبى لم يهش له ، ولا وفاه حقه من الرد عليه ، فلما جلس قال له يا شعبى . ما أمر بلغنى عنك . فبشهد عليك بجهلك ، قال ما هو يا أمير ؟

قال ، ألم تعلم ، أن أبناء الرجل ، هل ينسبون الا اليه ، والأنساب لاتكون الا بالآباء ، فما بالك تقول عن أبناء على انهم أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته . وهل لهم اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم الا بأمهم فاطمة ، والنسب لا يكون بالبنات ، وانما يكون بالأبناء .

فأطرق الشعبى ساعة . حتى بالغ الحجاج فى الانكار عليه ، ووقع انكاره فى مسامعه ، والشعبى ساكت .

فقال . يا أمير ، ما أراك تكلمنا الا بكلام من يجهل كلام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، أو يعرض عنهما .

فازداد الحجاج غضبا ، وقال ألمثلى تقول هذا ، ياويلك ، قال نعم ، هؤلاء هم قراء المصرين ، حملة الكتاب العزيز .

أليس قد قال الله تعالى « يابنى آدم . يابنى اسرائيل ، وعن ابراهيم ، ومن ذريته عيسى .

وهل كان اتصال عيسى بالثلاثة الا بأمه . وقد صح النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا ابنى سيد شباب أهل الجنة .

فخجل الحجاج ، وعاد يتلطف الشعبى .

هذا وقد تعرض ابن أبى حديد ، عند شرحه لقول امامنا على كرم الله وجهه فى آل البيت « وكيف يتاه بكم . وكيف تعمهون . وفيكم عترة نبيكم . وهم أئمة الحق ، وأعلام الدين وألسنة الصدق ، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ، وردوهم ورود الهيم العطاش » .

الى أن قال كرم الله وجهه مشيرا الى فضله على رعيته :

« قد ركزت فيكم راية الايمان ، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام ، وألبستكم العافية من عدلى ، وفرشتكم المعروف من قولى وفعلى ، وأريتكم كرائم الاخلاق فى نفسى » .

قال ابن أبى حديد فى شرحه : وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله الأدنون ونسله ، وليس بصحيح من قال انهم رهطه وان بعدوا ، وانما قال أبو بكر يوم السقيفة أو بعده نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيضته التى فقئت عنه ، على طريق المجاز ، لأنهم بالنسبة الى الأمصار عترة لا فى الحقيقة ، فأراد أبو بكر أنهم عترة أجداده على طريق حذف المضاف .

ثم استطرد ابن أبى حديد قائلا : وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عترته من هى لما قال : انى تارك فيكم الثقلين ، فقال عترتى أهل بيتى ، وبين فى مقام آخر من أهل بيته حيث طرح عليهم كساء ، وقال حين نزلت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) ، اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب الرجس عنهم .

فان قلت فمن هى العترة التى عناها أمير المؤمنين بكلامه ، قلت نفسه وولداه ، والأصل فى الحقيقة نفسه لأن ولديه تابعان له . ونسبتهما اليه مع وجوده ، كنسبه الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة ، وقد نبه النبى صلى الله عليه وسلم وآله على ذلك بقوله : وأبوكما خير منكما .

وهذا الذى يقوله ابن أبى حديد ، يذكرنا ما قاله الأعور الشنى فى صفين للامام على وكان من أنصاره الصادقين ، فقد جاء فى شرح نهج البلاغة أنه قال : زاد الله يا أمير المؤمنين فى سرورك وهداك ، نظرت بنور الله فقدمت رجالا وأخرت رجالا ، عليك أن تقول ، وعلينا أن نفعل ، أنت الامام ، فان هلكت فهذان من بعدك — يعنى حسنا وحسينا عليهما السلام — وقد قلت فى ذلك شعرا :

أبا حسن أنت شمس النهار   وهذان فى الحادثات القمر
وأنت وهذان حتى الممات   بمنزلة السمع بعد البصر
وأنتم أناس لكم سورة   تقصر عنها أكف البشر
يخبرنا الناس عن فضلكم   وفضلكم اليوم فوق الخبر

فضل اهل البيت ووجوب محبتهم :

أخرج البخارى فى تاريخه عن الحسن بن على عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل شىء أساس ، وأساس الاسلام حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحب أهل بيته » .

وأخرج البخارى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه : ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته .

وأخرج الترمذى وحسنه والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبونى لحب الله ، وأحبوا أهل بيتى لحبى .

وأخرج الترمذى وحسنه ، والحاكم عن زيد بن أرقم ، رضى الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم،« انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، كتاب الله ، وعترتى أهل بيتى ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما » .

وأخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى والحاكم عن المطلب بن ربيعة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لايدخل قلب امرىء مسلم ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتى » .

وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفاسيرهم،والطبرانى فى المعجم الكبير ، عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية : (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) ، قالوا يا رسول الله : من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم « على وفاطمة وولداهما » .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا بني هاشم اني قد سألت الله لكم أن يجعلكم نجداء رحماء . وسألته أن يهدي ضالكم ؛ ويؤمن خائفكم ، ويشبع جائعكم ، والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحد حتى يحبكم بحبي . أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاعتي . ولا يرجونها بنو عبد المطلب » .

وأخرج البزار عن عبد الله بن الزبير . رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل أهل البيت مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا . ومن تركها غرق » .

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال من رضا محمد الا يدخل أحد من أهل بيته النار .

وأخرج الديلمي عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة . المكرم لذريتي ، والقاضي لهم الحوائج ، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه » .

وأخرج الديلمي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي » .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أولى رجلا من بني عبد المطلب معروفا في الدنيا ، فلم يقدر المطلبي على مكافأته فأنا أكافئه عنه يوم القيامة » .

وأخرج الترمذي والحاكم والبيهقي في شعب الايمان عن عائشة رضي الله عنها ؛ مرفوعا : « ستة لعنهم الله ؛ وكل نبي مجاب ، الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت فيعز بذلك من أذل الله ، ويذل من أعز الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والتارك لسنتي » .

وأخرج الديلمى عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خير الناس العرب ، وخير العرب قريش ، وخير قريش بنو هاشم ،

ونكتفى بما تقدم من الأحاديث مراعاة للايجاز ، أما القرآن الكريم فقد قال تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) ويشير لتلك الآية الكريمة سيدى محيى الدين بن عربى فى قوله :

أرى حب أهل البيت عندى فريضة   على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منا جزاءه   على هديه الا المودة فى القربى

مناقب الامام الحسن رضى الله عنه

زهده رضى الله عنه :

جاء فى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر أن الامام الحسن رضى الله عنه كان حليما ورعا فاضلا . دعاه ورعه وفضله الى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله . وقال والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى ويضرنى أن آلى أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، على أن يهراق فى ذلك محجمة دم .

قلت . وهذا الذى وقع من امامنا الحسن رضى الله عنه فى تنازله عن الخلافة ، وهو يملك الجيوش الجرارة التى يحارب بها ان شاء ، كان ايثارا لله تعالى ، وحقنا لدماء المسلمين . وهو الزهد بعينه ، وقد قال الصوفية العارفون بحق ليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك. بل الزهد أن تتركها من قلبك وهى فى يدك .

خوفه من الله تعالى :

واذا علمت كيف كان يخاف مقام ربه ، لم تعجب لتركه الخلافة ، مع أبهتها وسلطانها ، فقد روى عنه أن رجلا سمعه يناجى ربه ويبكى ، فقال له : اتخاف عذاب الله وعندك أسباب النجاة ، ابن رسول الله ، وشفاعته صلى الله عليه وسلم ، ورحمة الله التى وسعت كل شىء .

فقال الامام الحسن أما انى ابن رسول الله ، فالله يقول : (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم) ، واما الشفاعة فهو سبحانه يقول : (منذا الذى يشفع عنده الا باذنه) وأما الرحمة التى وسعت كل شىء فالله يقول : (فسأكتبها للذين يتقون) فكيف الامان يا أخا العرب .

عبادته رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه يجاهد نفسه فى العبادة جهادا كبيرا ، فقد حج خمس عشرة مرة وقيل عشرين مرة ماشيا على قدميه ونجائبه تقاد بين يديه ،وكان يقول انى أستحيى من ربى عز وجل ان ألقاه ولم أمش الى بيته .

جوده رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه جوادا ، لا يرد سائلا ، ولا يقول لاحد لا ، قط ، وقد خرج عن ماله لله مرتين ، وقاسم الله تعالى ثلاث مرات ، حتى انه كان يعطى نعلا ويمسك نعلا .

وقد قيل للامام الحسن رضى الله عنه ، لأى شىء نراك لا ترد سائلا، وان كنت على فاقة . فقال . انى لله سائل ، وفيه راغب ، وأنا استحى أن أكون سائلا ، وأرد سائلا ، وان الله تعالى عودنى عادة ، عودنى أن يفيض نعمه على ، وعودته أن أفيض على الناس ، فأخشى ان قطعت العادة أن يمنعى العادة ، وأنشد يقول :

اذا ما أتانى سائل قلت مرحبا بمن فضله فرض على معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل وأفضل أيام الفتى حين يسأل

وقد وصفه أبوه بالكرم والمسالمة ، فقد روى أبو جعفر محمد بن حبيب عن المسيب الفزارى ، قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أنا أحدثكم عنى وعن أهل بيتى ، أما عبد الله ابن أخى (أى ابن جعفر زوج السيدة زينب) فصاحب لهو وسماح ، وأما الحسن فصاحب جفنة وخوان فتى من فتيان قريش ، ولو التقت حلقتا البطلان (مثل يضرب للأمر اذا

اشتد وجاوز الحد) لم يغن عنكم شيئا فى الحرب ، وأما أنا وحسين فنحن منكم وأنتم منا .

هيبته رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه ذا هيبة ووقار ؛ حتى لقد كان معاوية وهو فى سلطانه يهابه ويخشاه وصرح لجلسائه بذلك .

ولا تعجب من ذلك ، فقد حدثت زينب بنت أبى رافع فقالت . أتت فاطمة عليها السلام بابنيها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شكوة (مرضه) الذى توفى فيه ، فقالت يا رسول الله هذان ابناك . فورثهما شيئا فقال : أما حسن فان له هيبتى وسؤددى . وأما حسين فان له جراءتى وجودى .

وهذا يفسر لك ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما حين مات الامام الحسن : أول دل دخل على العرب موت الحسن عليه السلام ، وأنت تدرك من كلمة ابن عباس هذه أى مكانة كانت للامام الحسن فى المجتمع وأى فراغ كان يملؤه فى الناس .

نقش خاتمه رضى الله عنه :

كان نقش خاتمه رضى الله عنه : « العزة لله » .

جراته فى مواقف الجد :

ولا تظن أن حبه للمسالمة كان عن ضعف منه ، أو جبن فيه ؛ انما سالم ابتغاء رضوان الله . ودفعا للضرر عن الأمة . ويقول الأصوليون .دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة .

لذلك كان مع مسالمته ؛ يصون كرامته . بجد لا يعرف الهزل . وبحمية هاشمية . لا تعرف التردد ؛ وتلك عزة المؤمن التى يحبها الله ورسوله . وقد أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنشده النابغة الجعدى من قصيدة طويلة :

ولا خير فى حلم اذا لم يـكن له   بوادر تحمى صـفوه أن يـكدرا

ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا يفضض الله فاك ، فعمر طويلا ولم تقع له سن . واليك مثلا من جرأة الامام الحسن .

روى ابن أبى حديد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : دخل الحسن بن على . على معاوية ، بعد عام الجماعة . وهو جالس فى مجلس ضيق . فجلس عند رجليه ، فتحدث معاوية ما شاء أن يتحدث ، ثم قال عجبا لعائشة . تزعم أنى فى غير ما أنا أهله . وأن الذى أصبحت فيه ليس لى بحق . ومالها ولهذا . يغفر الله لها ، انما كان ينازعنى فى هـذا الأمر أبو هذا الجالس وقد استأثر الله به .

فقال الحسن : أو عجب ذلك يا معاوية . قال أى والله . قال أفلا أخبرك بما هو أعجب من هذا ، قال ما هو . قال جلوسك فى صـدر المجلس وأنا عند رجليك .

فضحك معاوية وقال يا ابن أخى ، بلغنى أن عليك دينا . قال ان لعلى دينا ، قال كم هو ، قال مائة ألف . قال قد أمرنا لك بثلثمائة ألف ، مائة منها لدينك ، ومائة تقسمها فى أهل بيتك . ومائة لخاصة نفسك . فقم مكرما واقبض صلتك .

فلما خرج الحسن عليه السلام ، قال يزيد بن معاوية ، تالله ما رأيت رجلا استقبلك بما اسـتقبلك به . ثم أمرت له بثلثمائة ألف ، قال يا بنى ان الحق حقهم ، فمن أتاك منهم فاحث له .

أقول ، وانما كانت ديون الامام الحسن تأتيه من كثرة بذله للمحتاجين، وقد بلغ من سماحته ومروءته أنه كان يشترى البستان من أصحابه ويدفع لهم الثمن ، فاذا علم أنهم فى حاجة اليه رده اليهم ثانية بلا مقابل ، ولايسترد الثمن الذى كان دفعه .

وكذلك جابه معاوية بأشد مما تقدم ، حين قام معاوية خطيبا عـلى المنبر فتهكم على أمير المؤمنين على وقال : ومن على ؟ فقال الامام الحسن

فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ان الله لم يبعث نبيا الا جعل له عدوا من المسلمين قال تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين » وأنا ابن على وانت ابن صخر ، وأمك هند وأمى فاطمة ، وجدتك قتيلة وجدتى خديجة . وجدى رسول الله وجدك عقبة بن ربيعة ، فلعن الله الأمنا حسبا وأخملنا ذكرا ، وأقدمنا كفرا ، وأشدنا نفاقا . فصاح أهل المسجد آمين ، قال الفضل ، قال يحيى بن معين ، وأنا أقول آمين .

فقطع معاوية كلامه وفر الى منزله .

مكارم أخلاقه رضى الله عنه :

يقول عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى كتابه « على وبنوه » كان الامام الحسن رضى الله عنه عذب الروح ، حلو الحديث ، كريم المعاشرة . حسن الألفة ، محببا الى الناس ، ويحبه أترابه من شباب قريش والأنصار لهذه الخصال . ولمكانه من النبى صلى الله عليه وسلم . ويحبه عامة الناس لكل هذا ولسخائه وجوده . واعطائه المال حين يسأل وحين لا يسأل .

وروى ابن أبى حديد بسنده انه كان مشهورا بالحلم ، حتى انه لما مات عليه السلام وأخرجوا جنازته حمل مروان بن الحكم سريره فقال له الامام الحسين عليه السلام . تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعه الغيظ . قال نعم . كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال .

وعرف رضى الله عنه بحسن عشرته لأزواجه . فكان يمسكهن بمعروف ويسرحهن باحسان ، وعلى كثرة زواجه وطلاقه . كان الناس يرغبون فى مصاهرته ، حتى لقد روى أن أباه كرم الله وجهه أمر مناديا ينادى فى أهل الكوفة ، لا تزوجوا الحسن فانه مطلاق ، قالوا ، فما مر المنادى بأحد الا قال : بل نزوجه ، فما رضى أمسك وما كره طلق .

ويعيب بعض قصار الادراك . كثرة زواجه وطلاقه ، رضى الله عنه ، مع أن زمانهم غير زماننا ، وقد كان الزواج فى زمانهم يربط العصبيات ويزيد فى قوة القبائل ، وكان تعدد الزواج أمرا مألوفا بل ومستحبا ، وهو

فى بيت النبوة أكثر استحبابا . وليس مع الحلال تهمة ، وما أحوج المجتمع لأئمة الهدى . الذين يمشون بين الناس بنور الايمان ، الذى يرثونه من عرقهم الطاهر المطهر . وينسونه فى بيئتهم التقية الصالحة ، وصدق امامنا على كرم الله وجهه حينما قال فى السادة آل البيت الأطهار : أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم دوننا . كذبا وبغيا علينا ، ان رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم . وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطى الهدى . ويستجلى العمى .

وصدق الفرزدق الشاعر رحمه الله حين قال فيهم :

ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم أوقيل من خير أهل الأرض قيل هموا

علمه رضى الله عنه :

جاء فى كتاب الاصابة لابن حجر أن الامام الحسن عليه السلام روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث حفظها عنه ، وروى الحسن أيضا عن أبيه وأخيه الحسين وخاله هند بن أبى هالة (أخو السيدة فاطمة لأمها) ، وروى عنه ابنه الحسن وعائشة أم المؤمنين وابن أخيه على بن الحسين « زين العابدين » وابناه عبد الله والباقر ، وعكرمة وابن سيرين وجبير بن نفير وغيرهم .

أقول ، ولئن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه صغيرا (دون الثامنة) فانه كان من الذكاء بحيث وعى وحدث ، وقد قام على تربيته وثقافته العلمية بعد جده أبوه الامام على كرم الله وجهه ، وكان فى العلم بحرا زاخرا ، حتى قال ابن عباس الذى أخذ العلم عنه ، لقد أعطى على بن أبى طالب تسعة أعشار العلم ، وايم الله لقد شارككم فى العشر العاشر .

وقد مر عليك أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام نشأ فى الاسلام منذ طفولته ، وتربى فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم ، وغرف علمه من بحر النبوة الأصفى حتى امتلأ ، وصار كما قال الامام الحسن البصرى . ربانى هذه الأمة ، وكان يتحدث بنعمة ربه فى ثقة به تعالى فيقول : أيها الناس ،

سلونى قبل أن تفقدونى ، فوالله ما من آية فى كتاب الله عز وجل ، الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم فى سهل أم فى جبل ، وقد مر عليك أن أمير المؤمنين عمر كان لا يطمئن الا لفتواه وكان يقول : لولا على لهلك عمر .

لذلك كان علم الامام الحسن موروثا ومغروفا من المنبع الأصفى . فكان علما خالصا ، حرص عليه ونفع به . وقدره قدره ، حتى روى عنــه أنه كان تقول لبنيه وبنى أخيــه الامام الحسين : تعلموا العلم . فان لم تسطيعوا حفظه فاكتبوه ، وضعوه فى بيوتكم . وستدلك أقواله وخطبه على رسوخ علمه وقوة منطقه وعمق فصاحته .

ونذكر للقارىء الكريم بعض الأمثلة التى تدل على صــفاء ذهنه ، وحضور بدبهته . وعلو فكره ، ورسوخ علمه ، رضى الله عنه :

١ ــ فى معرفة الله :

سئل رضى الله عنه ، بم عرفت ربك . فقال : بفسخ العــزيمة ، ونقض المشيئة . وضعف الأركان . وتحويل الحالات والأزمان .

٢ ــ فى القضاء والقدر :

كتب الحسن البصرى الى الامــام الحسن بن عــلى رضى الله عنهما يسأله عن القضاء والقدر . فكتب الامام الحسن بن على يقول :

من لم يؤمن بقضاء الله وقدره ، خيره وشره ، فقد كفر . ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر ، وان الله تعالى لا يطاع اســتكراها . ولا يعصى بغلبة ، لأنه تعالى مالك لما ملــكهم ، وقادر على ما أقــدرهم . فان عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا ، فان لم يفعلوا فليس هو الذىأجبرهم على ذلك . ولو أجبر الخلق على الطاعة لأسقط عنهم العقاب ، ولو أهملهم فان ذلك عجزا فى القدرة . ولكن الله له فيهم المشيئة التى غيبها عنهم ، فان عملوا بالطاعة فله المنة عليهم . وان عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم .

واتماما للفائدة فى القدر نذكر أن رجلا سأل أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه عن القدر ، فقال طريق دقيق لا تمش فيه ، فقال ياأمير المؤمنين أخبرنى عن القدر فقال بحر عميق لا تخض فيه ، فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر . فقال سر خفى لا تفشيه . فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ، فقال ان الله تعالى خلقك كما يشاء أو كما شئت ، فقال كما شاء : قال ألك مشيئة مع الله ، أو فوق مشيئة الله . أو دون مشيئة الله ، أما ان قلت مع مشيئته فقد ادعيت الشركة معه . وان قلت دون مشيئته ، استغنيت عن مشيئته . وان قلت فوق مشيئته ، كانت مشيئتك غالبة على مشيئته .

٣ ـ بينه وبين سائل :

جاء رجل يسأله صدقة . ولم يكن عنده ما يعطيه . فاستحيا أن يرده فقال للرجل . ألا أدلك على شىء يحصل لك منه البر ، فقال الرجل ماذا ، قال ان ابنة الخليفة ماتت فاذهب اليه وقل له : الحمد لله الذى سترها بوقوفك على قبرها ، ولم يهتكها بوقوفها على قبرك .

فذهب الرجل وعزى الخليفة بهذه التعزية ، فلما سمعها ذهب عنه الحزن ، وأمر للرجل بجائزة ، وقال له ، بالله عليك . أكلامك هذا ، فقال بل كلام الحسن بن على ، فقال صدقت . انهم معدن الفصاحة . وأمر له بجائزة أخرى .

٤ ـ تحية المغتسل :

ومن لطائفه أنه كان يوما خارجا من الحمام ، فقال له رجل طاب استحمامك ، فقال يا لكع وما تصنع الأست هنا ، قال الرجل ، طاب حمامك ، فقال اذا طاب الحمام اذن فما راحة البدن ، قال ، طاب حميمك ، قال ويحك ، أما تعلم أن الحميم هو العرق ، قال فكيف أقول ، قال : قل طاب ما طهر منك ، وطهر ما طاب . ودخل مرة غديرا يستحم ، وعليه برد متوشحا به ، فلما خرج سألوه ، فقال انما تسترت ممن يرانى ولا أراه ، يعنى من ربى والملائكة .

٥ – بينه وبين يهودى :

ورآه مرة رجل يهودى فى أبهى بزة وأجمل زى ، وكان اليهودى فى حالة سيئة ، وثياب رثة ، فقال للحسن رضى الله عنه ، أليس قد قال نبيكم الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر ، هذا حالى ، وهذا حالك ، فقال رضى الله عنه : لو رأيت ما وعدنى الله من الثواب ، وما أعـد لك من العقاب ، لعلمت أنك فى الجنة ، وأنا فى السجن .

ايثاره الله تعالى :

كان الامام الحسن رضى الله عنه رجل السلام بحق ، وهو حين سالم ، انما سالم ابتغاء مرضاة الله . لا خوف الناس ، ولا خوف الحرب .

وقد شرح وجهة نظره فى المسالمة حين أشار عليه المسيب الفزارى أن ينقض صحيفة الصلح الذى أبرمه مع معاوية . وسيأتيك نبأه فيما بعد . فقال رضى الله عنه : يا مسيب . انى لو أردت بما فعلت الدنيا ، لم يكن معـاوية بأصبر عند اللقاء ولا أثبت عند الحرب منى . ولكنى أردت صلاحكم وكف بعضكم عن بعض . فارضوا بقدر الله وقضائه . حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر .

ثباته فى الرأى رضى الله عنه :

عندما رأى ، رضى الله عنه . بنور الله . أن يسلم الأمر لمعـاوية بعد أن بقى فى الخلافة سبعة أشهر استشار أهله وخاصته . فمنهم من رضى رأيه ومنهم من خالفه . وقد رضى رأيه عبد الله بن جعفر ودعا له .

وحين عرض رأيه على أخيه الامام الحسين ، رأى أن يبين له أسباب رأيه ، وكأنما كان يحس بمعارضة الامام الحسين مقدما .

فقال الامام الحسن لأخيه الامام الحسين : أى أخى انى رأيت رأيا ، وأحب أن تتابعنى عليه فقال ما هو ؟ قال . رأيت أن أعمد الى المدينة فأنزلها،

وأخلى بين معاوية وبين هذا الحديث ، فقد طالت الفتنة ، وسفكت فيها الدماء ، وقطعت الأرحام ، وعطلت السبل ، وعطلت الثغور .

فقال الامام الحسين : أعيذك بالله أن تكذب عليا فى قبره ، وتصدق معاوية . فقال الحسن عليه السلام : والله ما أردت أمرا الا خالفتنى الى غيره، والله لقد هممت أن أقذفك فى بيت فأطينه عليك حتى أقضى أمرى .

فلما رأى الامام الحسين غضبه ، قال فى أدب رفيع . أنت أكبر ولد على . وأنت خليفتى ، وأمرنا لأمرك تبع ، فافعل ما بدا لك ، وهكذا ثبت الامام الحسن عند رأيه ، وتحققت على يده معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال :

« ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

اجلال الامام الحسين للامام الحسن رضى الله عنهما :

ولا تظن أن الامام الحسين رضى الله عنه ، حين عارض رأى الامام الحسن فى الصلح ، انه كان يستهين برأيه ، انما هى وجهات نظر . فى مسائل كبيرة ، تتصل بالصالح العام ، وتختلف فيها الآراء ، وكل منهما مجتهد فيما رآه وله أجره ، لأن رأى كل منهما ليس مشوبا بهوى النفس الذى يضل صاحبه عن سبيل الله ، بل هو رأى خالص لوجه الله ، وقد اختلف السادة الصحابة حين استشارهم صلى الله عليه وسلم فى أسرى بدر ، فمنهم من رأى أخذ الفدية ، ومنهم من رأى قتل الأسرى ، وأقر الله اجتهادهم حيث لم ينزل وحى فقال تعالى : « فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » وكانوا قد تحرجوا من الأكل من الفدية حين نزل قوله تعالى (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) .

ويشهد باجلال الامام الحسين لأخيه الامام الحسن كلمة التأبين الرائعة التى قالها امامنا الحسين رضى الله عنه على قبره ، مع انه كان فى موقف الحزن الذى يشتت الفكر ويعقد اللسان ، وقد أوردناها فى المقدمة .

نظام أوقاته رضى الله عنه :

قال الدكتور طه حسين فى كتابه « على وبنوه » ان الامام الحسن رضى الله عنه كان يصبح فيصلى الصبح ويجلس فى مكانه حتى اذا ارتفعت الشمس ، طاف بأمهات المؤمنين ، زائرا لهن ، متحدثا اليهن ، يبرهن ويبررنه ويهدى اليهن ويهدين اليه ، ثم يفرغ لبعض شأنه .

فاذا صليت الظهر ، جلس للناس فى المسجد ، فأطال الجلوس ، يسمع منهم ، ويقول لهم . يعلم من احتاج منهم للعلم . ويؤدب من احتاج منهم للأدب . ويسمع من شيوخ الصحابة ما يفيده علما وأدبا . وكن فى أثناء ذلك كله اذا ذكر السلطان ، أو ذكر السلطان عنده . يعرف الخير ، وينكر الشر . فى أرق لفظ واعذبه .

ولكنه كان يشتد حتى يبلغ القسوة . ان ذكر أبوه بغير ما يحب . أو لقى من بعى أباه الغوائل . أو سعى اليه بمكروه . وكان بعد هذا كله يحسن كما حسن الله اليه . ولا ينس نصيبه من الدنيا .

وفاؤه بأهله وصحبه رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه وفيا لأهله وأصحابه أحسن الوفاء ، حتى انه شرط على معاوية الا يؤدى أحدا منهم . ولما أراد معاوية أن يستثنى أحدا منهم (مثل قيس بن سعد) هدده الامام الحسن بالعدول عن الصلح . فاضطر معاوية أن ينزل عند رغبته .

ولما أراد زياد أن يسىء الى بعض أصحاب الامام الحسن كاتب الامام الحسن معاوية فأمر زيادا أن يكف عنهم .

جهاده رضى الله عنه فى سبيل الله

١ ــ جهاده فى فتح شمال افريقيا :

كان رضى الله عنه هو وأخوه الامام الحسين فى المدد الذى أرسله أمير المؤمنين عثمان بن عفان فى سنة ٢٦ هـ لنجدة عبد الله بن أبى السرح وهو يغزو شمال أفريقيا .

٢ ــ جهاده فى فتح طبرستان :

كما كانا رضوان الله عليهما فى الجند المقاتلين عندما غزا سعيد بن العاص طبرستان بأمر أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه سنة ٣٠ هـ .

٣ ــ الدفاع عن امير المؤمنين عثمان رضى الله عنه :

وكان هو وأخوه الامام الحسين أول المدافعين عن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه حين هاجمه الثوار . فقد أمرهما أبوهما أن يحمياه بسيفيهما ففعلا . ولم يستطع الثوار أن يدخلوا عليه من الباب فتسوروا عليه الدار وقتلوه ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

٤ ــ جهاده مع ابيه فى معارك الجمل وصفين والخوارج :

وحضر هو وأخوه الامام الحسين وأخوهما لأبيهما محمد بن الحنفية معارك الجمل . وصفين . والخوارج ، مع أبيهم ، وعلى الرغم من أن أمير المؤمنين عليا كان ينحى الحسن والحسين على القتال ، خشية أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض فانهما شاركا فى الحروب مشاركة فعلية ، كما يستدل من تاريخ تلك المعارك .

مشاركته لأبيه الرأى فى المسائل العامة :

لما توجه طلحة والزبير ومعهما السيدة عائشة رضى الله عنهم الى البصرة ، كما سترى من التفاصيل فيما بعد ، جاء الامام الحسن لأبيه أمير المؤمنين على رضى الله عنهما ، بعد صلاة الصبح فقال له :

قد أشرت عليك فعصيتنى ، تقتل غدا بمعصية لاناصر لك فيها ،فسأله وما الذى أشرت به فعصيتك .

فال الامام الحسن : أشرت حين أحيط بعثمان رضى الله عنه ، أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها .

ثم أشرت يوم قتل الا تبايع حتى تأتيك وفود العرب ، وبيعة أهل كل مصر . فانهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت .

ثم أشرت حين فعل هذان الرجلان (أى طلحة والزبير) ما فعلا ، ان تجلس فى بيتك حتى يصطلحا فان كان الفساد كان على يد غيرك .فعصيتنى فى ذلك كله .

فلم يأنف أمير المؤمنين أن يساجل ابنه الامام الحسن الرأى ليفحمه ويريح صدره فقال له :

أما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان ، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به .

وأما قولك لا تبايع حتى تأتى بيعة الأمصار . فان الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر .

وأما قولك حين خرج طلحة والزبير فان ذلك كان وهنا على أهل الاسلام .

وأما قولك اجلس فى بيتك فكيف لى بما قد لزمنى ، ومن تريدنى . أتريد أن أكون مثل الضبع التى يحاط بها ، ويقال لها دباب ، دباب ..ليست هنا حتى يحل عرقوباها ثم تخرج . واذا لم أنظر فيما لزمنى من الأمر ويعنينى ، فمن ينظر فيه ، فكف عنى أى بنى .

وهذا المثل يريك حسن استماع أبيه لرأيه وحسن معاملته واقناعه بالحجة دون استصغار رأيه . ولولا أنه رأى وزنا لآرائه . لما قارعها بحجته العلوية القوية . وفوق كل ذى علم عليم .

ازواجه واولاده رضى الله عنه :

نقل ابن أبى حديد عن المدائنى قال : كان الحسن كثير التزوج ،تزوج خولة بنت منظور الفزارية . فولدت له الحسن بن الحسن . وتزوج أم اسحق بنت طلحة بن عبيد الله فولدت له ابنا سماه طلحة ، وتزوج أم بشر بنت أبى مسعود الانصارى فولدت له زين بن الحسن . وتزوج جعدة بنت الأشعث بن قيس وهى التى سقته السم . وتزوج هند ابنة سهيل بن عمر ، وحفصة ابنة عبد الرحمن بن أبى بكر . وتزوج امرأه من كلب ، وتزوج امرأة من بنات عمرو بن أهتم . وامرأة من ثقيف فولدت له عمرا ، وتزوج امرأة من بنات علقمة بن زرارة . وامرأة من بنى شيبان من آل همام بن مرة ؛ فقيل له انها ترى رأى الخوارج فطلقها ؛ وقال انى أكره أن أضم الى نحرى جمرة من جمر جهنم .

وجاء فى كتاب الحسن والحسين للأستاذ محمد رضا أن أولاد الامام الحسن هم السادة :

١ ـــ زيد
٢ ـــ الحسن
٣ ـــ القاسم
٤ ـــ أبو بكر
٥ ـــ عبد الله
٦ ـــ عمرو
٧ ـــ عبد الرحمن
٨ ـــ الحسين الملقب بالأشرم
٩ ـــ محمد
١٠ ـــ يعقوب
١١ ـــ اسماعيل

وقال أصحاب السير أن العقب الصحيح الموجود للآن من الحسن السبط لزيد والحسن بن الحسن (المثنى) لا غير .

وروى أبو الفرج فى الأغانى بسنده عن عوف بن خارجة قال ، والله انى لعند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته ، اذ أقبل رجل يتخطى رقاب الناس . حتى قام بين يدى عمر ، فحياه بتحية الخلافة فقال له عمر من أنت، قال أنا امرؤ نصرانى ، أنا امرؤ القيس بن عدى الكلبى ، قال فما تريد ، قال أريد الاسلام فعرضه عليه عليـــه عمر رضى الله عنه فقبـــله ، ثم دعا له برمح . فعقد له على من أسلم بالشـــام من قضاعة فأدبر الشـــيخ واللـــواء يهتز على رأسه . قال عوف فوالله ما رأيت رجلا لم يصل لله ركعة قط أمر على جماعة من المسلمين قبله .

ونهض على بن أبى طالب رضوان الله عليه من المجلس . ومعـــه ابنـــاه الحسن والحسين عليهم السلام . حتى أدركه فاخذ بثيابه . فقال له يا عم، أنا على بن أبى طالب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره.وهذان ابناى الحسن والحسين من ابنته ، وقد رغبنا فى صهرك فأنكحنا .

فقال قد أنكحتك يا على المحياة بنت امرىء القيس ، وأنكحتك ياحسن سلمى بنت امرىء القيس . وأنكحتك ياحسين الرباب بنت امرىء القيس (أم السيدة سكينة) وقال هشام الكلبى كانت الرباب من خيـــار النساء وأفضلهن . فخطب بعد قتل الامام الحســـين فقالت : ما كنت لأتخـــذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء فى تاريخ الامام على زين العابدين لفضيلة العلامة الشيخ أحمد فهمى : انه رضى الله عنه تزوج من السيدة فاطمة بنت الحسن بن على رضى الله عنه . وهى التى خلفها من زوجته أم اسحق بنت طلحة .

ولما حضرت الامام الحسن الوفاة . دعا أخاه الامام الحسين وأوصاه بها ، وقال له يا أخى . انى أرضى هذه المرأة لك فلا تخرجن من بيوتكم ، فاذا انقضت عدتها فتزوجها . وقد نفذ الامام الحسين الوصية وتزوجهـــا فأعقب منها فاطمة بنت الحسين التى تزوجها ابن أخيه الحسن بن الحسن .

ويحدث الامام جعفر الصـــادق عن السيدة فاطمـــة بنت الحسن التى تزوجها الامام على زين العابدين فيقول كانت صديقة لم تدرك فى آل الحسن امرأة سواها .

وفى الكافى بسنده عن أبى الصباح عن أبى جعفر محمد الباقر قال كانت أمى قاعدة عنـد جدار فتصدع الجدار وسمعنا هدة شـديدة فقالت بيدها ، لا وحق المصطفى صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لك فى السقوط ، فبقى معلقا فى الجو حتى جازته . فتصدق أبى عنها بمائة دينار .

وجاء فى كتاب الأغانى ان أول أزواج السيدة سكينة بنت الحسين كان عبد الله بن الحسن بن على .

مشاهد مباركه بالقاهرة من سلالة الامام الحسن رضى الله عنه :

ومن المشاهد المباركة التى يرتادها الزوار بالقاهرة مشهد سيدى حسن الأنور ، ومشهد السيدة نفيسة ابنته رضى الله عنهما وعن سائر الأشراف .

مناقب سيدى حسن الانور رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه شيخ بنى هاشم فى زمانه . وجاء فى تاريخه أنه روى عن أبيه زيد الأبلج بن الحسن بن على ، وابن عمه عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وعن عكرمة وغيرهم .

وقد ولاه أبو جعفر المنصور امارة المدينة المنورة ، ثم عزله وحبسه ، لوشاية كاذبة اتهموه فيها أنه يسعى للخلافة ، واستمر فى حبسه الى أن ولى المهدى الخلافة العباسية ، فأمر باخراجه ورد اليه ماله .

وكان رضى الله عنه ، متواضعا لله مع علو قدره ومنصبه . وقد دخل عليه أحد الشعراء فأنشده : الله فرد وابن زيد فرد ، فكره منه ذلك وقال له : بفيك الأثلب ألا قلت : الله فرد وابن زيد عبد ، ونزل عن سرير الامارة وألصق خده بالأرض ، يسبح لله تعالى .

وكان رضي الله عنه سخيا بماله ، حتى قال فيه أحد الشعراء :

اذا أمسى ابن زيد لى صديقا   فحسبى من مودته نصيبى

ومن وفائه بأبيه ، أن أباه مات والامام حسن الأنور صغير ، وترك أبوه دينا قدره أربعة آلاف دينار فحلف سيدى حسن الأنور ألا يظل رأسه

سقف الا سقف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بيت رجل يكلمه فى حاجة ؛ حتى يقضى دين أبيه فوفى بنذره . وأدى الدين أداء لحق الأبوة.

وقد خلف سيدى حسن الأنور رضى الله عنه ؛ من الذكور تسعة ، ومن البنات اثنتين أم كلثوم . وقد تزوج بها أبو العباس السفاح ، الخليفة العباسى ، والسيدة نفيسه وقد تزوجت من ابن عمها سيدى اسحق المؤتمن ابن سيدى جعفر الصادق .

وغلبت شهرة السيدة نفيسة على سائر اخوتها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

مناقب السيدة نفيسة رضى الله عنها :

أمها أم ولد . أما اخوتها فأمهم السيده زينب بنت الحسن بن الحسن ابن على رضى الله عن الجميع .

وجاء فى تحفة الأشراف ، أن الامام زيد بن الحسن رضى الله عنه ، كان يأخذ بيد ولده حسن الأنور ، والد السيدة نفيسة ، ويدخل الى قبر جده المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقول يا سيدى يا رسول الله هذا ولدى الحسن ؛ أنا عنه راض ، ثم يرجع وينصرف .

فلما كان فى بعض الليالى . أخذته سنة من النوم ، فرأى فى نومه النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول له : يا زيد اننى راض عن ولدك الحسن برضاك عنه . والحق سبحانه وتعالى راض عنه برضاى عنه .

فلما ولى الحسن المدينة كان يذهب الى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويأخذ بيد ابنته السيدة نفيسة ، وهما بداخل المقام الشريف ، يقول يا سيدى يا رسول الله . اننى راض عن بنتى نفيسة ، ويرجع آيبا الى داره ؛ فما زال يكرر ذلك ويقوله حتى رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام يقول له : يا حسن اننى راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها،والحق سبحانه وتعالى راض عنها برضاى عنها .

وقد مكن الله السيدة نفيسة ، فحفظت القرآن الكريم . وألمت بتفسيره وتأويله . وشغفت بحديث جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فألمت بالسنة . وروت من الحديث والآثار الكثير عن أبيها ، وآل بيتها ، وعلماء وقتها ، وبخاصة الامام مالك بن أنس بالمدينة ، ومسلم بن خالد الزنجى بمكة .

وأخذت كذلك بحظ وافر من الفقه والعلم . حتى لقبت بنفيسة العلم ، وسمع منها الحديث الامام الشافعى حين جاء الى مصر كما سمعه منها جمهرة من علماء وفتها ، مثل ذى النون المصرى وعبد الله بن الحكم وولداه محمد وعبد الرحمن . وعبد الرحمن البويطى ، والربيعان المرادى والجيزى وحرملة ، من أصحاب الامام الشافعى رضى الله عنها وعنهم .

وكانت رضى الله عنها . عابدة ، ناسكة ، تصوم النهار . وتقوم الليل ، وكانت وهى بالمدينة المنورة لا تفارق حرم جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقد حجت الى بيت الله الحرام ثلاثين حجة ، أكثرها ماشية ، وكانت تتعلق بأستار الكعبة وتقول : الهى وسيدى ومولاى . متعنى وفرحنى برضاك عنى ، فلا تسبب لى سببا يحجبك عنى .

وقالت بنت أخيها زينب بنت يحيى رضى الله عنهما : خدمت عمتى نفيسة أربعين سنة ، فما رأيتها نامت الليل . ولا أفطرت بنهار .

فقلت لها : أما ترفقين بنفسك ، فقالت كيف أرفق بنفسى ، وقدامى عقبات لا يقطعهن الا الفائزون .

وحين اشتكى اليها الناس ظلم أحمد بن طولون فى أول عهده . قالت لهم متى يركب ، فقالوا فى غد ، فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه وقالت له :

يا أحمد بن طولون ، فلما رآها عرفها ، وترجل عن فرسه ، وأخذ منها الرقعة ، فاذا فيها مكتوب :

ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخولتم فعسفتم ، ودرت عليكم الأرزاق فقطعتم ، وقد علمتهم أن سهام الأسحار نافذة وسيما من قلوب أجعتموها ، وأجسام أعريتموها ، اعملوا ما شئتم فانا صابرون ، وجوروا فانا بالله مستجيرون . واظلموا فانا منكم متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

فرجع أحمد بن طولون عن ظلمه ، وعدل من ذلك اليوم فى حكمه ، ومن أراد المزيد من تاريخها الحافل : فليراجع رسالة العلامة الشيخ أحمد فهمى وعنوانها كريمة الدارين ، وجزى الله المؤلف على مجهوده خيرا كثيرا.

٢ ـ القاسم بن الحسن بن على :

وهو أخو أبى بكر المقتول قبله لأبيه وأمه

وروى أبو الفرج بسنده عن حميد بن مسلم قال : خرج الينا غلام ، كأن وجهه شقة قمر ، فى يده السيف ، وعليه قميص وأزار ونعلان ، قد انقطع شسع أحدهما ، ما أنسى أنها اليسرى فقال عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدى : والله لأشدن عليه . فقلت له سبحان الله ، وما تريد من ذلك ، يكفيك قتله هؤلاء ، الذين تراهم قد احتوشوه من كل جانب ، قال والله لأشدن عليه . فما ولى وجهه حتى ضرب رأس الغلام بالسيف . فوقع الغلام لوجهه . وصاح يا عماه ، قال فوالله لتجلى الحسين كما يتجلى الصقر . ثم شد شدة الليث اذا غضب . فضرب عمرا بالسيف فاتقاه بساعده فأطنها (أى قطعها) من لدن المرفق ، ثم تنحى عنه ، وحملت خيل عمر بن سعدفاستنقذوه

من الحسين ، ولما حملت الخيل استقبلته بصدورها ، وجالت فتوطأته. فلم يرم حتى مات ـ لعنه الله وأخزاه ـ فلما تجلت الغبرة ؛ اذا بالحسين على رأس الغلام وهو يفحص برجليه . وحسين يقول بعدا لقوم قتلوك ، خصمهم فيك يوم القيامة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : عز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ؛ أو يجيبك ثم لا تنفعك اجابته يوم كثر واتره ، وقل ناصره ، ثم احتمله على صدره . وكأنى أنظر الى رجلى الغلام تخطان فى الأرض ، حتى ألقاه مع ابنه على بن الحسين ، فسألت عن الغلام فقالوا هو القاسم بن الحسن بن على صلوات الله عليهم أجمعين .

٣ ـ عبد الله بن الحسن بن على :

وأمه بنت السليل بن عبد الله . أخى جرير بن عبدالله البجلى . وقيل ان أمه أم ولد ، وروى أبو الفرج عن أبى جعفر بن محمد أن حرملة بن كاهل الأسدى قتله .

فصاحه العلويين وشجاعتهم :

وقد ورث امامنا على دريته الفصاحة . كما ورثهم الشجاعة ، فلم تقف فصاحتهم أو شجاعتهم عند الشباب والشيوخ بل كانت فى الناشئين منهم ؛ ونكتفى فى التدليل على ذلك بالمثلين الآتيين :

المثل الأول : لما أدخل الامام على زين العابدين ، ولم يكن قد بلغ الحلم ، على البزيد فى دمشق قال له يزيد :

يا على ، أبوك الذى قطع رحمى ؛ وجهل حقى ، ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما قد رأيت .

فقال سيدى زين العابدين ردا عليه : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها) .

فقال يزيد لابنه خالد أردد عليه فما درى خالد ما يرد عليه .

المثل الثانى : دعا يزيد عمرو بن الحسن وهو غلام صغير فقال لعمرو أتقاتل هذا الفتى (يعنى خالدا ابنه) قال لا ولـكن أعطنى سكينا وأعطه سكينا ، ثم أقاتله ، فقال له يزيد وأخذه وضمه اليه : شنشنة أعرفها من أخزم، هل تلد الحية الا حية . أقول وكذب والله يزيد ، ولو أنصف لقال ان ذاك الشبل من ذاك الأسد ، وما عاشت الحيات ولا توالدت الا فى بنى أميـة حتى أبادها الله بعدله فاستراح الناس منها .

ولقد قال معاوية يوما لابن عباس : لمـاذا تصـابون يا بنى هاشم فى أبصاركم فقال وما أبدع ما قال : كما تصابون أنتم يا بنى أمية فى بصائركم.

فضلاء بنى امية :

ومن آيات الله الدالة على أنه يختص برحمته من يشاء أن ثلاثة من بنى أمية امتازوا بالفضل فى الاسلام عن قومهم وهم : سيدنا عثمان بن عفـان رضى الله عنه . وسيدتنا أم المؤمنين . أم حبيبة بنت أبى سفيان ، زوج النبى صلى الله عليه وسلم . وهما من السابقين الأولين ومن أصـحاب الهجرتين ، وسيدنا عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الزاهد العـادل الذى قلد فى ورعه جده لأمه سيدنا عمـر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين ، فهؤلاء نستثنيهم من بنى أمية . ونشـيد بفضل الله عليهم ، لأننـا انما نريد الحق والانصاف . ولا تزر وازرة وزر أخرى .

لذلك لا تعجب أن يرثى السيد الشريف الرضى أبو الحسن ، عمر بن عبد العزيز فيقول :

يا بن عبد العـزيز لو بكت العين فتـى مـن أميـة لبكيتـك
غيـر أنى أقـول انك قد طبـت وان لم يطـب ولم يـزك بيتـك
أنت نزهتنـا عن السـب والقذف فلـو أمكـن الجـزاء جزيتـك
ولو أننى ملـكت دفعـا لما نالك من طـارق الـردى لفديتـك

فهذا الشريف من سادات بنى هاشم ينصف الحق وأهله ، على الرغم من أنه موتور من بنى أمية . والحق يعلو ولا يعلى عليه .

وسيأتيك نبأ بدعة السب التى بدأها معاوية وأمر ولاته بها ، وأبطلها عمر بن عبد العزيز . لأنها كانت من المنكرات التى ساير فيها معاوية هوى نفسه ، وما مثل الامام على بالذى يسب علانية على أسماع المسلمين المدينين له بالفضل فى حماية الدين .

أهل الشام وسب الامام علي :

ولقد قال المسعودى : ارتقى بأهل الشام الأمر فى طاعة معاوية الى أن جعلوا لعن على سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير .

وقد حدث بعضهم أنه قال لرجل من زعماء أهل الشام وأهل الرأى فيهم : من أبو تراب هذا الذى يلعنه الامام فوق المنبر ، قال أراه لصا من لصوص العرب ، فانظر الى أى حد بلغ بهم السفه وبلغت بهم الغفلة .

العباسيون واضطهاد بني الحسن :

وليت البلاء الذى أصاب العترة الطاهرة النبوية ، وقف عند ما أصابهم على أيدى بنى أمية . لكنهم ذاقوا من مرارة الاضطهاد والحبس والقتل أيام العباسيين ما يفتت الأكباد ، مع أن الناس حاربوا مع العباسيين على أنهم يعملون على اقامة خلافة علوية . حتى اذا تمت لهم الغلبة ، آثروا بها أنفسهم، وجعلوها ملكا عضودا وارثا موروثا .

ولا يتسع مثل هذا الكتيب للتفصيلات ، فليرجع اليها من شاء فى المراجع الكبيرة ، واكتفى بالاشارة الى قليل مما وقع فى صدر الدولة العباسية .

أبو العباس يحسن معاملة عبد الله بن الحسن واخيه الحسن بن الحسن :

ويؤخذ مما رواه أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين أن أبا العباس لما تولى الخلافة وفد اليه عبدالله بن الحسن بن الحسن ، وأخوه الحسن بن الحسن فوصلهما ، الا أنه ذكر لعبدالله ابنيه محمدا وابراهيم ، وقال ما خلفهما ومنعهما أن يفدا الى أمير المؤمنين ؛ وكرر له ذلك مرات .

فقال الحسن بن الحسن لأخيه : اذا سألك عنهما فقل عنهما أعلم الناس بهما ، ففعل ذلك ، فأرسل أبو العباس الى الحسن بن الحسن فقص عليه أمرهما ، فقال : يا أمير المؤمنين أكلمك على هيبة الخلافة أو كما يكلم الرجل ابن عمه .

قال أبو العباس : بل كما يكلم الرجل ابن عمه ، فانك وأخاك عندى بكل منزلة .

قال الحسن بن الحسن : انى أعلم أن الذى هاج لك ذكرهما بعض ما قد بلغك عنهما ، فأنشدك الله : هل تظن أن الله ان كان قد كتب فى سابق علمه أن محمدا وابراهيم وال من هذا الأمر شيئا ، ثم أجلب أهل السموات والأرض بأجمعهم على أن يردوا شيئا مما كتب الله لمحمد وابراهيم أكانوا راديه . وان لم يكن كتب لمحمد ذلك انهم حائزون اليه شيئا منه .

ففال لا والله ، ما هو كائن الا ما كتب الله

فقال : يا أمير المؤمنين ، ففيم تنغيصك على هذا الشيخ نعمتك التى أوليته وايانا معه .

قال فلست بعارض لذكرهما بعد مجلسى هذا ما بقيت ، الا أن يهيجنى شيء فأذكره ، فقطع ذكرهما وانصرف عبدالله الى المدينة . أقول ولعل مصاهرة أبى العباس لبنى الحسن كان لها أثرها فى حسن معاملتهم فقد كان متزوجا — كما مر عليك — من السيدة أم كلثوم بنت سيدى حسن الأنور ابن زيد بن الحسن السبط (أخت السيدة نفيسة) رضى الله عنهم أجمعين .

اضطهاد بنى الحسن ايام المنصور :

قال أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين ، كان أبو جعفر المنصور قد طلب محمدا وابراهيم « ولدى عبدالله بن الحسن بن الحسن » فلم يقدر عليهما ، فحبس عبد الله بن الحسن وأخوته ، وجماعة من أهل بيته بالمدينة ، ثم أحضرهم الى الكوفة ، فحبسهم بها ، فلما ظهر محمد قتل عدة منهم فى الحبس .

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ بنى هاشم والمقدم فيهم ، وكان مصعب بن الزبير يقول انتهى كل حسن الى عبد الله بن الحسن . كان يقال من أحسن الناس فيقال عبد الله بن الحسن ، ويقال من أفضل الناس فيقال عبد الله بن الحسن ويقال من أقول الناس فيقال عبد الله بن الحسن .

حب عمر بن عبد العزيز لآل البيت :

وروى أبو الفرج كذلك بسنده عن سعيد بن ابان القرشى ، قال كنت عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه عبد الله بن الحسن ، وهو يومئذ شاب فى ازار ورداء فرحب به ، وأدناه وحياه ، وأجلسه الى جنبه وضاحكه . ثم غمز عكنة من عكن بطنه ، وليس فى البيت يومئذ الا أموى . فلما قام قالوا له : ما حملك على غمز بطن هذا الفتى قال : انى أرجو بها شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قسوة المنصور فى معاملة آل البيت :

قارن بين هذا الذى يقوله الرجل الورع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو أموى ، وبين الذى فعله أبو جعفر وهو هاشمى ، فقد قيدهم فى الأغلال وحبسهم وحين حملوا من المدينة الى الكوفة حملوا على الأقتاب وهم فى القيود الثقال حتى كانت زينب بنت عبد الله بن الحسن تقول متحسرة على ما ترى من تعذيبهم واعبرتاه من الحديد والعباء والمحامل المعراة .

على بن الحسن وورعه :

وكان من بينهم على بن الحسن بن الحسن بن الحسن ، وكانوا فى ظلام السجن لا يدرون الليل من النهار ولا يعرفون أوقات الصلوات الا بأجزاء من القرآن يقرؤها رضى الله عنه ، وقد توفى وهو ساجد فى حبس أبى جعفر. فقال عمه عبد الله أيقظوا ابن أخى ، فانى أراه قد نام فى سجوده قال فحركوه فاذا هو قد فارق الدنيا .

وحدث عنه من كان معه من أهله الحسنيين فقالوا : كانت حلق أقيادنا قد اتسعت فكنا اذا أردنا صلاة أو نوما جعلناها عنا ، فاذا خفنا دخول الحراس أعدناها ، وكان على بن الحسن لا يفعل فقال له عمه : يا بنى ما يمنعك أن تفعل قال لا والله ، لا أخلعه أبدا حتى اجتمع أنا وأبو جعفر عند الله ، فيسأله لم قيدنى به .

قالوا وكان عدد المحبوسين ثمانية ــ فلما أدخلوا السجن قال على بن الحسن : اللهم ان كان هذا من سخط منك علينا فاشدد حتى ترضى .

فقال عبد الله بن الحسن : ما هذا يرحمك الله .

سبعة يموتون من آل البيت فى السجن :

وحدث عبد الله عن فاطمة الصغرى (بنت الامام الحسين وهى أم عبد الله) عن أبيها عن جدتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « يدفن من ولدى سبعة بشاطىء الفرات لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون » . فقلت نحن ثمانية قال هكذا سمعت فقال فلما فتحوا الباب وجدوهم موتى الا واحدا . قال الذى نجا منهم أصابونى وبى رمق وسقونى ماء وأخرجونى فعشت .

قال واستمر حبسهم ستين ليلة ، وقد ضجر مره عبد الله بن الحسن ضجره فقال لعلى بن الحسن : ياعلى الا ترى مانحن فيه من البلاء . ألا تطلب الى ربك عز وجل أن يخرجنا من هذا الضيق والبلاء .

قال فسكت عنه طويلا ثم قال :

يا عم : ان لنا فى الجنة درجة لم نكن نبلغها الا بهذه البلية ، أو بما هو أعظم منها ، وان لأبى جعفر فى النار موضعا لم يكن ليبلغه حتى يبلغ منا مثل هذه البلية أو أعظم منها ، فان تشأ أن تصبر فما أوشك فيما أصبنا أن نموت فنستريح من هذا الغم كأن لم يكن منه شىء . وان تشأ أن ندعو ربنا عز وجل أن يخرجك من هذا الغم ،ويقصر بأبى جعفر غايته التى له فى النار فعلنا .

قال : لا ، بل أصبر .

فما مكثوا الا ثلاثا حتى قبضهم الله اليه ، قال أبو الفرج وتوفى على ابن الحسن وهو ابن خمس وأربعين سنة ، لسبع بقين من المحرم سنة ست وأربعين ومائة .

ويؤخذ مما قاله أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين أنه كان فى الحبس مع عبد الله بن الحسن بن الحسن أولاد اخوته السادة : عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الحسن (أخو السيد على المتقدم ذكره) ، والعباس بن الحسن ابن الحسن بن الحسن ، واسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن ويقال له طبا طبا ، ومحمد ابراهيم بن الحسن بن الحسن ، وعلى بن محمد بن عبدالله ابن الحسن بن الحسن، وكان مع هؤلاء كذلك أخوهم لأمهم محمد محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان . رضى الله عنهم أجمعين .

وقال أبو الفرج كان العباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن أحد فتيان بنى هاشم وفيه يقول ابن هرمة :

لما تعرضت للحاجات واعتلجت	عندى وعاد ضمير القلب وسواسا
سعيت أبغى لحاجات ومصدرها	برا كريما لثوب المجد لباسا
هدانى الله للحسنى ووفقنى	فاعتمت خير شباب الناس عباسا
قدح النبى وقدح من أبى حسن	وعن حسين جرى لم يجر أحناسا

وحين أخذوا العباس الى السجن قالت أمه وهى عائشة بنت طلحة دعونى أشمه شمة وأضمه ضمة فقالوا لا والله ما كنت فى الدنيا حية .

وقال أبو الفرج بسنده عن عبد الرحمن بن أبى الموالى وكان فى السجن مع بنى الحسن : كيف كان صبرهم على ما هم فيه ؟

قال : كانوا صبراء وكان فيهم رجل مثل سبيكة الذهب كلما أوقد عليها النار ازدادت خلاصا ، وهو اسماعيل بن ابراهيم ، كأنه كلما اشتد عليه البلاء ازداد صبرا .

قال أبو الفرج وكان السبب فى حبس عبد الله بن الحسن وأهله ، ان العوام لهجت بمحمد بن عبدالله تسميه المهدى حتى كان يقال محمد بن عبد الله المهدى .

المنصور وموقفه من محمد بن عبد الله :

وقف أبو جعفر المنصور مـ نمحمد بن عبدالله على النقيضين ، فقد كان يجله قبل أن يتطلع أبو جعفر للخلافة ، لا بل انه بايعه بالخلافة مرتين ، كانت احداهما بمكة فى المسجد الحرام ولما خرج محمد بن عبد الله من المسجد الحرام أمسك له أبو جعفر بالركاب وقال أما انه ان أفضى اليك الأمر نسيت لى هذا الموقف .

وقد روى أبو الفرج بسنده أن جماعة من بنى هاشم اجتمعوا بالأبواء، وفيهم ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، وأبو جعفر المنصور ، وصالح بن على ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن ، وابناه محمد وابراهيم ، ومحمد بن عبد الله بن بن عمرو بن عثمان .

فقال صالح بن على : فد علمتم أنكم الذين تمد الناس أعينهم اليهم ، وقد جمعكم الله فى هذا الموضع . فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه اياها من أنفسكم وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين .

فقال أبو جعفر : لأى شيء نخدعون أنفسكم ، ووالله لقد علمتم ما الناس الى أحد أطول أعنافا ولا أسرع اجابة منهم الى هذا الفتى ــ يريد محمد بن عبد الله .

قالوا قد والله صدقت . ان هذا اهو الذى نعلم . فبايعوا جميعا محمدا ومسحوا على يده .

قلق المنصور من محمد بن عبد الله :

لذلك كان أبو جعفر قلقا من تحلف محمد بن عبد الله عن مجلسه ، لأن له بيعة فى عنق أبى جعفر ، وانتهى به الأمر الى أن يشدد على عبد الله بن الحسن ويقول له : أين ابنك ؟ قال لا أدرى . قال لتأتينى به . فقال عبدالله : لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه ، قال يا ربيع ، قم به الى الحبس . فحبس وحبس مع أهله كما تقدم .

وقد حدث سيدى الحسن بن زيد قال : دخلنا على عبد الله بن الحسن ابن الحسن ، بعثنا اليه رباح « والى المدينة » بكلمة فى أمر ابنيه ، فاذا به على حقيبة فى بيت فيه تبن ، فتكلم القوم حتى اذا فرغوا من كلامهم أقبل على فقال : يا ابن أخى والله لبليتى أعظم من بلية ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، ان الله عز وجل أمر ابراهيم أن يذبح ابنه ، وهو لله طاعة ، قال ابراهيم (ان هذا لهو البلاء المبين) وانكم جئتمونى تكلمونى فى أن آتى بابنى هذا الرجل فيقتلهما ، وهو لله جل وعز معصية . فوالله يا ابن أخى لقد كنت على فراشى فما يأتينى النوم ، وانى على ما ترى أطيب نوما .

قال أبو الفرج ، وكان محمد وابراهيم يأتيان أباهما معتمين فى هيئة الأعراب ، فيستأذنانه فى الخروج فيقول لا تعجلا حتى نملكا ، ويقول : ان منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين ، فلا يمنعكما ان تموتا كريمين .

فضائل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن :

قال أبو الفرج كان يقال له صريح قريش ، لأنه لم تقم عنه أم ولد فى جميع آبائه وأمهاته وجداته وكان أهل بيته يسمونه المهدى ، ويقدرون أنه الذى جاء فى الرواية ، وكان علماء آل أبى طالب يرون فيه أنه النفس الزكية وأنه المقتول بأحجار الزيت ، (وجاء فى مروج الذهب أنه كان يدعى النفس الزكية لزهده ونسكه) . وكان من أفضل أهل بيته ، وأكبر أهل زمانه فى علمه بكتاب الله ، وحفظه له ، وفقهه فى الدين ، وشجاعته ، وجوده ، وبأسه ، وكل أمر يجمل بمثله ، حتى لم يشك أحد أنه المهدى ، وشاع ذلك له فى العامة ، وبايعه رجال من بنى هاشم جميعا من آل أبى طالب ، وآل العباس ، وسائر بنى هاشم .

قالوا ثم ظهر من جعفر بن محمد (أى الصادق) قول فى أنه لا يملك ، وأن الملك يكون فى بنى العباس ، فانتبهوا من ذلك لأمر لم يكونوا يطمعون فيه .

أقول : وقد علمت مما طالعته ، أن كلام سيدى جعفر بن محمد كان ينظر فيه بنور البصيرة ، وكان رضى الله عنه على نور من ربه ، بل لقد أحس

أن محمدا وابراهيم سيقتلان ولا يليان الخلافة ، وقد قال لأبيهما ان هـذا الأمر والله ليس اليك ولا الى ابنيك وانما هو لهذا ـ يعنى السفاح ثم لهذا يعنى المنصور ثم لولده من بعده ـ لا يزال فيهم حتى يؤمروا الصبيان ويشاوروا النساء ، وكان أبوهما يستبعد قوله ، فكان الأمر كما صرح ، فتولى أبو العباس السفاح الخلافة ومن بعده أبو جعفر المنصور ، لذلك قالوا ان أبا جعفر المنصور هو الذى سماه (الصادق) فاشتهر بجعفر الصادق ، حيث تحقق للمنصور من كشفه ما كان بعيدا عن تصديقه وكان المنصور اذا حدث عنه قال : قال لى الصادق جعفر بن محمد كذا وكذا .

هذا وقد قال أبو الفرج أنه عند مقتل الوليد بن يزيد ، واختلاف كلمة بنى مروان خرجت دعاة بنى هاشم الى النواحى . فكان أول ما يظهرونه فضل على بن أبى طالب وولده ، وما لحقهم من القتل والخوف والتشريد ، فاذا استتب لهم الأمر ادعى كل منهم الوصية لمن يدعو اليه .

ثم قال : فلما ظهرت الدعوة لبنى العباس وملكوا ، حرص السفاح والمنصور على الظفر بمحمد وابراهيم لما فى أعناقهم من البيعة لمحمد، فتواريا، فلم يزالا ينتقلان فى الاستتار ، والطلب يزعجهما من ناحية الى أخرى ، حتى ظهرا فقتلا ، صلوات الله عليهما ورضوانه .

ويقول ابن هرمة فى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن :

لا والذى أنت منه نعمة سلفت   نرجو عواقبها فى آخر الزمن
ما غيرت وجهه أم مهجنة   اذ القتام يغشى أوجه الهجن

وكان سيدى جعفر الصادق رضى الله عنه ، اذا رأى محمد بن عبد الله تغرغرت عيناه ثم يقول : بنفسى هو ، ان الناس يقولون فيه انه المهدى وأنه المقتول . وكان سيدى جعفر الصادق مشهورا فى زمانه بكشف كثير من الأمور الغيبية ، والله يختص برحمته من يشاء (ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء) .

ونكتفى بهذا القدر مما جرى للسادة بنى الحسن فى صدر الدولة العباسية حتى لا يخرج بنا الأمر عن الايجاز الذى نتوخاه فى الكتيب ومن

أراد المزيد فليرجع الى مقاتل الطالبيين وتاريخ الطبرى وغيرهما من المراجع الواسعة . ويرحم الله دعبلا الخزاعى حين كان يقول :

أرى أميــة معــذورين ان قتــلوا ولا أرى لبنى العبــاس من عــذر

وهو لا يقصد أن يعذر بنى أمية عذرا شرعيا ، انما يريد أن يعذرهم فى هوى نفوسهم . وقد غلبهم على الحق فضلوا وأضــلوا عن سواء السبيل ، ولم يكن لبنى العباس وهم من بنى هاشم أن يقلدوهم فى مسلكهم الضال المضل .

وأكاد أجزم أنه لو قام عبد الله بن عباس ما تقدم ، على فضله وعلمه ، أحدا من الحسنيين أو الحسينيين ، فقــد دخل مرة على معــاوية بعد موت سيدنا الحسن عليه السلام فقال له معاوية أنت شيخ بنى هاشم ، ، فقال : أما وأبو عبد الله حى فلا (يقصد سيدنا الحسين عليه السلام) ، وأين السفاح وأبو جعفر المنصور من جدهم عبد الله بن العباس فى العلم والفضل ــ وكان أمر الله قدرا مقدورا .

وفى مناسبة ذكرى دعبل ــ رحمه الله ــ نقتطف بعض أبيات من قصيدة له طويلة (١٢٠ بيتا) أنشدها فى خراسان بين يدى سيدى الامام على الرضا ابن سيدى موسى الكاظم وتحسر فيها على ما أصاب آل البيت من الاضطهاد والاغتراب والقتل ونوه بفضلهم وتمسك بحبهم :

ذكرت محــل الربــع من عرفــات فأجريت دمــع العــين بالعبــرات
وفل عرى صبرى وهاجت صبابتى رســوم ديــار أقفــرت وعــرات
مدارس آيات خلــت من تــلاوة ومنــزل وحى مقفــر العرصــات
لآل رســول الله بالخيف من منى وبالبيت والتعــريف والجمــرات
قفا نســأل الدار التى خف أهلهــا متى عهــدها بالصــوم والصلوات
وأين الألى شطت بهم غربة النوى فأمســين فى الأقطــار مغتــربات
أحب فضــاء الدار من أجل حبهم وأهجــر فيهم أســرتى وثقــاتى
وهم أهل ميراث النبى اذا انتمــوا وهم خير ســادات وخيــر حمــاة
أئمــة عــدل يقتــدى بفعــالهم وتؤمن منهــم زلــة العثــرات

فيا رب زد قلبى هـدى وبصـيرة وزد حبهـم يا رب فى حسناتى
لقد أمنت نفسى بهـم فى حياتهـا وانى لأرجو الأمن بعـد وفـاتى
ألـم تـر أنى من ثلاثين حجـة أروح وأغـدو دائم الحسـرات
أرى فيئهـم فى غـيرهم متقسـما وأيديهمـو من فيئهـم صـفرات
سـأبكيهمو ما ذر فى الأفق شارق ونادى منـادى الخير بالصـلوات
وما طلعت شـمس وحان غروبهـا وبالليـل أبكيهم وبالغـدوات
فلولا الذى أرجوه فى اليوم أو غد لقطـع قلبى اثرهـم حسـرات
فيا نفس طيبى ثم يا نفس فاصبرى فغيـر بعيـد كـل ما هـو آت
ملامـك فى أهـل النبى فانهـم أحبـاى ما عاشـوا وأهل ثقـاتى
تخيـرتهم رشـدا لأمرى فانهـم على كل حـال خيـرة الخيـرات
فيـا رب زدنى من يقينى بصـيرة وزد حبهـم يا رب فى حسـناتى

وقد قالوا أنه عندما بلغ فيها قوله :

اذا وتـروا مدوا الى أهل وتـرهم أكفـا عن الأوتـار منقبضـات

بكى سيدى على الرضا حتى أغمى عليه ، واستعاد ذلك البيت ثلاثا ، وفى كل مرة يغمى عليه فلما أفاق ، قال له أحسنت ثلاث مرات ، وأعطاه عشرة آلاف درهم مضروبة باسمه فى خراسان ؛ كما أعطاه ثوبا من ثيابه فعرض عليه ثلاثون ألفـا ثمنا له فأبى وحلف ألا يبيعـه أو يعطـوه بعض الثوب ليكون فى كفنه فأعطوه ، وقالوا كذلك أنه حين قدم دعبل العراق باع كل درهم بعشرة دراهم ، اشتراها منه الشيعة .

وقد طلب منه المأمون انشاد تلك القصيدة وقال له لك الأمان فلا تخف، فصار ينشدها والمأمون يبكى حتى أخضلت (تبللت) لحيته .

وفاة الامام الحسن بن على رضى الله عنه :

قال أبو الفرج ، كانت وفاته عليه السلام بعد عشر سنين خلت من امارة معاوية ، وذلك فى سنة ٥٠ من الهجرة ؛ وقال أبو الفدا وابن الأثير الصحيح أنه توفى فى سنة ٤٩ هـ .

الامام الحسن عليه السلام يموت مسموما :

قال أبو الفرج : دس معاوية السم للامام الحسن حين أراد أن يعهد الى يزيد بعده ، وكذلك دس معاوية السم لسعد بن أبى وقاص ، فماتا منه فى أيام متقاربة .

قال أبو الفرج : وكان الذى تولى ذلك من الحسن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس لمال بذله لها معاوية فقد أرسل اليهـا انى مزوجك بيزيد ابنى : على أن تسمى الحسن بن على وبعث اليها بمائة ألف درهم ، فقبلت وسمت الحسن ، فسوغها المال ولم يزوجها من يزيد ، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها ، فكان اذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم ، وقالوا يا بنى مسمة الأزواج .

وروى أبو الفرج بسنده عن عمير بن اسحق ، قال : كنت مع الحسن والحسين فى الدار ، فدخل الحسن المخرج ، ثم خرج فقال : سقيت السم مرارا ما سقيته مثل هذه المرة ، ولقد لفظت قطعة من كبدى ، فجعلت أقلبها بعود معى ، فقال له الحسين : من سقاكه ، فقال وما تريد منه ، أتريد أن تقتله ، ان يكن هو فالله أشد نقمة منك ، وان لم يكن هـو فما أحب أن يؤخذ بى برىء .

رأى الدكتور طه حسين فى قصة السم :

ويقول عميد الأدب العربى الدكتور طه حسـين تعليقا على قصـة السم :

« ولست أقطع بأن معاوية قد دس الى الحسن من سمه ، ولـكنى لا أقطع كذلك بأنه لم يفعل ، فقد عرف الموت بالسم فى أيام معاوية عـلى نحو غريب مريب فقد مات الأشتر — فيما يقول المؤرخـون مسموما فى طريقه الى ولاية مصر ، فخلصت مصر لمعاوية ، وقال معاوية وعمرو « ان لله لجندا من عسل » ومات عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مسموما بحمص فى خبر طويل ، ومات الحسن بين هذين الرجلين مسموما كذلك فى أكبر الظن ، وخلصت الخلافة لمعاوية وابنه يزيد » .

أقول وعلى الرغم من أن جميع المصادر العربية تقول أن الحسن مات مسموما فان دائرة المعارف الاسلامية وهى من صنع المستشرقين ، زعمت كاذبة أنه مات بمرض السل لافراطه فى الشهوة ، وهذا دأب المستشرقين فيما يكتبون ، فانهم يحاولون دائما أن يضعفوا الثقة فى أئمة المسلمين وسلفهم الصالح ، وهيهات أن يحجبوا نور الشمس بأكفهم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

معاوية يشمت بموت الامام الحسن :

وفد عبد الله بن عباس على معاوية ، قال فوالله انى لفى المسجد اذ كبر معاوية فى الخضراء ، فكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء ، فخرجت فاخته بنت قرظة بن عمرو بن نوفل من خوخة لها فقالت : سرك الله يا أمير المؤمنين ، ما هذا الذى بلغك فسررت به ، قال موت الحسن بن على ، فقالت انا لله وانا اليه راجعون ، ثم بكت وقالت مات سيد المرسلين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية : نعما والله ما فعلت انه كان كذلك أهلا لأن يبكى عليه .

ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فراح فدخل على معاوية ، فقال معاوية : علمت يا ابن العباس أن الحسن قد توفى ، قال ألذلك كبرت، قال نعم ، قال ابن عباس :

والله ما موته بالذى يؤخر أجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ، ولئن أصبنا به فقد أصبنا بسيد الأوصياء ، فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة ، فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معدا .

وقد قال أحد الشعراء فى شماتة معاوية :

أصبح اليوم ابن هند شامتا ظاهر النخوة اذ مات الحسن
يا ابن هند ان تذق كأس الردى تك فى الدهر كشىء لم يكن
لست بالباقى فلا تشمت به كل حى للمنايا مرتهن

ولم تكن شماتة معاوية بموت الامام الحسن مستغربة ، فقد شمت من قبله بموت أبيه الامام على كما سترى فيما بعد .

وقد نسب بعض الرواة دس السم الى يزيد ، ولعلهم راعوا فى ذلك صحبة معاوية فأرادوا أن يجنبوه قتل النفس التى حرم الله الا بالحق،ولكنك ستعلم بعد حين أنه قتل حجر بن عدى وهو صحابى جليل ، وقتل معه أصحاب حجر لا لذنب الا أنهم كانوا من محبى الامام على وبنيه ، وقد قال تعالى لرسوله داود عليه السلام « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » . ودع عنك الدماء التى سالت من عشرات الالوف فى الجمل وصفين والمعارك التى ترتبت على بيعة يزيد ، وقد ترتبت كلها على موقف معاوية من الامام على وابنيه ، ولم يكن له عذر شرعى فيه .

الامام الحسن يوصى ان يدفن الى جنب جده صلى الله عليه وسلم :

روى أبو الفرج بسنده أن الامام الحسن عليه السلام أرسل الى السيدة عائشة رضى الله عنها أن تأذن له أن يدفن مع النبى صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ما كان بقى الا موضع قبر واحد ، فلما سمعت بذلك بنو أمية . اشتملوا بالسلاح هم وبنو هاشم للقتال . وقالت بنو أمية : والله لا يدفن مع النبى صلى الله عليه وآله أبدا .

فبلغ ذلك الحسن فارسل الى أهله ، أما اذا كان هذا فلا حاجة لى فيه ، ادفنونى الى جانب امى فاطمة ، فدفن الى جنب أمه فاطمة عليهاالسلام بالبقيع ، وصلى عليه سعيد بن العاص وكان أميرا بالمدينة ، قدمه الامام الحسين للصلاة على أخيه وقال لولا أنها سنة ما قدمتك .

وصية الامام الحسن لأخيه الامام الحسين :

لما حضرت الامام الحسن الوفاة قال لأخيه الامام الحسين رضى الله عنهما :

يا آخى ، ان أبانا رحمه الله تعالى ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم استشرف لهذا الأمر ورجا أن يكون صاحبه ، فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة ، تشوف اليها أيضا فصرفت عنه الى

عمر ، فلما احتضر عمر ، جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه ، فصرفت عنه الى عثمان ، فلما هلك عثمان ، بويع ، ثم نوزع حتى جرد السيف ، وطلبها فما صفا له شيء منها .

وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة . فلا أعرفنك استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك ، وقد كنت طلبت الى عائشة اذا مت أن تأذن لى فأدفن فى بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت نعم ، وانى لا أدرى لعل ذلك كان منها حياء ، فاذا أنا مت فاطلب ذلك اليها ، فان طابت نفسها فادفنى فى بيتها ، وما أظن الا القوم سيمنعونك اذا أردت ذلك . فان فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك وادفنى فى بقيع الغرقد .

قالوا ، ولما بلغ أبا هريرة أن مروان منع أن يدفن الامام الحسن مع جده صلى الله عليه وسلم ، قال والله ما هو الا ظلم ، يمنع الحسن أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه لابن رسول الله ، ثم انطلق الى الامام الحسين وناشده الله وقال له : أليس قد قال أخوك ان خفت أن يكون قتال فردونى الى مقبرة المسلمين .

قال ثعلبة بن أبى مالك : شهدت الحسن يوم مات ودفن فى البقيع ، فلقد رأيت البقيع لو طرحت فيه ابرة ما وقعت الا على رأس انسان (لشدة الزحام) .

ولم يشهد جنازته أحد من بنى أمية الا سعيد بن العاص . وكان يومئذ أميرا على المدينة فتركوه فشهد دفنه فى المقبرة وقال هى السنة ، وخالد بن الوليد بن عقبة ، ناشد بنى أمية أن يتركوه يشاهد الجنازة ، فتركوه فشهد دفنه .

وانك لتعجب كيف لا يشيع بنو أمية جنازة الامام الحسن ، وهو الذى سالمهم وحقن دماءهم ودماء المسلمين ولعلهم خافوا سطوة معاوية وها قد رأيت أن أهل المدينة خرجوا لتشييعه حتى لو طرحت فى البقيع ابرة ما وقعت الا على رأس انسان ، وهكذا يفضح الصبح فحمة الدجى .

رثاء اخيه محمد بن الحنفية :

مر على القارىء العزيز ما رثاه به الامام الحسين رضى الله عنه ،وهاك ما رثاه به أخوه لأبيه محمد بن الحنفية رضى الله عنهم أجمعين :

لئن عزت حياتك ، لقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك . وكيف لا تكون هكذا ، وأنت عقب الهدى ، وخلف أهل التقوى ، وخامس أصحاب الكساء ، غذتك بالتقوى أكف الحق ، وأرضعتك ثدى الايمان ، وربيت فى حجر الاسلام ، فطبت حيا وميتا ، وان كانت أنفسنا غير سخية بفراقك ، رحمك الله أبا محمد .

ثم أنشد يقول :

أأدهن رأسى أم تطيب مجالسى ... وخدك معفور وأنت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه ... وقد ضمن الأحشاء منك لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة ... وما اخضر فى أرض الحجاز قضيب
غريب وأكناف الحجاز تحوطه ... ألا كل من تحت التراب غريب

رثاء رجال من ولد ابى سفيان بن الحارث :

وقام رجل من ولد أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :

ان أقدامكم قد نقلت ، وان أعناقكم قد حملت الى هذا القبر ، وليا من أولياء الله ، ليبشر نبى الله بمقدمه ، وتفتح أبواب السماء لروحه ؛ وتبتهج الحور العين بلقائه ، ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ، ويوحش أهل الحجى والدين فقده ؛ رحمة الله عليه ، وعنده تحتسب المصيبة به .

رثاء الشاعر النجاشى :

ومما قاله الشاعر النجاشى فى رثاء الامام الحسن عليه السلام :

جعدة بكيه ولا تسأمى ... بعد بكاء المعول الثاكل
لم يسبل الستر على مثله ... فى الأرض من حاف ومن ناعل
أعنى الذى أسلمنا هلكه ... للزمن المستخرج الماحل

ورثاء شاعر آخر فقال :

تأس فكم لك من سلوة تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبى وقتل الوصى وقتل الحسين وسم الحسن

رثاء سليمان بن قتة :

روى أبو الفرج بسنده عن محمد بن على بن حمزه أن سليمان بن قتة قال فى رثاء الامام الحسن :

يا كذب الله من نعى حسنا ليس لتكذيب نعيه ثمن
كنت خليلى وكنت خالصتى لكل حى من أهله سكن
أجول فى الدار لا أراك وفى الدار أناس جوارهم غبن
بدلتهم منك ليت أنهمو أضحوا وبينى وبينهم عدن

أقول وصدق صلى الله عليه وسلم حين قال « الخلافة بعدى ثلاثون ثم نصير ملكا عضودا » . وقد كملت الثلاثون سنة بخلافة الامام الحسن عليه السلام ، ثم صارت ملكا عضودا . لم تتسن فيه خلافة الراشدين ، وصدق امامنا على بن أبى طالب حين رأى الناس يجنحون الى الدنيا فقال : أردتكم لله ، وتريدونى لأنفسكم .

من حكم الامام الحسن عليه السلام :

ونسرى قليلا عن القارىء العزيز ببعض من الحكم التى فاض بها قلب الامام الحسن عليه السلام . ولا تعجب من علو مستواها فانه شبل الامام على كرم الله وجهه ، وسترى وصيته له ، وتعرف منها كيف كانت عناية أبيه بتربيته .

قال الامام الحسن رضى الله عنه : حسن السؤال نصف العلم .

وقال : من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه .

وسئل عن الصمت فقال ، هو سر العى ، وزين العرض ، وفاعله فى راحة ، وجليسه فى أمن .

وقيل له : ان أبا ذر يقول : الفقر أحب الى من الغنى ، والسقم أحب الى من الصحة ، فقال رحم الله أبا ذر . أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله ، لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختارها الله له .

وكان رضى الله عنه يقول :

يا ابن آدم ، عف عن محارم الله تكن عابدا ، وارض بما قسم الله لك تكن غنيا . وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما ، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلا .

وقد سأله أبوه يوما فقال له : يا بنى ما السداد . فقال : دفع المنكر بالمعروف .

قال فما الشرف . قال : اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة .

قال فما السماح . قال : البذل فى العسر واليسر .

قال فما اللؤم ، قال : احراز المرء ماله وبذل عرضه .

قال فما الجبن ، قال : الجراءة على الصديق والنكول عن العدو .

قال فما الغنى ، قال : رضى النفس بما قسم الله لها وان قل .

قال فما الحلم ، قال : كظم الغيظ وملك النفس .

قال فما المنعة ، قال : شدة البأس ومنازعة أعز الناس .

قال فما الذل ، قال : الفزع عند الصدمة .

قال فما الكلفة . قال : كلامك فيما لا يعنيك .

قال فما المجد . قال : ان تعطى فى الغرم وتعفو فى الجرم .

قال فما السؤدد ، قال : اتيان الجميل وترك القبيح .

قال فما السفه ، قال : اتباع الدناءة ومحبة الغواية .

قال فما الغفلة ، قال : ترك المسجد وطاعة المفسد .

وكان رضى الله عنه يقول : لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل. وبالعقل تدرك الداران جميعا .

وكان يقول : هلاك الناس فى ثلاث : فى الكبر والحرص والحسد ، فالكبر هلاك الدين وبه لعن ابليس ، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة ، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل .

وكان رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل :

يا أهــل لذات دنيــا لا بقاء لهــا   ان اغترارا بظــل زائل حمق

وقال رضى الله عنه · لا تأت رجلا الا أن ترجو نواله . أو تخاف يده ، أو تستفيد من علمه . أو ترجو بركته ودعاءه ، أو تصل رحما بينك وبينه .

وقال أيضا عليه السلام : علم الناس علمك . وتعلم علم غيرك ، فتكون وقد اتقنت علمك علمت .

وقال عليه السلام : دخلت على أمير المؤمنين وهو يجود بنفســه لما ضربه ابن ملجم . فجزعت لذلك فقال أتجزع . فقلت وكيف لا أجزع وأنا أراك فى حالك هذه . فقال ألا أعلمك خصالا أربعــا ان أنت حفظتهن نلت النجاه . وان انت ضيعتهن فاتك الداران .

يا بنى لا غنى أكبر من العقل ، ولا فقر مثل الجهل ، ولا وحشــة أشد من العجب . ولا عيش الذ من حسن الخلق .

الباب الثانى

تاريخه السياسى

* كيف بويع الامام على
* فتنــة الخــوارج
* الخـــلافة والملك
* لماذا تنازل الامام الحسن عن الخلافة

لا يستطيع القارىء أن يتفهم تاريخ الامام الحسن السياسى من غير أن يقف على موجز لتاريخ أبيه الامام على كرم الله وجهه ؛ لأن الامامين الحسن والحسين عليهما السلام : شاركا أباهما فى سلمه وحربه ، وعاصرا خطوبه التى تتابعت عليه خطبا بعد خطب ، تلك الخطوب التى تهد الجبال من هولها ؛ كما انهما عاشرا معه أصحابه وأنصاره ، وقاتلا معه أعداءه وخصومه ؛ وانما كان الذى وقع لهما بعد قتل أبيهما حلقات فى سلسلة واحده يتصل أولها بآخرها .

ونوجز تاريخ أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه فنقول :

انتهت الثورة على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه بمقتله ، وكان الثوار قد وفدوا الى المدينة المنورة من مصر والكوفة والبصرة ،وقد قتلوه بعد أن حاصروه فى داره أربعين يوما ، ولم يذكروا له أياديه البيضاء على الاسلام والمسلمين . ولم يذكروا له أن جيوشه صانت هيبة الدولة الاسلامية بعد مقتل أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وغزت برا وبحرا وأمنت سلامة الدولة . وضمت بلادا كثيرة فى الشرق والغرب اليها ، كما لم يذكروا له انه جمع المصحف الشريف على ترتيبه الحالى ، وعلى القراءة الغالبة فى زمانه ؛ حتى لا يختلف المسلمون فيقول هؤلاء قرآننا ويقول أولئك قرآننا . وهذا من أمجد الأعمال وأجرئها بشهادة الباحثين المدققين.

لكن الفتنة كانت صماء عمياء . وقام بها الدهماء وحركها اليهودى المنافق عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء . وكان من رأى امامنا على أن يقاتل دفاعا عن الخليفة المحصور ؛ واستأذن أمير المؤمنين عثمان فى القتال لكنه لم يقبل كما سترى . وخشى أن تعوم بين المسلمين حرب أهلية تراق فيها الدماء ، فآثر أن يضحى بنفسه ولا يكون سببا فى حرب شعواء .

ولم يتخل الامام على عن نصرة أمير المؤمنين عثمان . بكل ما ملكت يداه ، فكان يمده بالرأى الناصح الأمين . وأرسل ولديه الامامين الحسن والحسين فقاما بسيفيهما على بابه ليدفعا الثوار من اقتحامه ، وحين منع

الثوار الماء عن أمير المؤمنين عثمان أرسل اليه امامنا على قرب الماء على عجل .

وكان موقف امامنا على من هذه الفتنة فى غاية الدقة ، فالثوار كانوا يلجأون اليه ويلوذون به ، وأمير المؤمنين عثمان كان يراجعه ويشاوره المرة بعد المرة ، وكلما هم أمير المؤمنين عثمان أن يعمل برأى امامنا على ، كان مروان يشككه ويخوفه ، حتى وقع ما قدر الله أن يكون من استشهاد أمير المؤمنين عثمان . حيث تسور الثوار عليه الدار من الخلف من بيت مجاور لأحد الأنصار وقتلوه ، وقد حزن لقتله سيدنا على . ولطم ابنه الحسن على وجهه ظنا منه أنهم دخلوا عليه من الباب .

وبقيت المدينة خمسة أيام بعد الاستشهاد يحكمها الغافقى بن حرب زعيم الثوار ، وهم يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالخلافة .

وكان هوى أهل مصر مع الامام على ، وهوى أهل البصرة مع طلحة ابن عبيد الله ، وهوى أهل الكوفة مع الزبير بن العوام .

وكان المصريون يلحون على الامام على ، وهو يهرب منهم الى الحيطان (البساتين) ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم .

فقالوا فيما بينهم ، لا نولى أحدا من هؤلاء الثلاثة ، فمضوا الى سعد بن أبى وقاص ، فقالوا انك من أهل الشورى ، فلم يقبل منهم ، ثم راحوا الى ابن عمر فابى عليهم ، فحاروا فى أمرهم .

ثم قالوا : ان نحن رجعنا الى أمصارنا بقتل عثمان من غير امرة ، اختلف الناس فى أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا الى الامام على والحوا عليه ، فأخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس ، وكلهم يقول لا يصلح لها الا على

وقد أرادوا أن يبايعوه فى داره ، فأبى الا أن تكون البيعة علانية فى المسجد ، وقال لو تخلف عنى بدرى واحد من أهل بدر لا أقبل الخلافة ، فبايعه المهاجرون والأنصار وأهل بدر ولم يتخلف عنه بدرى واحد .

فلما كان يوم الجمعة ، وصعد المنبر ، بايعه من لم يبايعــه بالأمس ، وكان أول من بايعه طلحة ، ثم الزبير .

وأنت ترى من ذلك أن الخلافة جاءته منقادة راغمة ، ولم يكن غيــره يصلح لها على الشروط التى شرطها الثوار ، لذلك كان ، كرم الله وجهه ، صادقا حين قال : ان العامة لم تبايعنى لسلطان غالب ، ولا لعرض حاضر .

وبراءة الامام على من دم أمير المؤمنين عثمــان أوضح من الواضح وأظهر من الظاهر ، ولو كان أمير المؤمنين عثمان يشك فيه ولو قليلا مافزع اليه كلما تحرجت عليه الأمور ، وقد ساعده فى تفريج الأمــور ، فصرف الناس عن الالتفاف حول طلحة ، وأعطاهم الأموال من بيت المــال ، حتى اضطر حين لم يجد المفتاح أن يكسر الباب ليعجل لهم العطاء فتسكن ثائرتهم، وقد سر عمله هذا أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ، وقد كان على يقين من اخلاص امامنا على ووفائه . يدلك على ذلك أنه اتصــل به فى أخريات أيامه فقال له : ان أمر الناس ارتفع فى شأنى فوق قدره وزعموا أنهم لا يرجعون دون دمى ، وطمع فى من لا يدفع عن نفسه :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل .. والا فأدركنى ولما أمزق .

وقد حاول امامنا على . كرم الله وجهه ، أن يدفع الشر عن الخليفة بكل ما ملكت يداه ، حتى غلب قضاء الله ، فقد روى شداد بن أوس أن الامام عليا خرج من داره حين أحاط الثوار ببيت عثمان عليه السلام معتما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه . أمامه الحسن وعبدالله بن عمر فى نفر من المهاجرين والأنصار حتى حملوا على الناس وفرقوهم .

ثم دخلوا على الخليفة ، فسلم عليه الامام على ، وقال بعد تمهيد وجيز. لا أرى القوم الا قاتليك فمرنا فلنقاتل . فقال الخليفة : أنشد الله رجلا رأى لله حقا وأقر أن لى عليه حقا ، أن يهريق فى سبيلى ملء محجمة من دم ، أو يهريق دمه فى . فأعاد على القول . فأعاد الخليفة عليه هذا الجواب .

ثم خرج الامام على من عنده الى المسجد ، وحضرت الصلاة فنادوه : يا أبا الحسن تقدم فصــل بالنــاس ، فقال : لا أصلى بكم والامام محصور

ولكنى أصلى وحدى ، ثم صلى وحده وانصرف الى منزله ، وترك ابنيه الحسن والحسين مع أبناء زمرة الصحابة فى حراسة دار الخليفة ، الا أن الثوار تسوروا الدار من دار مجاورة وقتلوا الخليفة كما مر القول .فمات شهيدا . ولو شاء لسفك دماء الثوار قبل أن يمسوه بسوء ، بمالهمن ولاية وسلطان عليهم ، ولكن الله غالب على أمره .

أقول ومن عجب أن يتهم معاوية وأعوانه الامام على بقتل عثمان رضى الله عنه . وقد بذل كل جهد مستطاع فى نصرته وحمايته حتى انهعهد الى ولديه الحسن والحسين أن يقفا مدافعين عنه بسيفيهما مع أنه كان يضن بهما خشية أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض . ولم يحرك معاوية ساكنا فى نصرة عثمان عليه السلام ، وكان معاوية ممكنا فى ولايته بالمال والرجال . وكان حاضرا المؤتمر الذى عقده أمير المؤمنين عثمان من مستشاريه للتفكر فى طلبات الثوار ، كما كان عمرو بن العاص حاضرا ذلك المؤتمر ورأوا رأى العين خطر الثوره على الخليفة ،لكن معاوية كان يتطلع فى نفسه الى الخلافة اذا أقصى عثمان عنها . وكان عمرو موتورا من عثمان حيث عزله عن ولاية مصر فكان يحرض عليه ، لا بل انه أول من أشار عليه باعتزال الخلافة فابى عثمان اعتزالها وقال لا أنزع قميصا ألبسنيه الله ، كما أبى أن يخرج من المدينة وقال . لا أترك جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

موقعه الجمل :

ولكن ما الحيلة فى مغالطة المغالطين من خصوم الامام على ، فقد رموه بدم عثمان زورا وبهتانا وطالبوه بتسليم قتلته أو القود (القصاص) منهم تعجيزا له فى بداية خلافته .

أما القتلة فلم يكونوا معروفين على وجه التحديد ؛ وأما القود فلولى الأمر ، وهم لم يعترفوا بولايته ومن كان منهم بايعه عدل عن بيعته .

ذلك بأن طلحة والزبير ، تعللا بمقتل عثمان ، بعد أن كان بايعا أمير المؤمنين عليا ، على ملأ من المهاجرين والانصار ، كما تعلل بمقتل عثمان

معاوية حين أبى أن يبايع ؛ مع أن أهل المدينة من المهاجرين والأنصار عقدوا لأمير المؤمنين على البيعة ، والناس تبع لهم فى سائر الأقطار والأمصار وجرى الامر على ذلك فى خلافة سادتنا أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم .

وكان الامام على رضى الله عنه ، من الذكاء بحيث لا تنطلى عليه حيلة خصومه . لكنه كان يعامل الله فى عباده ، فيخشاه سبحانه ولا يخشى الناس ؛ فوسع خصومه بالحلم والمهادنة ، والاقناع قبل أن يجرد فيهم سيفه ، ليعذره الله فى قتالهم بماله من ولاية وسلطان عليهم .

وكان لمعاوية أكبر ضلع فى تلك الفتنة المشؤومة ، فانه كتب من الشام لطلحة واقبه بأمير المؤمنين ولم يكن ذلك جائزا منه . فان بيعة أهل المدينة، وقد بايعوا الامام عليا ؛ قد لزمت معاوية . وهو بالشام ، كما لزمته بيعة الخلفاء قبله ؛ كما أن معاوية حرض طلحة على مناوأة أمير المؤمنين على .

وقد طلب طلحة والزبير أن يشركهما أمير المؤمنين على معه أو أن يوليهما البصرة والكوفة . أما اشراكهما فى الخلافة فليس بالأمر الطبيعى ، فالخلافة له وحده . وأما الولاية ، فانها كانت تسكنهما من مناوأته . وكانت العراق موئل المال والرجال . كما أنها قريبة الجوار من بلاد الشام التى أتت منها مناوأة معاوية .

وقد استأذن طلحة والزبير أمير المؤمنين عليا فى الخروج الى مكة ، وقالا له ، اننا نريد العمرة . فقال لهما انكما لا تريدان العمرة بل تريدان الغدرة .

وقد أفلح طلحة والزبير فى اقناع السيدة عائشة رضى الله عنها فى الخروج معهما الى العراق ؛ وتأييدهما ، وكان طلحة تيميا من أبناءعمومتها، وكان الزبير زوجا لأختها السيدة أسماء بنت أبى بكر ، وكذلك رجاها ابن أختها عبدالله بن الزبير ، وكان ربيبا لها من طفولته ، بل انها كانت تكنى به ويقال لها « أم عبد الله » ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى اختار لها هذه الكنية .

خرج طلحة والزبير بجيشهما الى البصرة ، وخرجت مع الجيش السيدة عائشة ، وحين اختلفا فى الطريق أيهما يكون اماما قدمت ابن اختها عبد الله ابن الزبير فصلى بالناس .

وقد تحققت فى الطريق معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم فانه قال مرة لسيداتنا أمهات المؤمنين : أيتكن صاحبة الجمل الأحدب ، تنبحها كلاب الحوأب ، ثم نظر الى السيدة عائشة وقال لها أخشى أن تكونيها ياحميراء .

فقد نبحت كلاب الحوأب ، وكانت سيدتنا عائشة تركب الجمل الأحدب ، ولما علمت بذلك همت بالرجوع ، فأتى لها عبد الله بن الزبير بجماعة من البدو شهدوا زورا بأن هذه الجهة ليست الحوأب ، وكانت هذه بكل أسف ، أول شهادة زور وقعت لله الاسلام .

فسارت مع الجيش مكذوبة ومخدوعة . رضى الله عنها ، وكان ماقدر الله من التحام جيش طلحة والزبير بقوات أمير المؤمنين على فى البصرة فى الواقعة التى عرفت بواقعة الجمل نسبة الى الجمل الذى كانت تركبه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

وكان من عادة أمير المؤمنين على ، أن يبدأ باقناع خصومه قبل أن يبدأهم بالقتال كما قدمنا .

فنادى الزبير من بين صفوفهم ، وقال له : أتذكر أنك يوما صافحتنى وعانقتنى بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لك أتحبه ، فقلت كيف لا أحبه وهو أخى وابن خالى ، فقال لك : أما انك ستقاتله وأنت ظالم له ، فقال الزبير : لقد أذكرتنى ما أنسانيه الدهر ، لو ذكرت ذلك ما خرجت والله لا أقاتلك أبدا ، وانسحب من المعركة ، فعيره ابنه عبد الله بن الزبير ، وقال له تعيرنا نساء قريش ، فقال يا بنى لقد أذكرنى ما أنسانيه الدهر ، العار ولا النار .

هذه نفس الزبير ، نفس كريمة ، رجاعة للحق ، والرجوع الى الحق أولى من التمادى فى الباطل .

وقدر الله ، أن يقتـل الزبير رضى الله عنه خارج المعـركة فى وادى الجرموز ،ظنا من قاتله أن ذلك يرضى الامـام عليـا ، فذهب برأس الزبير الى الامام على . يطلب منه أجره ، فقال له أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بشر قاتل الزبير بالنار .

والتحست القوات بعضها ببعض . وكان القتال عنيفا حول الجمل ،فأمر امامنا على بعقر الجمل فعقر ، وتم النصر لأمير المؤمنين على خصومه ،وأكرم معاملة أم المؤمنين فقالت رضى الله عنها له : يا ابن أبى طالب ملكت فأسجح، فقال غفر الله لك . فقالت رضى الله عنها له : وغفر لك .

وقد ندمت السيدة عائشة أشد الندم لخروجها وقالت ، لو لم أسر مسيرى ذلك لكان أحب الى من أن يكون لى ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (فقيه المدينة) كما قالت ليتنى مت قبل هـذا اليوم بعشرين عاما . وكانت كثيرا ما تبكى وتقول (وقرن فى بيوتكن) .

والسيدة عائشة أم رحيمة بأبنائها . ولا شك أنها تألمت حين رأتقريبا من عشرين ألف نفس من أبنائها المؤمنين يموتون فى تلك المعركة ، والفئتان من المؤمنين وعندما تركت رضى الله عنها البصرة الى المدينة ، ودعها الناس ، فقالت لهم انه لم يكن قط بينها وبين الامام على الا ما يكون بين المـرأة وأحمائها (أهل الزوج) .

وتلك نفس السيدة عائشة . وهى نفس كريمة أوابة .

أما طلحة ، فقد ضربه مروان بن الحكم فقتله ، واعجب أيها القارىء الكريم من حليف يقتـل حليفه . فان طلحة كان مروان تحت رايته ، ولكنه رأى أن يثأر منه لعثمان حيث كان الثوار يلتفون حول طلحة بالمدينة ورأى مروان أنه ربما لا يملك فرصة خيرا من هذه فى الثأر منه .

وكانت نفس طلحة نفسا كريمة كذلك . فانه رأى رجلا قريبا منهوهو يجود بنفسه ، فسأله من أى الفريقين أنت ، قال من فريق أمير المؤمنين على، فقال أبلغه انى مبايعه ، فلما بلغ الرجل أمير المؤمنين ذلك ، قال أبى الله أن يدخل طلحة الجنة الا وبيعتى فى عنقه .

وقد تأثر أمير المؤمنين على حين رأى طلحة قتيلا ، ونفض التراب عن وجهه وقال : أعزز على بأن أراك مجندلا تحت السماء أبا محمد .

وكانت واقعة الجمل أولى المآسى التى قامت فى وجه أمير المؤمنين على فى بداية خلافتــه . وقد جاءته من الحجاز ؛ لكنك رأيت أن خصومه فيهــا كانوا ذوى نفوس كريمة رجاعة الى الحق غير متمادية فى الباطل . ولاعجب فطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة . وأم المؤمنين نزلت براءتها فى القرآن الكريم (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) . وعلى الرغم من أن الامام عليا تسنت له الغلبة ، فانه كان شديد التألم لما وقــع ، حتى انه كان يقول : وددت لو أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين عاما . كما كان يقول لو عرفت أن الأمر يبلغ بنا ما بلغ ما دخلت فيه .

الامام الحسن كان يرى بقاء ابيه بالمدينة :

لم يكن من رأى الامام الحسن أن يترك أبوه المدينة ، ويرحل الى العراق للقــاء طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم ، وكان يفضــل أن يبقى أبوه مجاورا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكره له أن يذهب الى دار غربة ويتعرض للموت بمضيعة . حتى لقد بكى الامام الحسن حين رأى ركاب أبيه يؤم العراق ، فقال له أبوه : انك لتحن حنين الجارية .

أما أبوه فكان يرى أن العراق موطن المال والرجال ، وكان أبوه من أشد الناس ميلا الى السلم مع المسلمين ، كما يتبين من تصرفاته مع خصومه ، حتى مع الخوارج ، الا أن المقــدر غلب على تقــديره ؛ فكانت الحروب ، ذلك الى أن الامام عليا كان يتوقع وثبة على العراق من معاوية فكان يرى أن يكون قريبا من الشام لمقابلة تلك الوثبة .

امير المؤمنين على كان يضن بالحسن والحسين عن القتال :

وكان امامنا على يضن بالحسن والحسين عن القتال فى واقعة الجمل ، وقال لأصحابه : املكوا عنى هذين ، لئلا يهــدانى ، لانى أخشى أن ينقطــع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض ، ودفع الراية لابنه

محمد بن الحنفية وهو أخوهما لأبيهما ، وأبلى محمد فى المعركة بلاء عظيما حتى قال قائلهم مادحا له :

أبوك الذى لم يركب الخيل مثله على وسماك النبى محمدا

حروب صفين :

أما المأساة الثانية ، فجاءته من بلاد الشام ، وكانت أشد هولا ، وراح ضحيتها عشرات الألوف من الفريقين . وكنت ترى الرجل فى صف معاوية وابنه فى صف أمير المؤمنين ، أو ترى الأخوين ، كل منهما فى صف غير صف أخيه .

وقد حاول أمير المؤمنين على كعادته أن يعالج الأمر بالاقناع والمراسلة، ولكن أبى معاوية الا عنادا ، وشد أزره فى موقف العناد عمرو بن العاص .

الخلافة والملك :

وقد تعلل معاوية ظاهرا بمقتل عثمان . الا أنه فى الحقيقة كان يصبو الى الملك . الذى تهيأ له المجتمع . حيث فتحت خيرات الدنيا على الناس ، ففتنوا بها ، وجنحوا الى زخرفها . وصدق الله تعالى اذ يقول : (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) .

ان الورع أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء الثلاثة من بعده . حجز الناس عن الافتتان بمادة الدنيا . وان كانوا قد استشرفوا لها فى أخريات أيام عثمان رضى الله عنه ، نتيجة لاتساع الفتوحات واختلاط العرب بغيرهم فى البلاد التى فتحوها واتساع تجارتهم التى درت عليهم أموالا وافرة لم يكن لهم بها عهد .

وكان الامام على يريد أن يعيد الناس الى سيرتهم الأولى فى الورع والزهد ، وضرب بنفسه المثل الأعلى لهم ، وكان معاوية يدفع بهم الى ما تصبو اليه نفوسهم من المال والجاه .

وهذا يفسر لك ما كان يحذره الخليفة الأول سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين أوصى أمير المؤمنين عمر بعد أن استخلفه على الناس ، وقال له فى وصيته :

« احذر هؤلاء النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين انتفخت أجوافهم وطمحت أبصارهم ، وأحب كل امرىء نفسه وان منهم الحيرة عند زلة واحد منهم ، فاياك أن تكونه ، واعلم أنهم لن يزالوا منك خائفين ما خفت الله » .

بين سياستى عمر وعثمان :

وقد التزم أمير المؤمنين عمر هذه الوصية ، فحجر على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبرحوا المدينة ، حتى لقد كانوا يستأذنونه فى الخروج للقتال ، فكان يقول لهم : كفاكم شرف الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما أمير المؤمنين عثمان ، فقد غير تلك السياسة ، وسمح لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضربوا فى الأرض ، فاتسعت تجارتهم . وكثرت أموالهم ، ولعله كان مدفوعا فى ذلك التغيير بما رآه من مللهم من شدة أمير المؤمنين عمر ، وكان أمير المؤمنين عمر يلحظ فى أخريات أيامه ملل قريش منه ويتمنى لو ترك الخلافة ، بل انه تمنى الموت وطلبه من الله فى رجوعه من الحج الأخير فاستجاب له .

رسائل متبادلة بين الامام على ومعاوية :

وعلى ضوء ما تقدم ، انظر فى الرسالتين التاليتين المتبادلتين بين أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ومعاوية ، لترى المشادة واضحة بين الصدق والمغالطة ، أو بين الدين والدنيا ، أو بين الخلافة التى يمثلها أمير المؤمنين على ، والملك الذى ينشده معاوية ، الذى الف حضارة الشام ، ورخاء العيش ، ورأى ملوك الرومان المجاورين فى أبهة ملكهم ، وسعة مظاهرهم .

كتب أمير المؤمنين على الى معاوية بعد واقعة الجمل (وقد سبقته كتب كثيرة من المدينة المنورة) :

سلام عليك ، أما بعد فان بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام ، لأنه بايعنى الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار . ولا للغائب أن يرد ، وانما الشورى للمهاجرين والأنصار، فاذا اجتمعوا على رجل وسموه أماما ، كان ذلك لله رضا ، وان خرج عن أمرهم ردوه الى ما خرج عنه ، فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ، واصلاه جهنم وساءت مصيرا .

وان طلحة والزبير ، بايعانى ، ثم نقضا بيعتهما ، وكان نقضهما كردهما، فجاهدتهما ، بعد ما أعذرت اليهما ، حتى جاء الحق ، وظهر أمر الله وهم كارهون .

فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فان أحب الأمور الى قبولك العافية، وقد أكثرت فى قتلة عثمان ، فان رجعت عن رأيك وخلافك ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمت القوم الى ، حملتك واياهم على كتاب الله .

وأما تلك التى تريدها — يعنى الخلافة — فهى خدعة الصبى عن اللبن، ولعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدننى أبرأ قريش من دم عثمان ، واعلم أنك من الطلقاء (يشير الى أن معاوية وأباه أطلقا من الأسر يوم فتح مكة ، حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش ما تظنون أنى فاعل بكم ، قالوا أخ كريم وابن أخ كريم فقال فى سماحته النبوية اذهبوا فانتم الطلقاء) ، الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يدخلون فى الشورى . وقد بعثت اليك والى من قبلك ، جرير بن عبد الله ، وهو من أهل الايمان والهجرة ، فبايعه ولا قوة الا بالله .

وقد رد معاوية قائلا :

سلام عليك ، أما بعد فلعمرى لو بايعك الذين ذكرت ، وأنت برىء من دم عثمان ، لكنت كأبى بكر وعمر وعثمان ، ولكنك أغريت بدم عثمان، وخذلت الانصار ، فأطاعك الجاهل ، وقوى بك الضعيف .

وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان ؛ فانفعلت كانت شورى بين المسلمين ، وانما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم . فلما فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام . ولعمــرى ما حجتك على أهل الشام كحجتك على طلحة والزبير . ان كانا بايعاك فلم أبايعك أنا .

فأما فضلك فى الاسلام . وقرابتك من رسول الله صلى الله عليهوسلم فلست أدفعه .

تعقيب على رسالة معاوية :

وها أنت ترى معى من رد معــاوية كل مغالطة ، وانى لأعجب كيف تصدر مثل هذه الرسالة من رجل صحابى ؛ وقد ضمنها مبادىء خطيرة ، لا يقوم أى منها على حجة صحيحة ، وقد أهدر فيها حقوقا كثيرة ، واليك ما أراه فيها من الأباطيل :

أولا : انه اتهم أمير المؤمنين بدم عثمان والتحريض عليه ؛ وهو عكس ما وقع ، وقد مر عليك أنه دفع عنه بكل الوسائل حتى غلب عليه قضاءالله.

ثانيا : انه أسقط العدالة عن المهاجرين والأنصار ، مــدعيا عليهم أن الحق فارقهم الى أهل الشام ؛ وهذا محض افتراء على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أهل بدر الذين لم يتخلف واحد منهم عن بيعة أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، ورضاء الله على أهل بدر ثابت ؛ والامام على من أبرزهم .

ثالثا : ان معاوية يعترف بفضل الامام على فى الاسلام بقــوله ، ولا يعترف به فى فعله ، فلو أنه كان صادقا فيما يقول ، لوقف منه موقف المقر بفضله ، لكنه خاصمه ، وفجر فى خصومته ، ولم يقف فى الخلاف معه عند دم عثمان الذى يدعيه ، بل فتح للباطل أبوابا أخرى ؛ فتسليم قتلة عثمان لا يكفى ، وشورى الحجازيين والعراقيين لا تكفى ، لأنهم ليسوا على حق ، وانما أهل الشام هم أهل الحق وحدهم .

وهكذا يصارع باطل المبطلين حق المحقين فى غير تحرج أو تأثم ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

الحرب بعد المسالمه :

ولما لم يجد الاقناع الصادق شيئا ، زحف أمير المؤمنين على بجيشه من الكوفة الى صفين ووجد جيش معاوية على الماء ، فنحاه عنه بقتال بعد أن أبى معاوية أن يخلى السبيل الى الماء ، وهو موقف غير انسانى من معاوية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا أن نحسن فى الطعـــام والشراب للحيوان فكيف بالانسان .

وأين موقف معاوية الذى ينافى الانسانية من موقف أمير المؤمنين على فانه حين غلب معاوية على الماء لم يعامله بالمثل بل سمح لجيش معاوية بالماء، ولم يقابل السيئة بالسيئة . ولو فعل ما كان ملوما فى لغة الحرب ،والبادى أظلم .

ثم وقع قتال شديد بين جيش العراق وعلى رأسه أمير المؤمنين على ، وبين جيش الشام ، وعلى رأسه معاوية ، ولاحت كفة النصر لأمير المؤمنين فى ليلة الهرير التى بلغ القتال فيها أشده ، وهم معاوية بالفرار مهـــزوما ، لولا أن عمرو بن العاص أشار عليه بخدعة رفع المصاحف على أسنة الرماح كاشارة الى طلب التحكيم بين الفريقين .

خدعه التحكيم :

وعلى الرغم من أن أمير المؤمنين بين لجيشه أنها خدعة وبين لهم أن خصومهم ليسوا أهل دين مأمون . الا أنهم ركبوا رءوسهم ، واســتحوذ عليهم الشيطان فعاندوا أميرهم . وطلبوا أن يرسل أمره للأشتر ليتراجع ويوقف القتال . وكان الأشتر قد دخل عسكر معاوية متقدما منتصرا ، ولما رجا الأشتر أن يمهل ساعة واحدة يكسب فيها النصر على أتمه . تمــردت جيش أمير المؤمنين وزادوا عتــوا وعقــوقا فى ساعة الجـد التى تجب فيها الطاعة ، كما يجب فيها اتحاد الـكلمة . ووصل بهم العقوق أنهم هــددوه بتسليمه لمعاوية أو قتله كما قتل عثمان ، وجـدير بالذكر أن فـكرة رفع

المصاحف ، لم تكن من ابتكار عمرو بن العاص بل انها أصلا من ابتكار أمير المؤمنين على فهو الذى رفعها من قبل فى معركة الجمل ، وعنه أخذ الفكرة عمرو فى معارك صفين .

الأشعث بن قيس وموقفه المشين :

وعندئذ أكره أمير المؤمنين على قبول التحكيم الذى لم يكن فى محله، وكان على رأس العاقين المشاقين ، الاشعث بن قيس الذى خطب فى قومه من كندة قائلا :

قد رأيتم يا معشر المسلمين ما كان فى يومكم هذا الماضى ، وما قد فنى فيه من العرب ، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ ، فما رأيت مثل هذا اليوم قط ، الا فليبلغ الشاهد الغائب ، انا ان لم نتواقف غدا لفنيت العرب ، وضيعت الحرمات ، أما والله لا أقول هذه المقالة خوفا من الحرب ، ولكنى رجل مسن أخاف على النساء والذرارى غدا اذا فنينا .

ويحق للقارىء أن يعجب لمثل هذا الموقف المشين من الأشعث ، وقد كان الأشتر متقدما بجنده داخل عسكر معاوية ، وكانت روح عسكر الشام قد ضعفت حين قتلوا عمار بن ياسر الصحابى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : تقتلك الفئة الباغية ، وكان عمار رضى الله عنه يقاتل بهمة لا تعرف الكلل (رغم شيخوخته) فى صف أمير المؤمنين على ، بل كان يده اليمنى يومئذ وقد جاء فى الحديث الشريف : (ان الجنة تشتاق الى أربع ، عمار وعلى وسلمان وبلال) .

تاريخ الأشعث :

ويزول عن القارىء العجب ، اذا وقف على تاريخ الأشعث بن قيس ، فقد كان ذلك الرجل على رأس كندة وكان يطمع فى الملك ، ثم إرتد بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، فحاربه سيدنا أبو بكر وحصره فى الحصن ، حتى استسلم على أن يسلم بدمه ودم عشرة من أصحابه ، وجاء تائبا الى سيدنا أبى بكر ، فقبل توبته وزوجه أخته أم فروة .

اكراه امير المؤمنين على اختيار ابى موسى الاشعرى فى التحكيم :

وليت الأشعث ترك لأمير المؤمنين أن يختار الحكم الذى يطمئن الى وعيه وصحة رأيه . حين اختار معاوية عمرو بن العاص من جانبه للتحكيم ، فأراد أمير المؤمنين على أن يقـابله بعبد الله بن عباس من جانبـه ، الا أن الأشعث عارض وقال : انا رضينا بأبى موسى الأشعرى ، فقال أمير المؤمنين انه ليس لى بثقة ، قد فارقنى وخـذل الناس عنى « كان ذلك فى واقعـة الجمل » ثم هرب حتى أمنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك ، قالوا لا نريد الا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ، ليس الى واحـد منكما بأدنى من الآخر .

قال فانى أجعل الأشتر فقال الأشعث - وهو يحسد الأشتر عـلى مكانته وبلائه ـــ وهل سعر الارض غير الاشتر أو قال وهل نحن الا فى حكم الأشتر .

فلما رأى الامام اصرارهم وقلة أنصاره . قال قد أبيتم الا أبا موسى. قالوا نعم ، قال فاصنعوا ما بدالكم .

تعقيب للعلامة العقاد :

واليك ما يعقب به العلامة المرحوم عباس العقاد عـلى موقف ذلك الأشعث فى كتابه « عبقرية الامام على » :

« فهذا رجل من الزعماء ، المطاعين فى جيش على ، لم يدع من وسعه شيئا لتغليب حزب معاوية على حزبه . واستكثر عليه أن يكون الحكم الذى يختاره نصيرا له ، مؤمنا بحقه وصحة رأيه .

ولا طائل فى البحث عن هذا الخذلان الصريح ، أكان هو الطمع فى الملك بعد فشل على ، أم النقمة على الأشتر النخعى فى مكانته وبلائه ، أم التواطؤ بينه وبين معاوية على منفعة مؤجلة ومكافأة موعودة » .

راى للمؤلف :

وانى أقول تعقيبا على كلام العلامة العقاد ، انى أرجح الاحتمال الثالث وهو الأخير ، وأستند فى ترجيحى هذا الى ما يأتى :

أ) ان الامام الحسن ، كما علمت مات مسموما ، وقد دست له السم زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس ، فكما خذل أبوها أمير المؤمنين عليا ، قتلت هى زوجها لمال أعطى لها . ووعد بزواجها من يزيد . فوفى لها المال ولم يأمنوها على حياة يزيد .

ب) ان معاوية كما سترى فيما بعد ، اشترى بماله ذمة عبيد الله بن عباس ، وكان صاحب لواء فى جيش أمير المؤمنين الحسن بن على . ودفع له معاوية نصف المال الذى وعده به فورا ، ووعده بدفع النصف الثانى عندما يدخل معاوية الكوفة .

وقد ترك عبيد الله بن عباس لواءه وانحاز الى صف معاوية ، مما اضطر قيس بن سعد بن عبادة أن يصلى بالناس بدله ، واذا كان معاوية قد اشترى ذمة عبيد الله بن عباس وهو من صميم بنى هاشم فشراء غيره أيسر وأرخص .

وقد ذهب المال وذهب الرجال وسجل التاريخ موقفا مخزيا لكل من معاوية وعبيد الله بن عباس .

جـ) ان معاوية أغرى عمرو بن العاص بخراج مصر كلها ان تم له الأمر ، فوقف الى جنبه عمرو الى نهاية الشوط ، وسترى موقفا غير مشرف لعمرو فى أمر التحكيم ، خان فيه أمانة الله ، وصالح المسلمين العام . أقول ذلك على أسف بالغ منى ، ولا أستطيع أن أدارى ماتواترت الأخبار الصحيحة به .

امير المؤمنين يصف فساد جيشه :

هذا ونرجع لما كنا فيه فنقول انه لم يخف على امامنا على كرم الله وجهه خبث أنصاره ولا فساد نياتهم فخاطبهم قائلا :

أيها الناس ، المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهى الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم .. الى أن قال :

« أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع فى نصركم ،ولا أوعد العدو بكم ؛ ما بالكم ما دواؤكم ، ما طبكم ، القوم رجال أمثالكم ، أقولا بغير علم ، وغفلة من غير ورع ، وطمعا فى غير حق » .

عمرو يخدع ابا موسى :

ثم ان الحكمين اجتمعا فى دومة الجندل (بين العراق والشام) وتشاورا ، وبعد جدال وأخذ ورد اتفقا على خلع الزعيمين على ومعاوية ، وقدم عمرو أبا موسى ليعلن القرار الذى اتفقا عليه ، وكان ابن عباس حذره من كيد عمرو وغدره ، وقال له ان اتفقتما على شيء فليعلنه عمرو أولا ، لكنه لم يسمع نصح ابن عباس ، وتقدم أبو موسى ليعلن القرار فقال بعد تمهيد :

« .. أيها الناس ، انا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة ، فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيى ورأى عمرو عليه ، وهو أن نخلع عليا ومعاوية ، ونستقبل الأمة بهذا الأمر ، فيولوا منهم من أحبوا عليهم ، وانى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم ، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا » .

وتلاه عمرو فقال بعد تمهيد :

« .. ان هذا قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبى معاوية فانه ولى عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، الطالب بدمه ، وأحق الناس بمقامه » .

ابو موسى وعمرو يتبادلان الشتائم :

فغضب أبو موسى وصاح به : ما لك لا وفقك الله ، غدرت وفجرت ، انما مثلك مثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

فابتسم عمرو ، وهو يقول ، انما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا .
وكما قال العلامة العقاد رحمه الله : انتهت المأساة بهذه المهزلة ،أو انتهت المهزلة بهذه المأساة .

موقعة النهروان

فتنة الخوارج :

وبعد التحكيم ، زاد الطين بلة ، فقامت بسبب التحكيم فتنة الخوارج، وانضافت مأساة ثالثة على عاتق أمير المؤمنين على ، ويرحم الله أمير الشعراء شوقى حين قال له :

يا جبلا تأبى الجبال ما حمل

وصدق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل .

وقد قال الخوارج فيما بينهم ، ان هذين الحكمين قد حكما بغير ما أنزل الله ، وقد كفر اخواننا حين رضوا بهما ، وحكموا الرجال فى دينهم، ونحن على الحق من بين هذا الخلق .

وحاول أمير المؤمنين على كعادته أن يسالمهم ويقنعهم لعلهم يرشدون ، لكنهم كانوا متهوسين ، وبلغ بهم الهوس الى أن كفروا الامام وأصحابه ، ورأوا أن يعاملوهم فى الحرب والسلم على أنهم كفار .

وعلى الرغم من موقفهم الشائن هذا ، فقد رفع أمير المؤمنين عليه السلام فى الساحة راية ضم اليها الفى رجل ونادى ، من التجأ الى هذه الراية فهو آمن ، وقال لأصحابه لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم ، فصاح الخوارج صيحتهم لا حكم الا لله وان كره المشركون ، وهى الصيحة التى عقب عليها أمير المؤمنين عليه السلام بكلمته المشهورة فقال : « كلمة حق أريد بها باطل » .

وعندئذ لم يجد أمير المؤمنين مناصا من قتالهم فى موقعة النهروان ، فما هى الا ساعة ، حتى قتل منهم نحو أربعة آلاف وبقى منهم نحوأربعمائة

أصيبوا بجراح وعجزوا عن القتال ، فأمــر بهم أمير المؤمنين فحملوا الى عشائرهم ، لينظروا من فيه رمق فيدركوه بعلاج .

وماذا بعد قتال الخوارج

الأشعث يعوق الحرب مرة اخرى :

وأراد أمير المؤمنين ، كرم الله وجهه ، أن يسير الى الشام ليلقى جيش معاوية ، فتصدى له الأشعث بن قيس مرة أخرى ، كما تصدى له من قبل فى الفرصة السانحة للغلبة وقال له على مسمع من الناس :

« يا أمير المؤمنين ، نفدت نبالنــا ، وكلت ســيوفنا ، ونصلت أســنة رماحنا ، فارجع بنا الى مقرنا ، لنستعد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عدتنا عدة من هلك منا ، فانه أوفى لنا على عدونا » .

وتسلل الجند من معسكرهم ، ولاذ من لاذ بالمدن القــريبة منهم ، وأيقن أمير المؤمنين أن القوم مرقوا من يده ، ولا طاعة له عليهم اذا دعاهم للقتال .

جيش معاوية فى طاعته :

وعلى عكسه كان معاوية ، فان جنده كانوا فى طاعته ، وأعانه الخوارج غير عامدين ، فحاربوا أمير المؤمنين ولم يحاربوه ، وطلبوا التوبة من أمير المؤمنين ولم يطلبوها من معاوية .

واستمر معاوية فى ارسال بعوثه وسراياه ، فلم تنقض ســنتان حتى كانت معه مصر والمدينة ومكة ، وبقى أمير المؤمنين على فى قطاع الــكوفة يائسا منعزلا عن الناس ، ويوجس شرا من أقرب المقربين اليه .

ولست أجد فى وصف أهل العراق وموقفهم من أمير المؤمنين أبلغ من كلامه هو حين خاطبهم قائلا :

أخلاقكم دقاق ، وماؤكم زعاق ، ودينكم نفاق ، وعهدكم شــقاق ، القائم بين أظهركم مرتهن بذنبه ، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه.

اغتيال أمير المؤمنين غدرا

الخوارج يغدرون بامير المؤمنين :

ثم كان ما قدره الله من اغتيال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه غدرا بيد أحد الخوارج فمات شهيدا راضيا مرضيا .

ذلك بأن ثلاثة من الخوارج هم : عبد الرحمن بن ملجم ، والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمى ، وهم من غلاة الخوارج الموتورين ، اجتمعوا وتذاكروا القتلى من المسلمين عامة ، وألقوا وزر هذه الدماء كلها على ثلاثة من الكفار أو أئمة الضلال (فى رأيهم السفيه) وهم : على بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم على بن أبى طالب ، وقال البرك ، أنا أكفيكم معاوية بن أبى سفيان ، وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص .

فأما عمرو بن العاص فقد اشتكى بطنه فلم يخرج من ليلته تلك ،وأمر خارجة بن حذافة صاحب شرطته أن يصلى بالناس ، فقتله عمرو بن بكر وهو يحسبه عمرو بن العاص ، فقال عمرو بن العاص ، أردتنى وأراد الله خارجة ، وأمر بقتله .

وأما معاوية فضربه البرك بن عبد الله ، فوقعت الضربة على اليته فعولج وشفى .

وأما أمير المؤمنين على فضربه ابن ملجم فى جبينه بسيف مسموم ، وهو خارج لصلاة الفجر فمات بعد أيام .

ومن ورعه أوصى كرم الله وجهه ، ألا يمثل أهله بقاتله ، وقال لهم « يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين ، تقولون قتل أمين المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ، الا لا يقتلن أحد الا قاتلى .

« انظر يا حسن اذا أنا مت من ضربته هذه ، فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثل بالرجل ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، « اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور » .

دور المرأة فى اغتيال امير المؤمنين على :

ومن عجيب الأمور ، أن تلعب امرأة دورها فى اغتيال أمير المؤمنين على ، وأن تلعب امرأة أخرى دورها فى سم ابنه الامام الحسن السبط ، وقد وقف القارىء على قصة سم الامام الحسن ، خيانة من خصومه ، وغدرا بيد زوجته جعدة بنت الأشعث .

أما دور المرأة فى اغتيال أمير المؤمنين على فهو أن ابن ملجم لعنه الله والملائكة والناس أجمعون ، كان يحب فتاة من تيم الرباب يقال لها قطام ، قتل أبوها وأخوها وبعض أقربائها فى معركة الخوارج ، وكانت توصف بالجمال الفائق ، والشكيمة القوية ، وتدين بمذهب أهلها ، فوق ما فى جوانحها من لوعة الحزن على قتل ذويها .

فلما خطبها ابن ملجم لم ترض به زوجا الا أن يشفى لوعتها ، وقال وما يشفيك ، قالت ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة وقتل على بن أبى طالب.

وشاء الله أن تنتهى حياة الامام على الغالية فى ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة من رمضان سنة ٤٠ هـ على يد الآثم الفاجر ابن ملجم خطيب قطام ، وفى ذلك يقول ابن ابى مياس المرادى .

ولم أر مهرا ساقه ذو سماحة ... كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وضرب على بالحسام المسمم
فلا مهر أغلى من على وان غلا ... ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

آخر كلمات امير المؤمنين :

وعلى الرغم من ألم الجراح وشدة سكرات الموت ، فان أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، لم يبرح الدنيا الفانية قبل أن يوصى أبناءه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، فقد دعا اليه الحسن والحسين رضى الله عنهما وقال لهما :

« أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ، و لاتبكيا على شىء زوى عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، واغنيا الضائع ، واصنعا

للآخرة ، وكونا للظالم خصما ، وللمظلوم ناصرا ، واعملا بما فى كتاب الله، ولا تأخذكما فى الله لومة لائم » .

ثم نظر الى أخيهما لأبيهما محمد بن الحنفية رضى الله عنه وقال له : « هل حفظت ما أوصيت به أخويك ، قال نعم ، قال فانى أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك ، العظيم حقهما عليك ، وتزين أمرهما ، ولا تقطع أمرا دونهما .

ثم قال لهما ، وصيتكما به فانه شقيقكما وابن أبيكما ، وقد علمتما ان أباكما كان يحبه فأحباه » .

ثم قيل له نبايع الحسن من بعدك ؟ فقال لا آمركم ولا أنهاكم،أترككم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ذلك أنه أراد أنتكون الخلافة شورى ويختاروا لأنفسهم .

ثم كتب كرم الله وجهه وصيته ، ولم يتكلم الا بلا اله الا الله حتى فاضت روحه الى روح وريحان وجنة نعيم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نبأه بما وقع له ؛ فقد قال له يوما : أتعلم من أشقى الأولين ؟ قال نعم عاقر الناقة ، فقال ألا تعلم من أشقى الآخرين ؟ قال لا ، قال الذىيضربك على هذه فيخضب هذه .

بيعة الامام الحسن بالخلافة بعد ابيه :

روى أبو الفرج بسنده فى مقاتل الطالبيين ، ويؤيده ما جاء فى الطبرى وابن الأثير وابن أبى حديد ، أن الامام الحسن خطب بعد وفاة أبيه أمير المؤمنين على عليهما السلام فقال :

« لقد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ، ولا يدركه الآخرون بعمل ، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقيه بنفسه ، ولقد كان يوجهه برايته ، فيكتنفه جبريل عن يمينه ،وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ، وقد توفى فى هذه الليلة التى عرج فيها بعيسى بن مريم ، ولقد توفى فيها يوشع بن نون وصى موسى ،

وما خلف صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم بقيت من عطائه ، أراد أن يبتاع بها خادما لأهله . ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه .

ثم قال : « أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ، أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي الى الله عز وجل باذنه ، وأنا ابن السراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، والذين افترض الله مودتهم في كتابه اذ يقول (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت » .

ثم قام ابن عباس بين يديه ، فدعا الناس الى بيعته ، فاستجابوا له ، وقالوا ما أحبه الينا وأحقه بالخلافة فبايعوه .

ثم نزل عن المنبر .

جواسيس معاوية :

قال ودس معاوية رجلا من بني حمير الى الكوفة ورجلا من بني القين الى البصرة يكتبان اليه بالأخبار ، فكشف أمرهما وقتلا .

رسالتان بين الامام الحسن ومعاوية :

قال وكتب الامام الحسن الى معاوية :

أما بعد فانك دسست الى الرجال ، كأنك تحب اللقاء ، وما أشك في ذلك ، فتوقعه ان شاء الله ، وقد بلغني أنك شمت بمالا يشمت به ذوو الحجى ، وانما مثلك في ذلك كما قال الأول :

وقل للذي يبغي خلاف الذي مضى   تجهز لأخرى مثلها فكأن قد
وانا ومن قد مات منا لكالذي   يروح ويمسي في المبيت ليغتدي

وأنت تدرك من تلك الرسالة ذكاء الامام الحسن ، وبلاغة ارشاده للشامتين بالموت الذي لا مهرب منه لأي مخلوق .

قال فاجابه معاوية :

أما بعد ، فقد وصل كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ولقد علمت بما حدث فلم أفرح ، ولم أحزن (؟) ولم أشمت ولم آس ، وان عليا أباك لكما قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

فأنت الجواد وانت الذى ... اذا ما القلوب ملأن الصدورا
جدير بطعنة يوم اللقاء ... يضرب منها النساء النحورا
وما مزبد من خليج البحار ... يعلو الأكام ويعلو الجسورا
بأجود منه بما عنده ... فيعطى الألوف ويعطى البدورا

أقول ولئن كان معاوية يقول انه لم يشمت فقد شمت بالفعل كما سترى فيما بعد ، وأما قوله انه لم يحزن ، فقد فاتته الكياسة فى قوله هذا، ولو أنه اكتفى بنفى الشماتة ، لكان أكيس ، على أنه برغمه امتدح أمير المؤمنين عليا بالشعر الذى نشل به ؛ ولعله أراد أن يلاين الامام الحسن مضطرا من باب السياسة .

جانب الدنيا فى سياسة معاوية :

ولقد غلب على معاوية فى سياسته ، جانب الدنيا ، على جانب الدين ، وهو ما يفسر لك قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه : والله ما معاوية بأدهى منى ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس .

أما جانب الدنيا الذى غلب على معاوية فى سياسته فيفسره قول مستشاره الأول عمرو بن العاص حين قال : انه لا يصلح لهذا الأمر الا رجل له ضرسان ، يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر ، وذلك الذى يقوله عمرو اتبعه معاوية فأكل بضرس وأطعم بالآخر ، وواأسفاه على دين يرخص،ودنيا تغلو .

الامام الحسن يكتب لمعاوية مرة اخرى :

قال أبو الفرج ، وكتب الامام الحسن عليه السلام الى معاوية مع جندب بن عبد الله الأزدى :

بسم الله الرحمن الرحيم . من الحسن بن علي أمير المؤمنين الى معاوية بن أبى سفيان سلام الله عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد :

فان الله جل جلاله ، بعث محمدا رحمة للعالمين ، ومنة للمؤمنين ،وكافة للناس أجمعين (لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) فبلغ رسالات الله ، وقام بأمر الله حتى توفاه الله ، غير مقصر ولا وان ، وبعد أن أظهر الله به الحق ، ومحق به الشرك ، وخص به قريشا خاصة ، فقال له (وانه لذكر لك ولقومك) .

فلما توفى تنازعت سلطانه العرب ، فقالت قريش : نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه ، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش ، وأن الحجة فى ذلك لهم ، على من نازعهم أمرمحمد، فأنعمت لهم (أى قالت نعم) وسلمت اليهم .

ثم حاججنا نحن قريشا بمثل ما حاججت به العرب ، فلم تنصفناقريش انصاف العرب لها ، انهم أخذوا هذا الأمر دون العرب ، بالانتصاف والاحتجاج .

فلما صرنا — أهل بيت محمد وأولياءه الى محاجتهم ، وطلب النصف (أى الانصاف) منهم — باعدونا ، واستولوا بالاجماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا ، فالموعد الله ، وهو الولى النصير .

ولقد كنا تعجبنا ، لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا وسلطان نبينا ، وان كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الاسلام ، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب فى ذلك مغمزا يثلمونه به ، أو يكون لهم بذلك سبب الى ما أرادوا من افساده .

فاليوم ، فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله ، لا بفضل فى الدين معروف ، ولا أثر فى الاسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب ، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله

ولكتابه ، والله حسيبك ، فسترد فتعلم لمن عقبى الدار ، وبالله لتلقين عن قليل ربك ، ثم ليجزينك بما قدمت يداك ، وما الله بظلام للعبيد .

ان عليا لما مضى لسبيله ، رحمة الله عليه يوم قبض ، ويوم من الله عليه بالاسلام ، ويوم يبعث حيا ، ولاقى المسلمون الأمر من بعده ، فاسأل الله ألا يؤتينا فى الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به فى الآخرة مما عنده من كرامة .

وانما حملنى على الكتاب اليك ، الاعذار فيما بينى وبين الله عز وجل فى أمرك ، ولك فى ذلك ان فعلته الحظ الجسيم ، والصلاح للمسلمين، فدع التمادى فى الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى ، فانك تعلم أنى أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أواب حفيظ ومن له قلب منيب.

واتق الله ودع البغى ، واحقن دماء المسلمين ، فوالله مالك خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به ، وادخل فى السلم والطاعة ، ولا تنازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منك ، ليطفىء الله النائرة (أى العداوة) بذلك ويجمع الكلمة ، ويصلح ذات البين .

وان أنت أبيت الا التمادى فى غبك ، سرت اليك بالمسلمين فحاكمتك، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

تعقيبى على الكتاب المتقدم :

وأود أن أعقب قليلا على ذلك الكتاب الكريم ، لأيسر للقارىء فهمه اذا لم يكن قد اطلع على تفاصيل التاريخ فى صدر الاسلام ، فأقول وبالله التوفيق :

كان لقريش مركزها الاجتماعى بين قبائل العرب فى الجاهلية ،وكسبت مركزها ذلك بمواهب خصوا بها فى أمور الدنيا والدين ، فكانت لهم تجارتهم الواسعة فى رحلتى الشتاء والصيف ، كما كانوا قائمين على شؤون البيت الحرام فى مكة المكرمة ، من سقاية وعمارة وضيافة للوافدين من كل فج ، ثم أراد الله أن يلبسها فوق ذلك كله ، الشرف الخالد ، فاختار من قريش بنى هاشم واختار من بنى هاشم رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل القرآن الكريم بلغة قريش .

واستجاب لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بدايتها من عشيرته الأقربين بنو هاشم ، وكان أولهم اسلاما فى صباه الامام على كرم الله وجهه ، وكان أول المسلمين من الرجال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو من بنى تيم ، وأسلم على يده عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فكان أول من أسلم من بنى أمية ، وكان اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه على تمام أربعين انسانا فى أظهر الروايات ، وهو من بنى عدى ، وكلهم قرشيون وان تنوعت فروعهم ، رضى الله عنهم وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لبنى هاشم فى الجاهلية الشرف والسيادة على غيرهم من بيوتات قريش ، وزادوا فى الاسلام شرفا بالرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وعندما أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بقتال الكافرين ، برزت تضحيات امامنا على فى شبابه ، كما برزت تضحيات قومه من بنى هاشم واستشهد منهم فى نصرة دين الله ، صناديد على رأسهم حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبى طالب .

ولما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلا اشتغل بتجهيزه الامام على كرم الله وجهه ، وكان الأنصار قد اجتمعوا بسقيفة بنى ساعدة ليختاروا خليفة له ، واتجهوا الى سعد بن عبادة الخزرجى .

ولما علم سيدنا عمر بن الخطاب بذلك أسرع الى هنالك ومعه سدنا أبو بكر الصديق ، وبعد أخذ ورد قال سيدنا عمر للحاضرين : من منكم يريد أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد به المرض أمر أن يصلى بالناس أبو بكر ، فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس ، ثم قال سيدنا عمر للحاضرين: لقد رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ، أفلا نرضاه لدنيانا ،امدد يا أبا بكر يدك أبايعك ، فبايعه سيدنا عمر وبايعه الباقون .

وقد تأخر امامنا على عن بيعة سيدنا أبى بكر ، وقالوا انه بايعه بعد ستة أشهر ، من موت السيدة فاطمة الزهراء .

واختلفوا فى أسباب تأخـره ، فمن قائل انه كان يرى نفسه أحق بالخلافة ، وكان عمه العباس قد عرض عليه أن يبايعه هـو وأبو سفيان ، فيبايعه المهاجرون والأنصار ويقولون عم رسول الله بايع عليا ، وكان للعباس مكانه المرموق فيهم ، وكان معروفا بحصافة الرأى والرشد ، فلم يشأ الامام على أن يترك تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتفرغ للبيعة .

ومن قائل انه حرص على شعور زوجته السـيدة فاطمة الزهـراء ، وكانت طالبت الخليفة أبا بكر الصديق بميراثها فى رأض فـدك التى خلفها أبوها ، فقال لها رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة .

وقد بلغ من حرص سيدنا أبى بكر على مرضاة السيدة الزهراء ، أنه رضى الله عنه هدد بترك خلافة المسلمين ان لم تكن الزهراء راضية عنه .

ومن قائل ان الامام على ساءه أن تعقد البيعة ، فى سقيفة بنى ساعدة دون أن يدعى لحضورها .

وكان عذر السلف الصالح واضحا فى الاسراع بالبيعة ، قبل أن يشتد الخلاف ، بين المهاجرين والأنصار ، حيث كان كل فريق يرى أنه أحق بها من الفريق الآخر ، واحتج المهاجرون بأنهم أول الناس اسلاما وان كانت نصرة الأنصار لا تنكر ، فقد نصروا دين الله بالنفس والمال .

ولما أسرعوا ببيعة سيدنا أبى بكر اطفأوا نار الفتنة ، ودانت سـائر الأمصار ببيعة المهاجـرين والأنصار بالمـدينة وهم أهل الحل والعقـد فى المسلمين .

وعندما حان أجل سيدنا أبى بكر رضى الله عنه ، خاف أن يتـكرر الخلاف بموته ، فاستخلف على المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ووافقه على بيعته المهاجرون والأنصار .

ولما طعن سيدنا عمر وأحس بأن ضربته قاتلة ، وقيل له أوص يا أمير المؤمنين واستخلف ، فقال رضى الله عنه ، ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى :

عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف، وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء ، فان أصابت الامارة سعدا ، فهو أهل لذلك ، والا فليستعن به أيكم أمر ، فانى لم أعزله عن عجز ولا عن خيانة .

ثم قال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعـرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيرا ، الذين تبـوأوا الدار والايمان من قبلهم ، أن يقبل من محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم،وأوصيه بأهل الأمصار خيرا ، فانهم درء الاسلام وجباة الأموال ، وغيظ العـدو ، الا يأخذ منهم الا فضلهم ، عن رضاهم ، وأوصيه بالأعراب خيرا ، فانهم أصل العرب ، ومادة الاسلام ، أن يؤخذ من حواشى أموالهم ، ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى اليهم بعهدهم ، وأن يقاتل من وراءهم ، والا يكلفوا الا طاقتهم .

فلما فـرغ من دفن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه (عـلى ما رواه البخارى) اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم . فقال الزبير : جعلت أمرى الى على ، فقال طلحة ، قد جعلت أمرى الى عثمان ، وقال سعد ، قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن بن عوف.

فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هـذا فنجعله اليـه ، والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه ، فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن ، أفتجعلونه الى ، والله على الا آلو عن أفضلكم ، قالا نعم ، فأخذ بيد أحدهما فقال لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقدم فى الاسلام ما قد علمت ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ، وان أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن . ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك .

فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك ياعثمان ، فبايعه ، فبايع له على ،وولج أهل الدار فبايعوه .

وجاء فى شرح نهج البلاغة لابن ابى حديد أن أمير المؤمنين عمر كان يحصرها بتقديره فى واحد من اثنين ، اما على واما عثمان ، لذلك نصح عليا

فقال له : اذا بويعت فلا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس ، كما نصح عثمان وقال له : اذا بويعت فلا تحملن بنى معيط على رقاب الناس ، وقال أيضا : لو ولوها الأجلح (كان سيدنا على أصلع الرأس) لحملهم على الجادة ، فقيل له : فما منعك أن تستخلفه ، قال لا أحملها حيا وميتا ، فليختاروا لأنفسهم .

ثم كانت الثورة التى قامت آخر خلافة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه وانتهت بمقتله ، وانتهى رأى الثوار كما مر عليك الى مبايعة الامام على فكان يهرب منهم الى الحيطان (البساتين) ولكنهم الزموه الخلافة ، فأبى الا أن تكون بيعته علانية فى المسجد ، فبايعه الثوار الوافدون من مصر والكوفة والبصرة ، كما بايعه المهاجرون والأنصار وأهل بدر ، وهم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان قبله .

وقد علم القارىء الكريم من موجز تاريخ الامام على الذى قدمناه ، ما كان من أمر حروب الجمل وصفين والنهروان ، وما كان من أمر التحكيم ، وما كان من اغتيال أمير المؤمنين على غدرا بيد الآثم اللعين ابن ملجم الخارجى ، وما كان من أمر البيعة التى تمت لأمير المؤمنين الحسن بن على ، بعد مقتل أبيه كرم الله وجهه ، وكان لابد من اعطاء فكرة عن الخلافة الاسلامية منذ قامت ، الى أن وليها أمير المؤمنين الحسن بن على ، لارتباط رسالته المتقدمة التى بعث بها الى معاوية ، ولارتباط رد معاوية بها ، وها هو رد معاوية الذى كتب به للامام الحسن .

رد معاوية على الامام الحسن :

من معاوية أمير المؤمنين الى الحسن بن على : سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد فقد بلغنى كتابك ، وفهمت ما ذكرت به محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل كله قديمه وحديثه ، وصغيره وكبيره ، وقد والله بلغ وأدى ، ونصح وهدى ، حتى انقذ الله به من الهلكة ، وانار به من العمى ، وهدى به من الجهالة والضلالة ، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته ، وصلوات الله عليه ، يوم ولد ويوم بعث ، ويوم قبض ، ويوم يبعث حيا .

وذكرت وفاة النبى صلى الله عليه وآله ، وتنازع المسلمين الأمر بعده، وتغلبهم على أبيك ، فصرحت بتهمة أبى بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وأبى عبيدة الأمين ، وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلحاء المهاجرين والأنصار ، فكرهت ذلك لك ، أنت امرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين ولا المسىء ، ولا اللئيم ، وأنا أحب لك القول السديد ، والذكر الجميل .

ان هذه الأمة ، لما اختلفت بعد نبيها ، لم تجهل فضلكم ولا سابقتكم، ولا مكانكم فى الاسلام وأهله ، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها ، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم أن يولوا هذا الأمر من قريش أقدمها اسلاما، وأعلمها بالله ، وأحبها له ، وأقواها على أمر الله ، فاختاروا أبا بكر ، وكان ذلك رأى ذوى الدين والفضل ، والناظرين للأمة ، فأوقع ذلك فى صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا متهمين ، ولا فيما أتوا بالمخطئين ، ولو رأى المسلمون أن فيكم من يغنى غناءه ، ويقوم مقامه ، ويذب عن حريم الاسلام ذبه ، ما عدلوا بالأمر الى غيره رغبة عنه ، ولكنهم عملوا فى ذلك بما رأوه صلاحا للاسلام وأهله والله يجزيهم عن الاسلام وأهله خيرا .

وقد فهمت الذى دعوتنى اليه من الصلح ، والحال فيما بينى وبينك اليوم . مثل الحال التى كنتم عليها ، أنتم وأبو بكر بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله .

فلو علمت أنك أضبط منى للرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن سياسة ، وأقوى على جمع الأموال ، وأكيد للعدو ، لأجبتك الى مادعوتنى اليه ، ورأيتك لذاك أهلا ، ولكن قد علمت أنى أطول منك ولاية ، وأقدم منك بهذه الأمة تجربة ، وأكبر منك سنا ، فأنت أحق أن تجيبنى الى هذه المنزلة التى سألتنى .

فادخل فى طاعتى ولك الأمر من بعدى ، ولك ما فى بيت مال العراق بالغا ما يبلغ ، تحمله الى حيث أحببت ، ولك خراج أى كور العراق شئت ، معونة لك على نفقتك ، يجبيها أمينك ويحملها اليك فى كل سنة ، ولك الا

نستولى عليك بالاساءة ، ولا نقضى دونك الأمور ، ولا نعصى فى أمر اردت به طاعة الله ، أعاننا الله واياك على طاعته انه سميع مجيب الدعاء والسلام .

وروى أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين بسنده عن جندب قال . فلما أتيت الحسن بكتاب معاوية — قلت له أن الرجل سائر اليك ، فابدأه بالمسير ، حتى تقاتله فى أرضه وبلاده وعمله — فاما أن تقدر أن ينتاد لك ، فلا والله حتى يرى منا أعظم من صفين ، فقال أفعل ، ثم قعد عن مشورتى وتناسى قولى .

رسالة اخرى من معاوية للامام الحسن :

قالوا وكتب معاوية الى الحسن :

أما بعد ، فان الله يفعل فى عباده ما يشاء ، لا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب ، فاحذر أن تكون منيتك على أيدى رعاع من الناس ، وأيأس من أن تجد فينا غميزة ، وان أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتنى ، وفيت لك بما وعدت وأجريت لك ما شرطت ، وأكون فى ذلك ، كما قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وان أحد أسدى اليك أمانة ... فأوف بها تدعى اذا مت وافيا
ولا تحسد المولى اذا كان ذا غنى ... ولا تجفه ان كان فى المال فانيا

رد الامام الحسن على معاوية :

فأجابه الحسن عليه السلام :

أما بعد فقد وصل الى كتابك ، تذكر فيه ما ذكرت ، فتركت جوابك ، خشية البغى منى عليك ، وبالله أعوذ من ذلك ، فاتبع الحق تعلم أنى من أهله ، وعلى اثم أن أقول فأكذب والسلام .

معاوية يكتب الى عماله على النواحى :

فاما وصل كتاب الحسن عليه السلام الى معاوية قرأه ، ثم كتب الى عماله على النواحى بنسخة واحدة :

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين الى فلان بن فلان ومن قبله من المسلمين ، سلام عليكم فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو أما بعد :

فالحمد لله الذى كفاكم مؤونة عدوكم ، وقتل خليفتكم ، ان الله بلطفه، وحسن صنعه أتاح لعلى بن أبى طالب رجلا من عباده ، فاغتاله فقتله ،فترك أصحابه متفرقين مختلفين ، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم ، يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم ، فاقبلوا الى حين يأتيكم كتابى هذا بجهدكم وجندكم ، وحسن عدتكم ، فقد أصبتم بحمد الله الصبر ، وبلغتم الأمل ، وأحل الله أهل البغى والعدوان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتاب معاوية يشهد بشماتته فى موت امير المؤمنين على :

أقول : فكيف نفى معاوية شماتته بموت الامام على فى رده على الامام الحسن الذى مر عليك ، وشماتته فى كتابه الى عماله ظاهرة ، وهل من الصدق أن ينسب البغى والعدوان للامام على ، ولكنهم قديما قالوا رمتنى بدائها وانسلت .

الفئة الباغية :

ولقد قتل جند معاوية فى صفين الصحابى الجليل عمار بن ياسر ،وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : تقتلك الفئة الباغية ، كما سلف القول؛ فلا حجة لمعاوية فيما يدعيه بغير حق ، من أن الامام عليا وأنصاره أهل بغى.

معاوية تغلبه السياسة على دينه :

وأين شهادة معاوية هذه فى امامنا على ، من شهادة امامنا على حين سئل عن معاوية وأصحابه وقيل له : أكفار هم ؟ قال لا من الشرك فروا ، قالوا ، أمنافقون هم ؟ قال لا ، ان الله قال فى المنافقين (ولا يذكرون الله الا قليلا) وليسوا هم كذلك قالوا فما حالهم ، قال اخواننا بغوا علينا .

ومن هنا تعلم أن السياسة لم تغلب الامام عليا كما غلبت معاوية ، فحافظ الامام على كرم الله وجهه على دينه بينما تهاون معاوية فيه .

الامام الحسن يجمع جيشه :

قالوا ، فاجتمعت العساكر الى معاوية ، فسار بهم قاصدا الى العراق ، وبلغ الامام الحسن خبره ومسيره نحوه ، وأنه قد بلغ جسر منبج ، فتحرك عند ذلك ، وبعث حجر بن عدى فأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير ، ونادى المنادى الصلاة جامعة ، فأقبل الناس يثوبون ويجتمعون ، وقال الحسن : اذا رضيت الجماعة ، فأعلمونى .

وجاء سعيد بن قيس الهمدانى فقال له اخرج .

فخرج الحسن عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
أما بعد فان الله كتب الجهاد على خلقه ، وسماه كرها ، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين : اصبروا ان الله مع الصابرين ، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون .

بلغنى أن معاوية بلغه أننا كنا أزمعنا على المسير اليه ، فتحرك لذلك ، اخرجوا رحمكم الله ، الى معسكركم بالنخيلة ، حتى ننظر وتنظروا ، ونرى وتروا .

قالوا : وانه فى كلامه ليتخوف خذلان الناس له ، قالوا فسكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجابه بحرف .

شجاعة عدى بن حاتم ووفاؤه :

فلما رأى ذلك عدى بن حاتم قام فقال : أنا ابن حاتم ، سبحان الله ، ما أقبح هذا المقام ، ألا تجيبون امامكم ، وابن بنت نبيكم ، أين خطباء مضر ، أين المسلمون ، أين الخواضون من أهل المصر ، الذين ألسنتهم كالمخاريق فى الدعة ، فاذا جد الجد فرواغون كالثعالب ، أما تخافون مقت الله ، ولا عيبها وعارها .

ثم استقبل الامام الحسن بوجهه فقال : أصاب الله بك المراشد ، وجنبك المكاره ، ووفقك لما تحمد ورده وصدره ، قد سمعنا مقالتك ،

واتهينا الى أمرك ، وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت ، وهذاوجهى الى معسكرى ، فمن أحب أن يوافينى فليواف .

ثم مضى لوجهه ، فخرج من المسجد ودابته بالباب ، فركبها ومضى الى النخيلة ، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه ، وكان عدى بن حاتم أول الناس عسكرا .

نخبة من الأوفياء :

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى ، ومعقل بن قيس الرياحى، وزياد بن صعصعة التيمى ، فأنبوا الناس ولاموهم وحرصوهم ، وكلموا الامام الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم فى الاجابة والقبول .

فقال لهم الامام الحسن عليه السلام ، صدقتم رحمكم الله ، ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيرا ثم نزل .

وخرج الناس وعسكروا ، ونشطوا للخروج ، وخرج الامام الحسن الى المعسكر ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأمره باستحثاث الناس واشخاصهم اليه ، فجعل يستحثهم ويستخرجهم حتى يلتئم العسكر .

ابن عباس يبدى رايه للامام الحسن :

وروى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى عن أبى بكر بن الأسود قال : كتب ابن عباس الى الامام الحسن : أما بعد فان المسلمين ولوك أمرهم بعد على عليه السلام ، فشمر للحرب وجاهد عدوك ، وقارب أصحابك ، واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك دينا ، ووال أهل البيوتات والشرف، تستصلح به عشائرهم ، حتى يكون الناس جماعة ، فان بعض ما يكره الناس — مالم يتعد الحق ، وكانت عواقبه تؤدى الى ظهور العدل وعز الدين — خير من كثير مما يحبه الناس اذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور وذل المؤمنين وعز الفاجرين .

واقتد بما جاء عن آئمة العدل ، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب الا فى حرب أو اصلاح بين الناس ، فان الحرب خدعة ، ولك فى ذلك سعة اذا كنت محاربا مالم تبطل حقا .

واعلم أن عليا اباك ، انما رغب الناس عنه الى معاوية ، انه أساء اليهم فى الفيء ، وسوى بينهم فى العطاء فثقل عليهم .

واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله فى ابتداء الاسلام ، حتى ظهر أمر الله ، فلما وحد الرب ومحق الشرك وعز الدين ، أظهروا الايمان ، وقرءوا القرآن ، مستهزئين بآياته ، وقاموا الى الصلاة وهم كسالى ،وأدوا الفرائض وهم لها كارهون .

فلما رأوا أنه لا يعز فى الدين الا الاتقياء الأبرار ، توسموا بسيما الصالحين ، ليظن المسلمون بهم خيرا ، فما زالوا بذلك حتى شركوهم فى أماناتهم ، وقالوا حسابهم على الله ، فان كانوا صادقين فاخواننا فى الدين ، وان كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين .

وقد منيت بأولئك وبأبنائهم وأشباههم ، والله مازادهم طول العمر الا غيا ، ولا زادهم ذلك لأهل الدين الا مقتا ، فجاهدهم ولا ترض دنية ولا تقبل خسفا ، فان عليا لم يجب الى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب ، وانهم يعلمون أنه أولى بالأمر ان حكموا بالعدل ، فلما حكموا بالهوى ، رجع الى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله ، ولا تخرجن من حق أنت أولى به ، حتى يحول الموت دون ذلك والسلام .

قالوا : وسار الامام الحسن عليه السلام فى عسكر عظيم وعدةحسنة، حتى نزل دير عبد الرحمن فأقام به ثلاثا حتى اجتمع الناس .

ثم دعا عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب (أخو عبد الله بن عباس) فقال له : يا ابن عم ، انى باعث اليك اثنى عشر الفا من فرسان العرب وقراء المصر ، الرجل منهم يزن الكتيبة ، فسر بهم وألن لهم جانبك ،وابسط لهم وجهك ، وافرش لهم جناحك ، وأدنهم من مجلسك ، فانهم بقية ثقات أمير المؤمنين ، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات ، حتىتعبر

مسكن ، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية ، فان أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك ، فانى على أثرك وشيكا ، وليكن خبرك عندى كل يوم ، وشاور هذين (يعنى قيس بن سعد وسعيد بن قيس) واذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك ، فان فعل فقاتله ، وان أصبت فقيس بن سعد على الناس ،وان أصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس .

قالوا ، فسار عبيد الله حتى انتهى الى شينور حتى خرج الى شاهى ثم لزم الفرات والفلوجه حتى أتى مسكن ، وأخذ الحسن على حمام عمر حتى أتى دير كعب ، ثم بكر فنزل ساباط دون القنطرة .

فلما أصبح نادى فى الناس ، الصلاة جامعة ، فاجتمعوا فصعد المنبر ، وخطبهم فقال :

الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد ألا اله الا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، أرسله بالحق وائتمنه على الوحى ، صلى الله عليه وآله أما بعد :

فوالله انى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه ، وأنا أنصح خلقه ، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة ، ولا مريدا له بسوء ولا غائلة ، ألا وان ما تكرهون فى الجماعة ، خير لكم مما تحبون فى الفرقة ، ألا وانى ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم ، فلا تخالفوا أمرى ، ولاتردوا على رأيى ، غفر الله لى ولكم ، وأرشدنى واياكم لما فيه محبته ورضاه ان شاء الله ، ثم نزل .

قالوا ، فنظر الناس بعضهم الى بعض ، وقالوا ما ترونه يريد بما قال، قالوا نظنه يريد أن يصالح معاوية ، ويكل الأمر اليه ، كفر والله الرجل ، ثم شدوا على فسطاطه ، فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدى فنزع مطرفه الذى على عاتقه، فبقى جالسا متقلدا سيفه بغير رداء ، فدعا بفرسه فركبه ، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ، ومنعوا منه من أراده ولاموه وضعفوه لما تكلم به .

فقال ادعوا لى ربيعة وهمدان ، فدعـوا له ، فأطافوا به ، ودفعـوا الناس عنه ، ومعهم شؤب (اخلاط) من غيرهم ، فلما مر فى مظلم ساباط (قرب المدائن) قام اليه رجل من بنى أسد ثم من بنى نصر بن قعين يقال له جراح بن سنان ، وبيده معول فأخذ بلجام فـرسه ، وقال له : الله أكبر يا حسن ، أشرك أبوك ، ثم أشركت أنت ، وطعنه بالمعول ، فوقعت فى فخذه فشقته حتى بلغت أربيته (أصل الفخذ) وسقط الحسن عليه السلام الى الأرض بعد أن ضرب الذى طعنه بسيف كان بيده واعتنقه ، فخرا جميعا الى الأرض ، فوثب عبد الله بن الأخطل الطائى ونزع المعول من يد جراح بن سنان ، فخضخضه به ، وأكب ظبيان بن عمارة عليه فقطع أنفه ، ثم أخذا له الآجر فشدخا رأسه ووجهه حتى قتلوه .

وحمل الحسن عليه السلام على سرير الى المدائن وبها سـعيد بن مسعود الثقفى واليا عليها من قبله ، وقد كان أمير المؤمنين على عليه السلام ولاه المدائن فأقره عليها الحسن عليه السلام ، فأقام عنده يعالج نفسه .

امر عجيب وكرامة كبرى :

وأقول فى هذه المناسبة ، انى عجبت فى تاريخ الامام الحسين ، أن يقوم المختار بن عبيد الله الثقفى ، وهو ابن أخ لسعيد بن مسعود الثقفى ، فيتزعم الشيعة بعد مقتل سليمان بن صرد الخزاعى ، ويثأر للامام الحسين ، ويمكن له الله من قتلة الامام الحسين ، فيـوقفهم بين يديه ويأمر بقتلهم أنواعا من القتلات تناسب ما فعلوه ، فمنهم من أحرقه بالنار ، ومنهم من قطع أطرافه وتركه حتى مات ، ومنهـم من رمى بالنبـال حتى مات ، وكان ممن قتلهم عبيد الله بن زياد ، وشمر بن ذى الجوشن ، عليهما اللعنـة الدائمة ، وكان من بينهم عمر بن سعد وابنه حفص ، وقد أرسل برأس ابن زياد الى سيدى على زين العابدين ، وأرسل برأس عمر وحفص الى سيدى محمد بن الحنفية ، وقال المختار حين قتلا ، والله لو قتلت بالحسـين ثلاثة أرباع قريش ما وفوا بأنملة من أنامله ، أقول ان هذا الرجل الذى سلطه الله عـلى أعداء الامام الحسين ، كان خصما لأمير المؤمنين على ولأمير المؤمنين الحسن ، ويدلك

علي ذلك أنه حين طعن الامام الحسن ودخل المدائن ليعالج جرحه قال المختار لعمه سعيد بن مسعود الثقفي والمتقدم ذكره لو سلمت الحسن الى معاوية لاتخذت عنده اليد البيضاء ، فأجابه عمه في وفاء ، بئس ما تأمرني به .

ألست ترى معي أيها القارىء الكريم أن هذا أمر عجيب ، فقد تحول المختار من عداوة سافرة ، الى صداقة صادقة ، ولله في خلقه آيات ، وتلك والله لآل البيت من كبرى الكرامات .

ونعود الى التاريخ فنقول :

أما معاوية فانه وافى حتى نزل قرية يقال لها الحلوبية بمسكن ، وأقبل عبيد الله بن عباس حتى نزل بازائه ، فلما كان من غد ، وجه معاوية بخيله اليه ، فخرج اليهم عبيد الله فيمن معه ، فضربهم حتى ردهم الى معسكرهم .

عبيد الله بن عباس يخون الامام الحسن :

فلما كان الليل أرسل معاوية الى عبيد الله بن عباس أن الحسن قد راسلني في الصلح ، وهو مسلم الأمر الي ، فان دخلت في طاعتي الآن ، كنت متبوعا ، والا دخلت وأنت تابع ، ولك ان أجبتني الآن ألف ألف درهم ، أعجل لك في هذا الوقت نصفها واذا دخلت الكوفة النصف الآخر .

فانسل عبيد الله اليه ليلا ، فدخل عسكر معاوية ، فوفى له بما وعده وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلي بهم ، فلم يخرج حتى أصبحوا ، فطلبوه فلم يجدوه ، فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة ، ثم خطبهم فثبتهم ، وذكر عبيد الله فنال منه ، ثم أمرهم بالصبر والنهوض الى العدو ، فأجابوه بالطاعة وقالوا له : انهض بنا الى عدونا على اسم الله،فنزل فنهض بهم .

وخرج اليه بسر بن أرطاه ، فصاح الى أهل العراق ، ويحكم هذا أميركم عندنا قد بايع وامامكم الحسن قد صالح ، فعلام تقتلون أنفسكم .

فقال لهم قيس بن سعد ، اختاروا احدى اثنتين ، اما القتال مع غير امام ، واما أن تبايعوا بيعة ضلال ، فقالوا بل نقاتل بلا امام .

بين قيس بن سعد ومعاوية :

فخرجوا ، فضربوا أهل الشام حتى ردوهم الى مصافهم ، فكتب معاوية الى قيس بن سعيد ، يدعوه ويمنيه فكتب اليه قيس : لا والله لا تلقانى أبدا الا بينى وبينك الرمح ، فكتب اليه معاوية لما يئس منه .

كتاب معاوية الى قيس بن سعد :

أما بعد فانك يهودى بن يهودى ، تشقى نفسك وتقتلها فيما ليس لك ، فان ظهر أحب الفريقين اليك نبذك وغدرك ، وان ظهر أبغضهم اليك نكل بك وقتلك ، وكان أبوك أوتر غير قوسه ، ورمى غير غرضه ، فأكثر الحز وأخطأ المفصل ، فخذله قومه ، وأدركه يومه ، فمات بحوران طريدا غريبا والسلام .

رد الشجاع قيس بن سعد على معاوية :

فكتب اليه قيس بن سعد

أما بعد فانما أنت وثن ابن وثن ، دخلت فى الاسلام كرها ، وأقمت فيه فرقا ، وخرجت منه طوعا ، ولم يجعل الله لك فيه نصيبا ، ولم يقدم اسلامك، ولم يحدث نفاقك ، ولم تزل حربا لله ولرسوله ، وحزبا من أحزاب المشركين وعدوا لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده .

وذكرت أبى ، فلعمرى ما أوتر الاقوسه ، ولا رمى الا غرضه ، فشغب عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه ، وزعمت أنى يهودى ابن يهودى،وقد علمت وعلم الناس ، أنى وأبى أعداء الدين الذى خرجت منه ، وأنصار الدين الذى دخلت فيه ، وصرت اليه والسلام .

فلما قرأ معاوية كلامه غاظه ، وأراد اجابته ، فقال له عمرو بن العاص، مهلا ، فانك ان كاتبته أجابك بأشد من هذا ، وان تركته دخل فيما دخل فيه الناس ، فأمسك عنه .

رسل معاوية الى الامام الحسن :

وبعث معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة الى الامام الحسن للصلح فدعواه اليه فزهداه فى الأمر ، وأعطياه ما شرط له معاوية ، والا يتبع أحد بما مضى ، ولا ينال أحد من شيعة على بمكروه ، ولا يذكر على الا بخير ، وهى أشياء شرطها الامام الحسن فأجاباه الى ذلك وستعلم تفاصيل الشروط فيما بعد من كتاب الصلح الذى أرسله الامام الحسن الى معاوية .

وانصرف قيس بن سعد فيمن معه الى الكوفة ، واجتمع الى الامام الحسن عليه السلام وجوه الشيعة ، وأكابر أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام يلومونه ، ويبكون اليه جزعا مما فعل .

نص كتاب الصلح الذى كتبه الامام الحسن :

جاء نص كتاب الصلح فى كتاب مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول لابن طلحة القرشى كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح عليه الحسن بن على بن أبى طالب معاوية بن أبى سفيان.صالحه على أن يسلم اليه ولاية أمرالمسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين .

وليس لمعاوية بن أبى سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهدا ، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين ، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله فى شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم ، وعلى أن أصحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبى سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه ، وعلى أنه لا يبغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة سرا ولا جهرا ، ولا يخيف أحدا منهم فى أفق من الآفاق ، شهد عليه بذلك الله وكفى بالله شهيدا وفلان وفلان والسلام .

معاوية فى طريقه للكوفة :

ونعود للتاريخ ، قال أبو الفرج : وسار معاوية حتى نزل النخيلة وجمع الناس فخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة لم ينقلها أحد من الرواة تامة ، ودخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة .

كيف بايع قيس بن سعد معاوية :

وقال ، فلما تم الصلح بين الحسن ومعاوية ، أرسل الى قيس بن سعد ، يدعوه الى البيعة ، فجاءه ، فلما أرادوا ادخاله اليه ، قال انى حلفت ألا ألقاه الا وبينى وبينه الرمح أو السيف ، فأمر معاوية برمح وسيف فوضعا بينه وبينه ليبر يمينه .

قال ، وفى رواية أخرى أن الحسن لما صالح معاوية ، اعتزل قيس بن سعد فى أربعة آلاف فارس ، وأبى أن يبايع ، فلما بايع الحسن أدخل قيس ليبايع ، فأقبل على الحسن فقال ، أفى حل أنا من بيعتك ، فقال،نعم،فألقى له كرسى ، وجلس معاوية على سرير والحسن معه ، فقال له معاوية أتبايع يا قيس ، قال نعم ، ووضع يده على فخذه ولم يمدها الى معاوية ، فجاء معاوية من سريره وأكب على قيس حتى مسح يده على يده ، وما رفع اليه قيس يده .

الامام الحسن يخطب بعد الصلح :

قال أبو الفرج ، ثم ان معاوية أمر الحسن أن يخطب فظن أنه سيحصر فخطب فقال فى خطبته :

انما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه ، وليس الخليفة من سار بالجور ، ذاك رجل ملك ملكا تمتع به قليلا ، ثم تنخمه ، تنقطع لذته ،وتبقى تبعته (وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) .

تعقيب على خطبة الامام الحسن :

أقول والمبدأ الذى أبرزه الامام الحسن فى خطبته تلك ، هو ذات المبدأ الذى أبرزه أبوه الامام على قبله ، حين بين أن السادة آل البيت

لا يطلبون الخلافة لسلطان الدنيا وانما يطلبونها ليردوا بها المعالم من دين الله وليظهروا بها الاصلاح فى بلاد الله ، واليك نص ما قاله الامام على كرم الله وجهه كما ورد فى نهج البلاغة :

« اللهم انك تعلم أنه لم يكن الذى كان منا ، منافسة فى سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح فى بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك .

« اللهم انى أول من أناب ، وسمع وأجاب ، لم يسبقنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة ، وقد علمتم أنه لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وامامة المسلمين البخيل ، فتكون أموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافى فيقطعهم بجفائه ، ولاالخائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ، ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة . »

فرحة معاوية بالصلح :

كانت فرحة معاوية بالصلح شديدة ، ولا أدل على ذلك من أنه أرسل صحيفة الصلح بيضاء وموقعة منه على بياض ، وقال للامام الحسن اكتب ما شئت من شروط .

وانى أنوه بصفة خاصة بأن معاوية عرض على الامام الحسن أن يكون له الأمر من بعده ، ولكن الامام الحسن رأى أن يكون الأمر شورى بعد معاوية ، حتى لا يخرج بالأمة عن مبدأ الشورى الذى جرى عليه سلف الأمة المقتدى بهم فى أمر الدين .

وقد بذل أخوه الامام الحسين (كما هو معروف) نفسه الغالية ، وبذل أنفسهم معه اخوته ، وأبناؤه ، وأبناء أخيه وأبناء أخته وأبناء عمومته وصحبه ، من أجل الحفاظ على ذلك المبدأ الذى هو حق مقدس من حقوق الأمة وكان معاوية قد خرج بعد موت الامام الحسن عن مبدأ الشورى

وحمل الناس بالسلطان والسيف على بيعة ابنه يزيد الذى لم يكن أهلا للخلافة .

وكذلك أنوه بأن الامام الحسن اشترط الا يساء أحد من أصحابه أو أصحاب أبيه بأية اساءة والا عدل عن الصلح فاضطر معاوية الى القبول .

لماذا تنازل الامام الحسن عن الخلافة :

ان الامام الحسن حين تنازل عن الخلافة ، لم يكن خوارا ، يتهيب الحرب فقد خاض المعارك الكثيرة مع أبيه ومع غير أبيه كما علمت مما تقدم، لكنه كان ذا فراسة عميقة بأحوال من حوله ، ودلته فراسته أنه وان كان هو الأصلح للخلافة الا أن أهل العراق يزهدون الخلافة ، بينما معاوية يطلب ملكايسح المال من جوانبه سحا ، فجرى القوم وراء المال ، واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا الدين بالدنيا ، والخلافة لا تنجح الا فى مجتمع ينشدها ويرضى حكمها ، ومغالبة الناس لأهوائهم الدنيوية أمر عسير ، وان كانوا نجحوا فيه فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة ، فان استمرار المغالبة كان مستبعدا لأنه ضد الطباع البشرية .

واذا كان معاوية قد استطاع أن يشترى ذمة عبيد الله بن عباس ، وهو ابن عم الامام الحسن ، فشراء الذمة من غيره كان أهون وأرخص .

وقد رأيت أن جند الامام الحسن اعتدوا عليه وطعنوه ، فهل كان يرجو من هؤلاء المتمردين خيرا فى ساعة الجد .

ولو قدرنا أنه التحم مع قوات معاوية وانتصر عليه ، فان أهل الشام كانوا يخرجون من المعركة حاقدين موتورين ، ولا تنس ما كان للخوارج من بقية ناوأت حتى بنى أمية مناوأة شديدة فاستعاونوا عليهم بالمهلب بن أبى صفرة وبنيه الى أن تمت لهم الغلبة عليهم .

فالامام الحسن كان كأبيه يطلب خلافة الراشدين ، والمجتمع كان ينحط الى الدنيا انحطاطا سريعا ، فلا تتسنى خلافة الراشدين ، وصدق الله تعالى اذ يقول (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) .

عدوى معاوية لاصحابه :

وقد تأثر أصحاب معاوية بشربه فى الخدعة وشراء الذمم ، ومن أبرز ما قرأته الواقعة الآتية :

بين عبيد الله بن عمر والامام الحسن :

كان عبيد الله بن عمر فى صفين ، فى صف معاوية ، وأثناء وقائع صفين أرسل عبيد الله الى الامام الحسن عليه السلام : ان لى اليك حاجة فالقنى ، فلقيه الامام الحسن عليه السلام ، فقال له عبيد الله : ان أباك وتر قريشا أولا وآخرا ، وقد شنئه الناس ، فهل لك فى خلعه ، وأن تتولى أنت هذا الأمر ؛ فقال كلا ، والله لا يكون ذلك .

ثم قال الامام الحسن عليه السلام يا ابن الخطاب ، والله لكأنى أنظر اليك مقتولا فى يومك أو غدك ، أما ان الشيطان قد زين لك وخدعك حتى أخرجك مخلقا بالخلوق ، ترى نساء أهل الشام موقفك ، وسيصرعك الله ، ويبطحك لوجهك قتيلا .

قالوا ، فوالله ما كان الا بياض ذلك اليوم حتى قتل عبيدالله ، وهو فى كتيبة رقطاء ، وكانت تدعى الخضرية ، كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب خضر .

فانظر رعاك الله ، كيف سرت عدوى معاوية ، فى عبيد الله بن عمربن الخطاب ، ووالله ما كان يسر أباه أن يراه فى مثل هذا الموقف القبيح الذى غرته فيه دنياه ، وظن أن الامام الحسن مثله تغريه الدنيا الدنية ، وحاشاه .

وانى لست فى حاجة لأن أسترعى نظرك لما تحقق من قتل عبيد الله كما تفرس الامام الحسن بنور الله ، فهو ممن جعل الله له نورا يمشى به فى الناس .

هل وفى معاوية للامام الحسن :

روى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى قال : طلب زياد رجلا من أصحاب الحسن ممن كانوا فى كتاب الأمان فكتب اليه الحسن :

من الحسن بن على الى زياد :

أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا من الأمان لأصحابنا ، وقد ذكر لى فلان أنك تعرضت له ، فأحب ألا تعرض له الا بخير والسلام .

زياد يغضب اذ ينسبه الامام الحسن لأبى سفيان :

فلما أتاه الكتاب ، غضب اذ لم ينسبه الى أبى سفيان ، وكان معاوية قد ألحقه بأبى سفيان بحجة أن أباه كان قد أتى أم زياد فى الجاهلية ، وفى ذلك مخالفة لقوله تعالى (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانهم فى الدين ومواليكم) وكان الناس يقولون قبل ذلك زياد ابن أبيه ، ورد زياد على الامام الحسن يقول :

من زياد بن أبى سفيان ، الى الحسن

أما بعد ، فانه أتانى كتابك فى فاسق ، تؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك ، وايم الله لأطلبنه بين جلدك ولحمك ، وان أحب الناس الى لحما أن آكله ، للحم أنت منه والسلام .

الامام الحسن يبعث كتاب زياد لمعاوية :

فلما قرأ الامام الحسن الكتاب بعث به الى معاوية فلما قرأه غضب وكتب الى زياد :

كتاب معاوية الى زياد :

من معاوية بن أبى سفيان الى زياد

أما بعد فان لك رأيين ، رأيا من أبى سفيان ، ورأيا من سمية (أم زياد) فأما رأيك من أبى سفيان فحلم وحزم ، وأما رأيك من سمية فما يكون من مثلها .

ان الحسن بن على كتب الى بأنك عرضت لصاحبه ، فلا تعرض له ، فانى لم أجعل لك عليه سبيلا ، وان الحسن ليس ممن يرمى به الرجوان

(أى لا يستهان به) والعجب من كتابك اليه لا تنسبه الى أبيه أو الى أمه فالآن حين اخترت له والسلام .

ومع هذه الشدة التى كتب بها معاوية لزياد ، فان الوقائع التى جرت من معاوية ، دلت على أنه لم يف بالشروط التى شرطها الامام الحسن ، وكان الحصين بن المنذر الرقاشي يقول ، والله ما وفى معاوية للحسن بشىء مما أعطاه ، قتل حجرا وأصحاب حجر ، وبايع لابنه يزيد ، وسم الحسن .

الصالحون ينكرون استلحاق زياد بأبى سفيان :

ويقول الدكتور طه حسين فى كتابه « على وبنوه » ان استلحاق زياد بأبى سفيان أنكره الصالحون حين أعلنه معاوية وحرص عليه زياد أشد الحرص ، وغضب له موالى زياد من بنى ثقيف .

ويروى الدكتور طه عن البلاذرى أن يونس بن سعد قطع على معاوية خطبة الجمعة وقال له :

اتق الله يا معاوية ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بأن الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وأنت قد جعلت للعاهر الولد وللفراش الحجر ، وان زيادا عبد عمتى وابن عبدها ، فاردد الينا ولاءنا .

فقال له معاوية : والله يا يونس لتكفن أو لأطيرن بك طيرة بطيئا وقوعها ، قال يونس ، اليس المرجع بعد بك وبى الى الله عز وجل .

وقال يزيد بن مفرغ يعيب معاوية بهذا الاستلحاق .

الا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليمانى
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زانى

ويرى القارىء من ذلك قوة المعارضة التى لقيها معاوية فم استلحاق زياد بأبى سفيان .

الامام الحسن يرحل الى المدينة بعد الصلح :

يقول الدكتور طه حسين أن الامام الحسن ارتحل بأهل بيته الى المدينة بعد الصلح وترك معاوية فى الكوفة يدبر أمر دولته الجديدة كما

بشاء ، وما كاد يبعد عن الكوفة حتى أدركه رسول معاوية يريد أن يرده الى الكوفة ليقاتل طائفة من الخوارج خرجت عليه ، فأبى الحسن أن يعود، وقال لقد صالحته ، وما أريد الا حقن الدماء واجتناب الحرب .

وانتهى الحسن الى المدينة فلقى من أهلها أثر وصوله اليها من لامه فى الصلح ، كما لامه فيه أهل الكوفة ، فكان يقول للائمين ، كرهت أن القى الله عز وجل فاذا سبعون الفا أو أكثر تشخب أوداجهم دما يقول كل منهم ، ياربى فيم قتلت .

معاوية يلاين اهل العراق ثم يشتد عليهم :

يقول الدكتور طه حسين ان معاوية صانع أهل العراق ورفق بهم حتى يتم له الصلح ويستقيم له الأمر ويخرج الحسن عن العراق ، فلما تم له ما أراد اصطنع الحزم وساس أهل العراق سياسة لم يكونوا يعرفونها من قبل .

فأخرجهم من الدعة التى ألفوها ، وعلمهم أن طاعةالأمراء فرض لاينبغى التردد فيه أو الالتواء به ، وأن من لم يعط الطاعة لا أمان له ، وقد برئت منه ذمة السلطان ، هنالك عرف أهل العراق أن حياتهم قد تغيرت ، وأنهم سيستقبلون من أمرهم أشد وأقسى مما كانوا يظنون .

وقد جعل أهل العراق ، يذكرون حياتهم أيام على ، فيحزنون عليها ، ويندمون على ما كان من تفريطهم فى جنب خليفتهم ، ويندمون كذلك على ما كان من الصلح بينهم وبين أهل الشام ، وجعلوا كلما لقى بعضهم بعضا تلاوموا فيما كان ، وأجالوا الرأى فيما يمكن أن يكون ، ولم تكد تمضى أعوام قليلة حتى جعلت وفودهم تفد الى المدينة للقاء الحسن والقول له والاستماع منه .

اختلاف وجهتى النظر فى شروط الصلح :

يقول الدكتور طه حسين : ان الحسن احتفظ بكتاب معاوية عنده ، وأرسل اليه رجلا من بنى عبد المطلب من جهة ، وبينه وبين معاوية قرابة

قريبة من جهة أخرى ، وهو عبد الله بن الحارث وأمه أخت معاوية ، وقال ائت خالك ، وقل له : ان أمنت الناس بايعتك .

ويستطرد الدكتور طه قائلا ، وكأن الحسن أراد أن يصطنع شيئا من اللباقة ، فاحتفظ بشروط معاوية ، وطلب الى معاوية مزيدا هو تأمين الناس . ولكن معاوية كان أدهى من ذلك وأبرع كثيرا ، فقد أعطى ابن أخته طومارا ختم فى أسفله وقال اكتب ما شئت .

فكتب فيه الحسن ، هذا ما صالح عليه الحسن بن على معاوية بنأبى سفيان ، صالحه على أن يسلم اليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده ، وان يكون الامر شورى ، والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم وعلى الا يبغى الحسن بن على غائلة سرا ولا علانية ، ولا يخيف أحدا من أصحابه ، شهد عبد الله بن الحارث، وعمرو بن سلمة ؛ ثم رد عبد الله بن الحارث الى معاوية بكتابه هذا ليشهد عليه من شاء من أصحابه ففعل .

فتم الصلح ، ولكنه لم يتم دون أن يترك بين الرجلين شيئا من اختلاف الرأى وسوء التفاهم كما يقال فى هذه الأيام .

ثم يقول الدكتور طه ، أكان الكتاب الأول الذى أرسله معاوية الى الحسن قائما يكفل للحسن ما أعطاه معاوية من الشروط ، ما عدا ولاية العهد ، التى لم يرضها الحسن ، أم سقط بهذا الكتاب الذى كتبه للحسن وأمضاه معاوية .

أما الحسن فقد رأى أن كتاب معاوية الأول ظل قائما ، وأما معاوية فقد رأى أن الكتاب الثانى قد ألغى الكتاب الأول الغاء ، فليس للحسن عنده الا ما طلب من أن يكون الأمر شورى بعد موت معاوية ، ومن تأمين الناس على أنفسهم ، وعلى أموالهم وذراريهم ، ومن الا يبغى الحسن غائلة سرا وجهرا ، ومن أن يعمل فى أمر المسلمين بكتاب الله وسنة رسولهوسيرة الخلفاء الصالحين .

ثم يقول الدكتور طه ، ومن أجل اختلاف الرأى هذا ، طلب الحسن الى معاوية بعد أن استقام له الامر ، أن يفى له بالشروط المالية ، فأبى عليه معاوية ، وقال له ، ليس لك عندى الا ما شرطت لنفسك .

وأراد الامام الحسن أن يحكم سعد بن أبى وقاص ، فلم يقبل معاوية تحكيما ، ولكنه أرضى الحسن بما أعطاه وما فرض له من مال .

راى الدكتور طه حسين فى خطبة الامام الحسن بعد الصلح :

تعرض الدكتور طه لخطبة الامام الحسن التى خطبها بعد تنازله عن الخلافة . ونفى ما تكلفه الرواة والمؤرخون من أن عمرو بن العاص أغرى معاوية بدعوة الحسن الى أن يتكلم ليظهر للناس عجزه .

وقال الدكتور طه فى دفاعه عن الامام الحسن : ان الحسن لم يختلس الصلح اختلاسا . ولم يستخف به من الناس ، والحسن قد خطب الناس غير مرة فى حياة أبيه وبعد وفاته ، فلم يعرف منه عى أو حصر ، وهو بعد ذلك أو قبل ذلك : من أهل بيت لم يعرفوا قط بعى أو حصر ، وانما كانوا معدن الفصاحة واللسن وفصل الخطاب .

ويستطرد الدكتور طه قائلا : وقد خطب الحسن فقال خير ما كان يمكن أن يقال ، وأصدق ما كان يمكن أن يقال أيضا ، قال (صيغة أخرى غير التى مرت عليك) .

« أيها الناس ان أكيس الكيس التقى ، وأحمق الحمق الفجور ، ان هذا الأمر الذى سلمته لمعاوية ، اما أن يكون حق رجل كان أحق به منى فأخذ حقه ، واما أن يكون حقى فتركته لصلاح أمة محمد وحقن دمائها ، فالحمد لله الذى أكرم بنا أولكم ، وحقن دماء آخركم .

دفاع الدكتور طه حسين عن موقف الامام الحسن بعد الصلح :

يقول الدكتور طه ، ان الصلح أسخط على الحسن جماعة من أصحابه الذين أخلصوا له ولأبيه ، وأخلصوا فى بغض معاوية وأهل الشام ، ورأوا

فى هذا الصلح نوعا من التسليم لم يكن يلائم ما بذلوا أيام على من جهد، ولم يكن يلائم كذلك ما كان فى أيديهم من قوة ، فمنهم من كان يقول للحسن : يا مذل المؤمنين ، ومنهم من كان يقول له : يامذل العرب ، ومنهم من قال له : يا مسود وجوه العرب .

ولكن الحسن لم يحفل بشىء من ذلك ، وانما رضى عن خطته كل الرضا ، ورأى فيها حقنا للدماء ، ووضعا لأوزار الحرب ، وجمعا لكلمة الأمة . وتمكينا للمسلمين من أن يستقبلوا أمورهم مؤتلفين لا مختلفين ، ومتفقين لا مفترقين ، ومن أن يفرغ أهل الثغور لثغورهم ، يردون عنها طمع العدو فيها ، وفيما وراءها ، ومن أن يفرغ الجند للفتح ، يستأنفونه من حيث وقفته الفتنة .

ثم يقول ، ولم يكن قعود الحسن عن الحرب جبنا أو فرقا ، وانما كان كراهية لسفك الدماء من جهة ، وشكا فى أصحابه من الجهة الأخرى .

ثم تعرض الدكتور طه لمعارضة الامام الحسين لفكرة الصلح حين استشاره أخوه الامام الحسن ويقول ، أن الامام الحسين كان يرى أن يستمسك أخوه ويمضى فى الحرب ، الا أن الامام الحسن امتنع عليه وأنذره، وعقب الدكتور طه قائلا ، وليس فى هذا شىء من الغرابة ، فقد كان على نفسه ينبأ بعض ذلك ، ويتحدث بأن الحسن سيخرج من هذا الأمر ،وبأن الحسين هو أشبه الناس به .

ظهور حزب الشيعة بعد التنازل عن الخلافة لمعاوية :

يقول الدكتور طه ان الامام على ، لم تكن له قبل فتنة عثمان شيعة ممتازة من الأمة ، ولم تكن له شيعة بالمعنى الذى يعرفه الفقهاء والمتكلمون أثناء خلافته ، وانما كان له أنصار وأتباع ، وكانت كثرة المسلمين كلها له أنصارا وأتباعا ، حتى كانت موقعة صفين .

ويقول : وقد قتل على ، وليس له حزب منظم ، ولا شيعة مميزة ، بل لم ينظم الحزب العلوى ، ولم توجد الشيعة المميزة الا بعد تنازل الامام الحسن عن الخلافة لمعاوية .

بين الامام الحسن واشراف الكوفة :

قلنا ان أهل العراق ندموا على ما كان من تفريطهم فى جنب خليفتهم كما ندموا على ما كان من أمر الصلح .

ويقول الدكتور طه ، انه أقبل على الامام الحسن ذات يوم وفد من أشراف الكوفة ، فقال له متكلمهم وهو سليمان بن صرد الخزاعى : ما ينقضى تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة ، كلهم يأخذ العطاء . وهم على أبواب منازلهم ، ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم، سوى شيعتك من أهل البصرة ، وأهل الحجاز ، ثم لم تأخذ لنفسك ثقة فى العقد ولا حظا من العطية .

« فلو كنت اذ فعلت ما فعلت ، أشــهدت على معاوية وجـوه أهل المشرق والمغرب ، وكتبت عليه كتابا بأن الأمر لك بعده ، كان الأمر علينا أيسر ، ولكنه أعطاك شيئا بينك وبينه ثم لم يف به ، ثم لم يلبث أن قال على رءوس الناس ، انى كنت شرطت شروطا ، ووعدت عدات ، ارادة لاطفاء نار الحرب ، ومداراة لقطع هذه الفتنة ، فأما اذ جمع اللهلنا الكلمة والألفة، وأمننا من الفرقة ، فان ذلك تحت قدمى .

فوالله ما اغتــرنى بذلك الا ما كان بينك وبينه وقد نقض ، فاذا شئت فأعد الحرب جذعة وأذن لى فى تقــدمك الى الكوفة ، فأخرج عنها عامله ، وأظهر خلعه ، ونبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » .

تعريف بسليمان بن صرد الخزاعى :

وانى أرى من المفيد أن أعرف القارىء الكريم بهذا الرجل العظيم ، فهو صحابى جليل ، وهــو الذى تزعم الشيعة للأخــذ بثأر مولانا الامام الحسين وقاتل الأمويين حتى قتل ، وتزعم المختار بن عبيد الله الثقفىالشيعة من بعده ونكل بقتلة الامام الحسين نكالا شفى صدور قوم مؤمنين كما سلف القول .

ونعود لما كنا فيه ، يقول الدكتور طه ، وقال الآخـرون مثلما قال سليمان بن صرد ، فهم اذن انما جاءوا المدينة ولقوا الحسن ليعاتبوه أولا

لانه جنح للسلم على رغم ما كان عنده من قوة وعدد ، وليعاتبوه ثانيا لأنه حين أمضى الصلح لم يشهد عليه وجوه الناس من أهل المشرق والمغرب ، ولم يشترط لنفسه ولاية عهد ، ثم لينبئوه ثالثا أن معاوية قد نقض الصلح، وأعلن نقضه على رءوس الأشهاد ، ثم ليطلبوا اليه بعد ذلك أن يعيد الحرب جذعة ، وأن يأذن لهم أن يسبقوا الى الكوفة ، فيعلنوا فيها خلع معاوية ، ويخرجوا منها عامله ، وحينئذ ينبذ الحسن الى معاوية على سواء أن الله لا يحب الخائنين .

ثم يقول الدكتور طه : وقد قبل الحسن منهم شيئا ، ورفض شيئا ، وكان فيما قبل منهم ناصحا لهم ، رفيقا بهم ، مؤثرا السلم وحقن الدماء ، ولكنه لم يوئسهم . وانما أبقى لهم شيئا من أمل ، فقال لهم فيما روى البلاذرى :

أنتم شيعتنا وأهل مودتنا ، فلو كنت بالحزم فى أمر الدنيا أعمل ، ولسلطانها أعسل وأنصب ، ما كان معاوية بأبأس منى بأسا ، ولا أشد شكيمة . ولا أمضى عزيمة ، ولكننى أرى غير ما رأيتم ، وما أردت فيما فعلت الا حقن الدماء ، فارضوا بقضاء الله ، وسلموا الأمر ، والزموا بيوتكم ، وامسكوا ، وكفوا أيديكم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر .

ويعقب الدكتور طه قائلا : فقد أعطاهم الحسن كما ترى الرضا ،حين أعلن اليهم أنهم شيعة أهل البيت ، وذوو مودتهم ، واذن فمن الحق أن يسمعوا له ، ويأتمروا بأمره ، ويكونوا عندما يريد منهم ، ثم بين لهم أنه لم يصالح معاوية عن ضعف ولا عن عجز . وانما أراد حقن الدماء ، ولو قد أراد الحرب ، لما كان معاوية أشد منه قوة ولا أعسر مراسا ، ثم طلب اليهم أن يرضوا بقضاء الله ، ويطيعوا السلطان ، ويكفوا أيديهم عنه ، وأنبأهم بأنهم لن يفعلوا ذلك آخر الدهر ، ولن يستسلموا لعدوهم فى غير مقاومة ، وانما هو انتظار الى حين ، هو انتظار الى أن يستريح الأبرار من أهل الحق ، أو يريح الله من الفجار من أهل الباطل .

ويعتقد الدكتور طه أن اليوم الذى لقى فيه الحسن هؤلاء الوفد من أهل الكوفة ، هو اليوم الذى أنشىء فيه الحزب السياسى المنظم لشيعة على وبنيه ، نظم الحزب فى المدينة فى ذلك المجلس ، وأصبح الحسن له رئيسا، وعاد أشراف الكوفة الى من وراءهم ينبئونهم بالنظام الجديد ، والخطة المرسومة ويهينونهم لهذا السلم الموقوت ، ولحرب تثار ، حين يأتى الأمر باثارتها من الامام المقيم فى المدينة .

ثم يقول : ومضى أمر الحزب على ذلك ، فجعل الشيعة يلقى بعضهم بعضا يتذاكرون أمورهم ويسجلون على معاوية وولاته ، ما يتجاوزون به حدود الحق والعدل ، وينتظرون أن يأمرهم الامام بالخروج .

ولكن الامام لم يأمرهم بالخروج ، وكان الحسن وفيا لمعاوية ببيعته، حفيظا له على عهده ، مستعينا به ان احتاج الى المعونة مهما يكن نوعها ، ولكنه مع ذلك كان معارضا ، ولم يكن يستخفى بمعارضته ، وانما كان يغهر منها ما بشاء فى المدينة حيث كان يقيم ، وفى مكة حين كان يلم بها أثناء الموسم .

موقف معاوية من الامام الحسن :

يقول الدكتور طه : ان معاوية كان رفيقا بالحسن أعظم الرفق ، واصلا له أحسن الصلة ، ولكن معارضة الحسن كانت تبلغه ، فيعاتبه فيها لينا حينا ، وشديدا حينا .

ولكن مكان الحسن من معاوية لم يكن محببا اليه ، فقد كان معاوية رجلا بعيد النظر ، لم يكد يطمئن الى الخلافة ، ويرى أنها قد اطمأنت اليه ، حتى فكر فى أن يجعلها تراثا من بعده لآل أبى سفيان ، وكان يفكر فى ابنه يزيد دائما ، فيرى أن الحسن هو الحائل بينه وبين مايريد من ذلك ، فهو تعجل الصلح مع الحسن فعرض عليه ولاية الأمر من بعده .

ويستطرد الدكتور طه قائلا : ومن الحق أن الحسن لم يقبل منه ذلك وانما اشترط عليه أن تكون الخلافة بعده شورى بين المسلمين ، يختارون لها من أحبوا ، وكان الحسن فى أكبر الظن يرى أن المسلمين لن يعدلوا

به بعد وفاة معاوية أحدا ، وكانت الشيعة تؤمن بذلك أشد الايمان ،وتدعو له فتلح فى الدعاء .

موقف معاوية من الامام الحسين :

ويقول الدكتور طه ، وما ينبغى أن يذكر أمر الحسين بن على ، فان الحسين لم يكن نصب نفسه للبيعة اماما للمسلمين ، ولم يكن معاوية قد سالحه ، ولا وعده ولا شرط له ، ومع ذلك فقد هم معاوية أن ينحى الحسين عن مكانه شيئا ، لتخلص له الطريق من ابنى فاطمة ، وسبطى النبى ، فقال ذات يوم لعبد الله بن عباس مازحا يريد الجد « أنت سيد قومك بعد الحسن » ولكن عبد الله بن عباس لم ينخدع له ، وانما أجابه فى صراحة « أما وأبو عبد الله (أى الحسين) حى فلا » .

ويسطرد الدكتور طه قائلا : ومع ذلك فلم يتردد معاويه فى أن يبايع بولاية العهد لابنه يزيد ، وأكره الحسين كما أكره غيره من شباب المهاجرين على أن يسكتوا عن هذه البيعة التى كانوا ينكرونها فى أنفسهم أشد الانكار .

تعقيب على رأى الدكتور طه :

انصافا لأبناء المهاجرين أقول انهم عارضوا معاوية علانية معارضة شديدة عندما أبدى رغبته فى بيعة ابنه يزيد ، واليك أمثلة من تلك المعارضة:

أراد معاوية أن يستطلع رأى أهل الحجاز ، فرحل الى المدينة سنة ٥٠ هـ متظاهرا بالحج ، ودعا اليه الزعماء أمثال عبد الله بن عباس وعبد الله ابن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر ولم يدع الحسن أو الحسين .

واقترح معاوية عليهم أن يعهد بولاية العهد لابنه يزيد ، فهبوا فى وجهه مستنكرين الفكرة كل الاستنكار .

وتكلم عنهم عبد الله بن الزبير فقال ، أما بعد ، فان الخلافة لقريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية وأفعالها المرضية ، مع شرف الآباء وكرم

الأبناء ، فاتق الله يا معاوية وانصف من نفسك ، فان هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسـول الله ، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمة رسـول الله ، وعلى خلف حسنا وحسينا ، وأنت تعلم من هما وما هما ، فاتق الله يامعاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك .

وقال ابن عمر : لقد كان قبلك خلفاء ، وكان لهم بنون ، وليس ابنك بخير من أبنائهم ، فلم يروا فى أبنائهم ما رأيت فى ابنك ، فلم يحابوا فى هذا الأمر أحدا ، ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم .

وقال عبد الرحمن بن أبى بكر ، يا معاوية انك والله لوددنا أن نكلك الى الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد ، والذى نفسى بيده لتجعلنها شورى أو لاعيدها جذعة ، ثم قام ليخرج ، فتعلق به معاوية وقال : على رسـلك ، اللهم أكفنبه بما شئت ، وهدأ من روعه .

فلما رأى معاوية أن الموقف يقتضى الشدة عدل عن ملاينتهم ، وأمر منادبه أن ينادى فى الناس ليجتمعوا فى المسـجد ، فتوافدوا ، وقصـد الصحابة حول المنبر ، ثم دعا معـاوية رئيس حرسه وقال له : أقم على كل رجل من هؤلاء رجلين ، ومع كل واحد سيف ، فان ذهب رجل منهم يرد على بكلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما .

ثم صعد معـاوية المنبر ، وقال غير صـادق ، ان عبـد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن على ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، قد رضوا وبايعوا ليزيد ، ثم طلب منهم البيعة فبايع النـاس كلهم ، ثم غادر مكة الى المدينة حيث بايعه أهلها ثم غادرها الى الشام ، فأقبل الناس على هؤلاء السادة يلومونهم ، فقالوا والله ما بايعناه ولكن فعل وفعل .

موقف الامام الحسين مع معاوية من بيعة يزيد :

عندما ذهب معاوية الى الحجاز لأخذ البيعة لابنه يزيد ، بدأ بالمدينة ، واجتمع بالامام الحسين وعبدالله بن عبـاس وأجلس الامام الحسين عن يمينه ، وأجلس ابن عباس عن يساره ، وخطب فمـدح ابنه يزيد ، وعرض

بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولى عمرو بن العاص القيادة فى غزوة ذات السلاسل ، مقدما اياه على المهاجرين ، وقال : لكم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة .

وهم ابن عباس بالاجابة ، فأشار اليه مولانا الحسين بالسكوت ؛ ليبدأ هو بالاجابة ، فقال مولانا الحسين معارضا ومجيبا :

يامعاوية ، لم يؤد القائل وان أطنب فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من جميع جزءا ، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من ايجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة ، وهيهات هيهات يا معاوية ،فضح الصبح فحمة الدجى ، وبهرت الشمس أنوار السرج .

ولقد فضلت حتى أفرطت ، واستأثرت حتى أجحفت ، ومنعت حتى بخلت ، وجرت حتى جاوزت المدى ، ما بذلت لذى حق من اسم حقه بنصيب ، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ، ونصيبه الأكمل .

وفهمت ماذكرته عن يزيد ، من اكتماله وسياسته لأمة محمد ، تريد أن توهم الناس فى يزيد ؛ كأنك تصف محجوبا ؛ أو تنعت غائبا ، أو تخبر عما احتويته بعلم خاص .

وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد ما أخذ هو به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش ، والحمام السبق لأترابهن ، والقينات ذوات المعازف ، وضروب الملاهى تجده ناصرا .

ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه ، فوالله مابرحت تقدم باطلا فى جور ، وحنقا فى ظلم ، فى يوم مشهود ، ولات حين مناص .

ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر ، ومنعتنا عن آبائنا تراثا ، ولقد والله أورثنا رسول الله ولادة ، وجئت لنا بما حجبتم به القائم عند موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذعن للحجة بذلك ، ورده الايمان الى النصف ، فركبتم الأعاليل ، وفعلتم الأفاعيل ، وقلتم كان ويكون ،حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك ، فهناك فاعتبروا يا أولى الأبصار .

وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وتأميره له . وقد كان ذلك ، ولعمرو بن العاص يومئـذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعته له ، وما صار لعمرو يومئذ ، حتى أنف القوم امرته ، وكرهوا تقديمه ، وعدوا عليه أفعاله ، فقال صلى الله عليه وسلم ، « لاجرم معشر المهاجرين ، لا يعمل عليكم بعد اليوم » .

فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول ، في أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب ، أم كيف ضاهيت بصاحب تابعا ، وحولك من يؤمن في صحبته ، ويعتمد في دينه وقرابته ، وتتخطاهم الى مسرف مفتون ، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقى فى دنياه ، وتشقى بها فى آخرتك ، ان هذا لهو الخسران المبين ، وأستغفر الله لى ولكم .

وعندئذ نظر معاوية الى ابن عباس وقال : ماهذا يا ابن عباس ، ولما عندك أدهى وأمر ، فقال ابن عباس : لعمر الله انها لذرية الرسول ، وأحد أصحاب الكساء ، ومن البيت المطهر ، فاله عما تريد ، فان لك فى الناس مقنعا ، حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

فقال معاوية : أعوذ الحلم التحلم ، وخيره التحلم عن الأهل ، انصرف فى حفظ الله .

الامام الحسين يعدد اخطاء معاوية :

روى ابن قتيبة فى الامامة والسياسة ، أن معاوية كتب للامام الحسين بأن أمورا انتهت اليه عنه وأنذره فى كتابه قائلا : فانك متى تنكرنى أنكرك ، ومتى تكدنى أكدك ، فاتق شق عصا هذه الأمة .. فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يستخفنك السفهاء والذين لا يعلمون » .

قال : فلما وصل كتاب معاوية رد عليه الامام الحسين قائلا : أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه أنه انتهت اليك عنى أمور ، أنت لى عنها راغب وأنا بغيرها عندك جدير ، وان الحسنات لايهدى لها ولا يسدد اليها الا الله تعالى .

وأما ما ذكرت أنه رقى اليك عنى ، فانه انمـا رقاه اليك الملاقون ، المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الجمع ، وكذب الغاوون ، ما أردت لك حربا ، ولا عليك خلافا .

واني لأخشى الله فى ترك ذلك منك ، ومن الاعذار فيه اليك ، والى أوليائك القاسطين (الجائرين) الملحدين ، حزب الظلمة وأولياء الشياطين .

ألست القاتل حجر بن عدى أخا كندة وأصحابه المصلين العابدين ، الذين كانوا ينـكرون الظلم ويسـتفظعون البـدع ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنـكر ، ولا يخـافون فى الله لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلمـا وعدوانا ، من بعد ما أعطيتهم الايمـان المغلظة ، والمواثيق المؤكدة جراءة على الله واستخفافا بعهده .

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، العبد الصالح ، الذى أبلته العبادة فنحل جسـمه واصـفر لونه ، فقتلته بعد ما أمنته وأعطيته من العهـود ، ما لو فهمتـه العصم (نوع من الوعول فى ذراعيه بياض) لنزلت من رؤوس الجبال .

أولست بمدعى زياد بن سـمية ، المولود على فراش عبيـد ثقيف ، فزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله صـلى الله عليه وآله : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ، فتركت سنة رسـول الله صـلى الله عليه وآله تعمدا ، وتبعت هواك بغيـر هدى من الله ، ثم سلطته على أهل الاسـلام ، يقتلهم ، ويقطع أيديهم وأرجلهم ، ويسـمل أعينهم ، ويصلبهم على جذوع النخل ، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك .

أو لست قاتل الحضرمى ، الذى كتب اليك فيـه زياد ، أنه عـلى دين على ، كرم الله وجهه ، فكتبت اليه أن اقتل كل من كان على دين على ،فقتلهم ومثل بهم بأمرك .

وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ، واتق شق عصا هذه الأمة ، ولا تردهم الى فتنة ، وانى لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمةمن ولايتك عليها ، ولا أعظم نظرا لنفسى ولدينى ولأمة محمد صلى الله عليـه

وسلم ، أفضل من أن أجاهدك فان فعلت فانه قربة الى الله ، وان تركته فاني استغفر الله لديني ، وأسأله توفيقه لارشاد أمري ، وقلت فيما قلت انانكرتك تنكرني ، وان أكدك تكدني ، فكدني ما بدا لك ، فاني أرجو ألا يضرني كيدك ، وألا يكون على أحد أضر منه على نفسك . لأنك قد ركبت جهلك، وتحرصت على نقض عهدك .

ولعمري ما وفيت بشرط ، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر ، الذين قتلتهم بعد الصلح والايمان والعهود والمواثيق ، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ، ولم تفعل ذلك بهم الا لذكرهم فضلنا ، وتعظيمهم حقنا ، فقتلتهم مخافة أمر ، لعلك لو لم تقتلهم ، مت قبل أن يفعلوا . أو ماتوا قبل أن يدركوا .

فأبشر يا معاوية بالقصاص ، واستيقن بالحساب ، واعلم أن لله تعالى كتابا لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها .

وليس الله بناس لأخذك بالظنة ، وقتلك أولياءه على التهم ، ونفيك أولياءه من دورهم الى دار الغربة ، وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث ، يشرب الشراب ، ويلعب بالكلاب ، ما أراك الا قد خسرت نفسك ، وتبرت دينك ، وغششت رعيتك وأخربت أمانتك ، وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت الورع التقي والسلام .

قال ، فلما قرأ معاوية كتاب الامام الحسين عليه السلام ، قال : لقد كان في نفسه ضب ما أشعر به فلما أشاروا عليه أن يجيبه بما يصغر اليه نفسه ، قال لو أني ذهبت لعيب على محقا ، فما عسيت أن أقول فيه ومثلي لا يحسن أن يعيب بالباطل (؟!) وما لايعرف ، ومتى ماعبت رجلا بما لايعرفه الناس ، لم يحفل به ، ولا يراه الناس شيئا وكذبوه ، وما عسيت أن أعيب حسينا ، والله ما أرى للعيب فيه موضعا ، وقد رأيت أن أكتب اليه أتوعده وأتهدده ، ثم رأيت ألا أفعل .

وكل منصف من المطلعين على موقف الامام الحسين من معاوية في مخالفاته لشروط الصلح وشروط الخلافة ، وفي حمله الناس على بيعة

يزيد كرها ، يرى أن الامام الحسين نصح لله ، وأدى أمانة الله ، ودافع دفاعا منقطع النظير عن حقوق الأمة ، فى حياة معاوية ، وقد رأيت كيف جابهه بشجاعة وقوة وروعة ، وهو على سرير ملكه ، وأما بعد معاوية ، فقد بذل أغلى ما يملك دفاعا عن الحق وأهله ، بذل روحه الزكية ، التى توجت أرواح الشهداء فى سبيل الحق .

العلامة العقاد وموقف الامام الحسين :

ويرحم الله العلامة العقاد اذ يقول فى كتابه «أبو الشهداء» : ومن هو الشهيد ان لم يكن هو الرجل الذى يكلف الأيام ضد طباعها ويصدق الخير فى طبيعة الانسان والخير عزيز والدنيا به شحيحه ، والحسين رضى الله عنه ، قد طلب خلافة الراشدين حيث لاتنسى خلافة الراشدين ، وكان الصراع بين الحسين ويزيد ، أول تجربة من قبيلها بعد عهد النبوة ، وعهد الخلفاء الأولين . فد بدل فيها الحسين روحه ، وطبيعة الشهادة موكلة ببذل الحياة لما هو أدوم من الحياة فهو أبو الشهداء ، وينبوع شهادة متعاقبة ،لا يقرن بها ينبوع فى تاريخ البشر أجمعين .

هل تم لمعاوية ماأراد :

قلت فى مقدمة كتابى « الامام الحسين بن على » الذى تفضل المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فنشره فى ١٥ شوال ١٣٨٥ الموافق ٥ فبراير ١٩٦٦ ما نصه :

« وأكاد أجزم أنه لو كشف الغيب لمعاوية ، فرأى أن الملك الذى أراد تأسيسه لبنى سفيان سينتقل على عجل الى مروان وبنيه ، لفضل بذكائه الحاد ، ودهائه السياسى ، أن تبقى الخلافة شورى بين المسلمين ، كما كانت ، ولما راقت له فكرة المغيرة بن شعبة فى استخلاف يزيد ، ولم يرد المغيرة بما أشار وجه الله ، فقد كان الحق واضحا ، وقد رضى معاوية أن يخلفه الامام الحسن فى شروط الصلح بينهما ، ولكن لم يطل عمر الامام الحسن .

« واذا كان معاوية قد عزل مروان عن ولاية المدينة وولى مكانه سعيد ابن العاص ، فلا أظنه كان يحب أن يراه وارثا لملك يزيد ويورثه لبنيه وذراريهم ، خاصة وأنه عارضه في بيعة يزيد وقال له فأقم الأمر يا ابن أبي سفيان ، واهدأ من تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك في قومك نظرا ، وأن لهم على مناوأتك وزرا .

« كذلك ما كان يرضى معاوية لعبد الله بن الزبير أن يأخذ الخلافة قهرا من بني أمية ، وما من شك في أن معاوية كان يرى الحق ولكنه رآه مغطى بحب الآباء الغريزي للأبناء ، فحجبت الحقيقة عن عينيه ، فكان ما كان ، وترتب على تلك البيعة بلايا ورزايا حاقت نكباتها بالمسلمين ، ففرقت جمعهم وشتتت شملهم ، فهم كذلك الى اليوم ، بعد أن كانوا يدا واحدة ، وقلبا واحدا ، والغيب لله ، والله غالب على أمره ، والملك عقيم ، كما قال عبد الملك بن مروان ، في رثاء مصعب بن الزبير ، حين قتله ، وكان صديقا له قبل أن يتولى الملك عبد الملك » .

ومما تقدم يعلم القارىء الكريم ، انه لم يتم لمعاوية ما أراد ، وصدق من قال : وتقدرون فتضحك الاقدار ، على أننا لو قلنا ان مروان وبنيه من بني أمية ، وقد ملكوا وكان ملكهم ثمرة لهم من ثمرات بيعة يزيد ، فان ملكهم لم يدم بعد مقتل الامام الحسين الا ستين عاما لم تبلغ بهم ما أملوا من أن يكون ملكا خالدا على الزمن ، وكان مقتل الامام الحسين هو المعول الذي أتى على بنيانهم من القواعد وأسقطهم الى الابد .

بعض شهادات ضد معاوية

الشهادة الاولى :

تبدأ تلك الشهادات بشهادة ضده ، واجهه بها في حياته صوت الحق ، الذي نطق على لسان سعية بن غريض وقد جاء عنه في كتاب الأغاني لأبي الفرج ، انه كان يهوديا وأسلم وعمر طويلا .

وقال أبو الفرج فيما رواه عنه بسنده في الأغاني عن الهيثم بن عدي قال :

حج معاوية حجتين فى خلافتـه ، وكانت له ثلاثون بغـلة يحج عليها نساؤه وجواريه ، قال فحج فى احداهما فرأى شـيخا يصلى فى المسـجد الحرام ، عليه ثوبان أبيضان ، فقال من هذا قالوا ، سعية بن غريض .

فأرسل اليه يدعوه ، فأتاه رسوله فقال ، أجب أميـر المؤمنين ، قال : أو ليس قد مات أمير المؤمنين ؛ قيل فأجب معاوية :

فأتاه ، فلم يسلم عليـه بالخلافة ، فقال له معـاوية ، ما فعلت أرضك التى بتيماء ، قال يكسى منها العارى ، ويرد فضلها على الجار ، قال ، أتبيعها قال نعم ، قال بكم ، فال بستين الف دينار ، ولولا خلة أصابت الحى لم أبعهـا ، قال لقد أغليت ؛ قال ، أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتهـا بستمائة ألف دينار ثم لم تبال ، قال : أجل ، واذ بخلت بأرضك فأنشدنى شعر أبيك يرثى به نفسه ، فقال قال أبى :

يا ليت شـعرى حين أندب هالكا   مـاذا تؤبننى بـه أنواحى

أيقلن لا تبعـد ، ذرب كريهـة   فرجتهـا بشجـاعة وسـماح

ولقـد ضربت بفضل مالى حقـه   عنـد الشـتاء وهبة الأرواح

ولقـد أخذت الحق غير مخاصم   ولقد رددت الحـق غيـر ملاحى

واذا دعيت لصعبـة سهلتهـا   أدعى بأفلح مـرة ونجـاح

فقال ، أنا كنت بهذا الشعر أولى من أبيك ، قال ، كذبت ولؤمت ، قال ، أما كذبت فنعم . وأما لؤمت فلم ، قال ، لأنك كنت ميت الحـق فى الجاهلية وميته فى الاسلام ، أما فى الجاهلية ، فقاتلت النبى صلى الله عليه وسلم . حتى جعل الله عز وجل كيدك المردود . وأما فى الاسلام فمنعت ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة . وما أنت وهى ، وأنت طليق ابن طليق فقال معاوية : لقد خرف الشيخ فأقيموه ، فأخذ بيده فأقيم .

الشهادة الثانية :

وتتبع الشهادة المتقدمة ، بشهادة حفيده معاوية الثانى بن يزيد ، الذى ولى الخلافة بعد أبيه وبقى فيها أربعين يوما ، فقد صعد المنبر فقال :

« أيها الناس ان جدى معــاوية ، نازع الأمر أهله ، ومن هو أحق منه ، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على بن أبى طالب وركب بكم ما تعلمون ، حتى أتته منيته ، فصار فى قبره رهينــا بذنوبه وأسيرا بخطاياه .

« ثم قلد أبى الأمر ، فكان غير أهل لذلك ، وركب هواه وأخلفــه الأمل ، وقصر عنه الأجل ، وصار فى قبره رهينا بذنوبه وأسيرا بجرمه » .

« ان من أعظم الأمور علينا لسوء مصرعه وبئس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، وأباح الحــرم وخرب الــكعبة ، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم ، فشأنكم أمركم » .

وقد زلزلت خطبته هذه أركان الدولة الأموية ، خاصة وأنه لم يعين خلفا له على الرغم من الحاح أهله عليه ، بعد أن رأوا أن عدم استخلافه ، يمكن لعبد الله بن الزبير فى الخلافة ، وقد ذهب بعض المؤرخين الى أنهم سموه ، وذهب بعضهم الى أنهم طعنوه .

وقد بايعت شـــبه الجزيرة العربية لابن الزبير ، كما بايعته كل من مكة والمدينة ، حيث تطلع الناس الى الخلاص من الحكم الأموى ، وقد كانت فظائع الحرة التى وقعت على أهل المدينة ، ماثلة فى الأذهان ، وكذلك بايعت بلاد العراق لابن الزبير ، كما أقرت مصر خلافته ، وبايعــه كثير من أهل الشام .

الشهادة الثالثة :

وهى شهادة رجل من العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من رمى بسهم فى الاسلام ، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليــه وسله فقال « اللهم سدد رميته واستجب دعوته » وهو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنــه ، وهى ليست خاصــة ببيعة يزيد ، والا كنا قدمنــاها على غيرها ، انما هى خاصة بالبدعة التى ابتدعها معاوية ، وهى سب الامام على على المنابر وقد بدأها هو ، وأمر ولاته باتباعها ، فكان الامام على ، وهو هو من الاسلام والمسلمين ، يسبه علانية بنو أمية وعمالهم دون أن يخافوا الله فيه .

وقد ولى معاوية سعد بن أبى وقاص ، فلم يتبع بدعة السب هـذه مخالفا بذلك معاوية ، فقال له معاوية ، ما يمنعك أن تسب أبا تراب (كنية الامام على التى كناه بها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم)

فقال سعد ، أما ماذكرت ثلاثا قالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن تكون لى واحدة منهن ، أحب الى من أن يكون لى حمر النعم ، فلن أسبه :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وقد خلفه فى بعض المغازى ، فقال له على ، يارسول الله ، تخلفنى مع النساء والصبيان ،فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، الا أنه لانبوة بعدى.

وسمعته يقول يوم خيبر ، لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فتطاولنا لها فقال : ادعو لى عليا ، فأتاه وبه رمد ، فبصق فى عينيه ، ورفع الراية اليه ، ففتح الله عليه .

ولما نزلت هذه الآية ، (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ، فقال : اللهم هؤلاء أهلى .

فهذه شهادة رجل كان من أصحاب الشورى الستة ، وكان امامنا على منافسا له فى الخلافة ، لكن لم يعدل به الهوى عن شهادة الحق ، والوقوف مع الحق حيث كان ، ولو ضايق ذلك صاحب السلطان .

الشهادة الرابعة :

وهى شهادة الخليفة الأموى الورع . عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، فقد أبطل بدعة السب ، التى ابتدعها معاوية ، وأبدلها عمر عليه السلام بقوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون) .

أقول وقد قرأت فى سبب ابطالها ، أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز تلقى فى صباه العلم عن رجل ورع من ذرية عتبة بن مسعود ، فرأى فى

طريقه الى المسجد ، عمر بن عبد العزيز ، بين صبيان بنى أميـة ، يسبون الامام عليا ، فلما جاء عمر المسجد ليتلقى درسه ، أشاح الشيخ بوجهه عنه، فسأل شيخه عن سبب ذلك ، فقال سمعتك تسب الامام عليا مع الصبيان ، يا بنى متى علمت أن الله غضب على أهل بدر بعد اذ رضى عنهم ، قال عمر ، وهل كان على فى بدر ، قال الشيخ ، وهل كانت بدر كلها الا لعلى .

يقول عمر ، ومن يومئذ ، نويت فى نفسى ، انى لو وليت أمر المسلمين أبطلت بدعة السب . وقد أنجـز ما نواه حين ولى الخـلافة فأرضى الله ورسوله .

الشهادة الخامسة :

وفى مناسـبة عمر بن عبد العزيز ، أذكر ما دار بينه وبين أبيـه ، عبـد العزيز بن مروان ، حين كان واليا على المدينة ، فقـد قال له عمر ، يا أبت أراك تهدر بالخطبة حتى اذا جئت الى سب على تلجلجت ، قال يابنى لو يعلم الناس من أمر على ما يعلم أبوك ، ما بقى واحد منهم معنا .

ونكتفى بتلك الشهادات الخمس حتى لايطول بنا الكلام ، وتوضيح الواضحات من المشكلات كما يقولون .

اهل الكوفة فى توديعهم للامام الحسن :

روى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى قال : لما كان عـام الصـلح ، أقام الحسن عليه السلام بالـكوفة أياما ؛ ثم تجهـز للشخوص للمدينـة . فدخل عليه المسيب بن نجبـة الفزارى ، وظبيان بن عمارة التيمى ، ليودعاه فقال الحسن :

الحمد لله الغـالب على أمره ، لو أجمع الخلق جميعـا على ألا يكون ما هو كائن ، ما استطاعوا .

فقال أخوه الحسين عليه السلام ، لقد كنت كارها لمـا كان ، طيب النفس على سـبيل أبى ، حتى عزم على أخى فأطعتـه ، وكأنه يجـذ أنفى بالموسى .

فقال المسيب ، انه والله ما يكبر علينا هذا الأمر ، الا أن تضاموا وتنتقصوا ، فأما نحن فانهم سيطلبون مودتنا بكل ماقدروا عليه .

فقال الامام الحسين ، يامسيب ، نحن نعلم أنك تحبنا ، فقال الامام الحسن عليه السلام ، سمعت أبي يقول ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحب قوما كان معهم » .

فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع فقال ليس الى ذلك سبيل .

الامام الحسن عند توديعه الكوفة :

قال فلما كان من غد خرج ، فلما صار بدير هند ، نظر الى الكوفة وقال :

ولا عن قلى فارقت دار معاشرى هم المانعونى حوزتى وذمارى

فانظر ، رعاك الله ، الى وفائه بأهل مودته ، فقد ذكر الكوفة بأهل مودته ، ولم يذكرها بأهل عداوته ، وهذا شأن عباد الرحمن ، يقبلون من المحسن ، ويتجاوزون عن المسيء (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) .

نصيحته رضى الله عنه لبعض خصوم ابيه :

قال المدائنى (فيما نقله ابن أبى حديد) ، حدثنا سليمان بن أيوب عن الأسود بن قيس العبدى ، أن الحسن عليه السلام لقى يوما حبيب بن مسلمة فقال له : ياحبيب رب مسير لك فى غير طاعة الله ، فقال أما مسيرى الى أبيك فليس من ذلك ، قال بلى والله ، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة ، فلئن قام بك فى دنياك ، لقد قعد بك فى آخرتك ، ولو كنت اذ فعلت شرا ، قلت خيرا ، كان ذلك كما قال عز وجل (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) ولكنك كما قال الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) .

وهى كما تراها نصيحة أمينة من رجل الدين لرجل الدنيا ، فهل من مدكر ؟!

الامام الحسن يفحم خصومه :

وصف معاوية الامام الحسن يوما فقال ، انه ممن لاتطاق عارضته ، وكان ذلك حين وقعت مفاخرة بينه وبين رجالات من قريش ، من خصوم أبيه وخصومه .

وهي مفـاخرة طويلة ، ذكرت مفصلة في مراجعها ، وقـد رأيت أن أوجز ما جاء عنها في شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد .

ومع ما أوجزته ، سيرى القارىء الكريم ، عارضة الامام الحسن فى فوتها ، وهو يلقم الحجر خمسـة من كبار رجالات قريش وعلى رأسهم معاوية بعد أن استتب له الملك واستقر .

فقد اجتمع فى دار معاوية : عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وعتبة بن أبى سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة .

وقد كان بلغهم عن الامام الحسن قوارص ، وبلغه عنهم مثل ذلك ، فقالوا لمعاوبة ، يا أمير المؤمنين ، ان الحسن فد أحيا أباه وذكره ، وقال فصدق ، وأمر فأطيع . وخفقت له النعال ، وان ذلك لرافعه الىماهو أعظم منه ، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا .

قال معاوية ، فما تريدون ، قالوا ابعث اليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ، ونعيره ونوبخه ؛ ونخبره أن أباه قتـل عثمان ونقرره بذلك ، ولا يستطيع أن يغير علينا شيئا من ذلك .

قال معاوية : انى لا أرى ذلك ولا أفعـله ، قالوا عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن ، فقـال ويحكم لاتفعلوا فوالله ما رأيته جالسا عنـدى الا خفت مقامه وعيبـه لى ، قالوا ابعث اليـه على كل حال قال ان بعثت اليه لأنصفنه منكم .

فقال عمرو بن العاص ، أتخشى أن يأتى باطله على حقنا ، قالمعاوية، أما انى بعثت اليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله ، قالوا مره بذلك .

قال ، أما اذ عصيتمونى ، وبعثتم اليه وأبيتم الا ذلك فلا تمرضـوا له فى القـول (أى لاتجعلوا قولكم مريضـا) واعلموا أنهم أهل بيت

لا يعيبهم العائب ، ولا يلصق بهم العار ، ولكن اقذفوه بحجره ، تقولون له ، ان أباك قتل عثمان ، وكره خلافة الخلفاء من قبله .

فبعث اليه معاوية ، فجاءه رسوله ، فقال ان أمير المؤمنين يدعوك ، قال من عنده ، فسماهم له ، فقال الحسن عليه السلام : مالهم خر عليهم السقف من فوقهم ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون .

ثم قال الامام الحسن ، ياجارية ، أبغيني ثيابي ، اللهم انى أعوذ بك من شرورهم ، وأدرأ بك فى نحورهم ، وأستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت ، وأنى شئت ، بحول منك وقوة ، يا أرحم الراحمين .

ثم قال : فلما دخل على معاوية ، أعظمه وأكرمه وأجلسه الى جانبه ، وقد ارتاد القوم وخطروا خطران الفحول ، بغيا فى أنفسهم وعلوا ، ثم قال معاوية يا أبا محمد ، ان هؤلاء بعثوا اليك وعصونى .

فقال الحسن عليه السلام سبحان الله « الدار دارك والاذن فيها اليك ، والله ان كنت أجبتهم الى ما أرادوا وما فى أنفسهم ، انى لأستحيي لك من الفحش ، وان كانوا غلبوك على رأيك انى لاستحيي لك من الضعف . فأيهما تقرر وأيهما تنكر ، أما انى لو علمت بمكانهم جئت معى بمثلهم من بنى عبد المطلب ، وما لى أن أكون مستوحشا منك ولا منهم ان وليي الله . وهو يتولى الصالحين » .

فقال معاوية يا هذا ، انى كرهت أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملونى على ذلك مع كراهتى له ، وان لك منهم النصف ومنى ، وانما دعوناك لنقررك أن عثمان قتل مظلوما ، وأن أباك قتله ، فاستمع منهم ثم أجبهم ، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تكلم بكل لسانك .

ثم تكلموا واحدا بعد واحد ، وكانوا فيما تكلموا به متجنين متحاملين ، ولقد جانبوا الصواب فيما تكلموا به ، ويكفى كأنموذج لتحاملهم ، أن أنقل للقارىء الكريم كلام عمرو بن العاص وهو أول متكلم فيهم :

تكلم عمرو ، فحمد الله ، وصلى على رسوله ، صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر عليا ، عليه السلام فلم يترك شيئا يعيبه به الا قاله ، وقال انه شتم أبا بكر وكره خلافته ، وامتنع من بيعته ، ثم بايعه مكرها ، وشرك فى دم عمر ، وقتل عثمان ظلما ، وادعى من الخلافة ما ليس له .

ثم ذكر الفتنة يعيره بها ، وأضاف اليه مساوىء ، وقال يابنى عبد المطلب ، لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء ، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء ، وحرصكم على الملك واتيانكم ما لايحل .

ثم انك ياحسن ، تحدث نفسك أن الخلافة صائرة اليك ، وليس عندك عقل ذلك ولا لبه ، كيف ترى الله سبحانك سلبك عقلك ، فتركك أحمق قريش ، يسخر منك ويهزأ بك ، وذلك لسوء عمل أبيك .

وانما دعوناك لنسبك وأباك ، فأما أبوك فقد تفرد الله به ، وكفانا أمره ، وأما أنت فانك فى أيدينا نختار فيك الخصال ، ولو قتلناك ما كان علينا اثم من الله ، ولا عيب من الناس ، فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا ، فان كنت ترى أننا كذبنا فى شيء فاردده علينا فيما قلنا والآن اعلم أنك وأباك ظالمان .

أقول ، وقد كدت أن أنكر عقلى ، وأن أقرأ مقالة عمرو هذه ، فكيف قالها ، وظن أنه صادق فيما قال ، مع أنه والله لم يقل صدقا ، ولا عدلا ، وقد كنت أربأ به فى ذكائه أن يخبط ، بهوى سياسى ، مثل هذا الخبط ، وهو خبط عشواء وأضل ، ولئن كان أرضى معاوية ، فقد أغضب الله ربه ، وكأنه كلام محموم يهذى فلا يدرى ما يقول ولا حول ولا قوة الا بالله .

والا فبماذا يستحل حرمة الامام الحسن وآله ، وبماذا يستحل دم الامام الحسن ، بعد أن وقف من السلم موقفا خلده فى التاريخ ويرحم الله السيد محمد اقبال فيلسوف الباكستان العظيم اذ يقول مشيرا بذلك الموقف الكريم ، فى قصيدته التى مرت عليك :

حسن الذى صان الجماعة بعد ما ... أمسى تفرقها يحل عراها
ترك الخلافة ثم أصبح فى الديار ... امام ألفتها وحسن علاها

على أن امامنا الحسن ، عرض عليه معاوية ، أن يكون الخليفة من بعده ، وطبعا كان ذلك بعلم عمرو ورضاه ، فهل كانت صورة الامام الحسن عندهما يومئذ هي الصورة القبيحة التى نطق بها عمرو افكا وبهتانا فى مقالته المتقدمة ، التى يطعن بها حليفه معاوية قبل أن يطعن بها الامام الحسن ، لأنه لو صدقت الصورة ، وحاشا ، لكان اختيار معاوية الحسن للخلافة من بعده أسوأ اختيار ، وأن كذبت الصورة ، وهى كاذبة فعلا فلا يسع قول لكذاب ، لأن الوقت أثمن من القول الكاذب .

وما لى أرد عليهم ، وقد أغنانى الامام الحسن ، وأنى لمثلى أو لأكبر منى أن يزاحمه ، فقد أجابهم واحدا واحدا ولقى عمرو منه جزاءه كما سترى :

حمد الامام الحسن الله ، وأثنى عليه ، وصلى على رسوله وآله ثم قال :

« أما بعد . يا معاوية ، فما هؤلاء شتمونى ، ولكنك شتمتنى ، فحشا ألفته ، وسوء رأى عرفت به ، وخلقا سيئا ثبت عليه ، وبغيا علينا ، عداوة منك لمحمد وأهله ، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا ، فلأقولن فيك وفيهم دون ما فيكم .

أنشدكم الله ، أيها الرهط ، أتعلمون أن الذى شتمتموه منذ اليوم ، صلى للقبلتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر ، تراهما ضلالة ، وتعبد اللات والعزى غواية .

وأنشدكم الله ، هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما ، بيعة الفتح ، وبيعة الرضوان ، وأنت يا معاوية . باحداها كافر ، وبالأخرى ناكث .

وأنشدكم الله هل تعلمون ، أنه أول الناس ايمانا ، وأنك يامعاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم ، تسرون الكفر وتظهرون الاسلام ، وتستمالون بالأموال .

وأنشدكم الله ، ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله يوم بدر ، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ، ثم لقيكم يوم أحد

ويوم الأحزاب ، ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومعك ومع أبيك راية الشرك .

وفى كل ذلك يفتح الله له ، ويفلج حجته ، وينصر دعوته ، ويصدق حديثه ورسول الله صلى لله عليه وسلم فى تلك المواطن كلها عنه راض ، وعليك وعلى أبيك ساخط .

وأنشدك الله يامعاوية ، أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله عليه وسلم فقال : اللهم العن الراكب والقائد والسائق .

أتنسى يا معاوية الشعر الذى كتبته الى أبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن ذلك :

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا فرقا
خالى وعمى وعم الأم ثالثهم وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
ولا تركنن الى أمر تكلفنا والراقصات به فى مكة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد حاد ابن حرب عن العزى اذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت أيها الرهط ، أتعلمون أن عليا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فيه (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه الى بنى قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا ، فبعث عليا بالراية ، فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله ، وفعل فى خيبر مثلها .

ثم قال يا معاوية ، أظنك لا تعلم ، أنى أعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله ، لما أراد أن يكتب كتابا الى بنى خزيمة ، فبعث اليك ابن عباس ، فوجدك تأكل ، ثم بعثه اليك مرة أخرى فوجدك تأكل ، ثم بعثه اليك مرة أخرى فوجدك تأكل ، فدعا عليك الرسول بجوعك ، ونهمك الى أن تموت (جاءت هذه القصة فى ترجمة معاوية فى أسد الغابة منقولة من صحيح مسلم) .

وأفاض الامام الحسن في وقائع أخرى مع أبي سفيان ، ثم وجه كلاما لعمرو بن العاص ، عده عمرو قذفا ، وطالب معاوية باقامة الحد على الامام الحسن ، فقال معاوية خل عنه ، لا جزاك الله خيرا ، وقد استحسنت عدم نقله اختصارا .

ومما قاله الامام الحسن لعمرو بن العاص ، فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام ، ثم انك تعلم ، وكل هؤلاء الرهط يعلمون ، أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتا من الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم اني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي ، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة — فعليك اذن من الله مالا يحصى من اللعن .

وأما ما ذكرت من أمر عثمان ، فانت سعرت عليه الدنيا نارا ، ثم لحقت بفلسطين . فلما أتاك قتله قلت ، أنا أبو عبدالله اذا نكأت قرحة أدميتها ، ثم حبست نفسك الى معاوية ، وبعت دينك بدنياك ، فلسنا نلومك على بغض ، ولا نعاتبك على ود ، وبالله ما نصرت عثمان حيا ، ولاغضبت لهمقتولا ، الى آخر ما عنفه به ثم قال له ، فهذا جوابك ، هل سمعته .

وكان مما قاله الامام الحسن للوليد بن عقبة :

وأما أنت ياوليد ، فوالله ما ألومك على بغض على ، وقد جلدك ثمانين في الخمر ، وقتل أباك بين يدي رسول الله صبرا ، وأنت الذى سماه الله الفاسق ، وسمى عليا المؤمن ، حيث تفاخرتما فقلت له ، اسكت ياعلى ، فأنا أشجع منك جنانا ، وأطول منك لسانا ، فقال لك على ، اسكت يا وليد فأنا مؤمن ، وأنت فاسق ، فأنزل الله تعالى في موافقة قوله « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون » ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضا « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ويحك ياوليد مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك :

أنزل الله والكتاب عزيز ... في على وفي الوليد قرآنا
فتبوى الوليد اذ ذاك فسقا ... وعلى مبوأ ايمانا
ليس من كان مؤمنا عمرك الله كمن كان فاسقا خوانا

ثم التفت الامام الحسن الى عتبة ، وقال متهكما :

وأما أنت يا عتبة ، فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك،ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك ، وما عندك خير يرجى ، ولا شر يتقى ، وما عقلك وعقل أمتك الا سواء ، وما يضر عليا لو سببته على رؤوس الأشهاد ، وأعقب ذلك بكلام قارس أمسكت عن نقله اختصارا ، ثم التفت الامام الحسن الى المغيرة ، وقال له فى سخرية لاذعة :

وأما أنت يا مغيرة ، فلم تكن بخليق أن تقع فى هذا وشبهه ، وانما مثلك مثل البعوضة اذ قالت للنخلة «استمسكى ، فانى طائرة عنك ، فقالت النخلة ، وهل علمت بك واقفة على ، فأعلم بك طائرة عنى ، وأتبع ذلك بكلام قارس أمسكت عن نقله اختصارا .

ثم وجه كلامه للجميع قائلا :

وأما فخركم علينا بالامارة ، فان الله تعالى يقول « واذا أردنا أن نهلك قرية ، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

قالوا ، ثم قام الامام الحسن فنفض ثوبه ، وانصرف ، فقال معاوية قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته ، ونهيتكم أن تسبوه فعصيتمونى ، والله ماقام حتى أظلم على البيت ، قوموا عنى ، فقد فضحكم الله وأخزاكم بترككم الحزم ، وعدولكم عن رأى الناصح المشفق والله المستعان .

استرعاء نظر :

وانى أود أن استرعى نظر القارىء الكريم الى الاعتبارات الآتية :

١ — ان الامام عليا لم يكرهه أحد على بيعة أبى بكر ، كما ادعى عمرو ابن العاص ، وكان تأخره عن بيعته بعض الوقت فى أرجح الأقوال كما مر عليك لسببين :

أ) انه لم يشترك فى اجتماع السقيفة ، وكان مشغولا بتجهيز مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يرجو أن يدعى للاجتماع باعتباره من السابقين الأولين .

ب) ان السيدة الزهراء زوجته ، كانت تطالب سـيدنا أبا بكر رضى الله عنه فى ميراثها من أبيها فى أرض فـدك ، ولم يجبهـا ، وأخبرها أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:نحن معاشر الأنبياء لانورث ماتركناه فهو صدقة ، وما زال الخليفة الأول يسترضيها حتى رضيت عنه ، وهدد بترك الخلافة ان لم تكن الزهراء عنه راضية ومما قاله فى استرضائها، « ياحبيبة رسول الله . والله ان قرابة رسول الله أحب الى من قرابتى ، وانك لأحب الى من عائشة ابنتى .. »

فالامام على فى تأخره عن البيعة ، كان يطيب خاطر زوجته ، حتى اذا رضيت بايع وقد قال تعالى فى نية رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيبة « لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضـاة أزواجك » وفى ذلك ثنـاء على نية علمها الله ، وكان رسول الله صلى الله عليـه وسلم يبتغى تطييب خواطرهن ، ثم عاتب تعالى زوجتيه فقال « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكماوان تظاهرا عليه .. الآية » .

ويضاف الى ما تقدم أن الامام عليا وان تأخر فى البيعة ، فانه لم يخرج على الخليفة الأول ولم يحاربه ، كمـا فعل معاوية وعمر ، حين خرجا على الامام على ، وحارباه دون حق .

٢ — أما أنسيدنا عليا شارك فى دم عمر ، فلم يقل أحد ذلك ، وكيف وهو يخاف الله خوف السابقين ، يقتل النفس التى حرم الله الا بالحق .

وسيدنا عمر صهره ، وحبيبه ، وستعلم فيما يلى أنه حرص على مصاهرة الامام على ليكون له نسب بمولانا رسـول الله صلى الله عليه وسلم حيث وقف على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل نسب ينقطع يوم القيامة الا نسبى » ، وكان سيدنا عمر ، كما مر القول ، يقول لا أبقانى الله فىبلد لست بها يا أبا الحسن ، فهلكان يشك فى عداوته ويقول ذلك أو يصاهره .

٣ — ان سيدنا عمر حين استخلف ، أشار بواحد من الستة الذين اتتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وكان فيهم امامنا على ، فكان موضع ثقته الى آخر رمق من حياته .

٤ — ان سيدنا عمر قال لبعض جلسائه مشيرا الى فضل الامام على : لو ولوها الأجلح لحملهم على الجادة ، فقالوا وما يمنعك أن تستخلفه، قال لا أحملها حيا وميتا فليختاروا لأنفسهم .

٥ — روى الامام القرطبى فى تفسيره (فى سورة الحديد) أن الامام عليا كرم الله وجهه قال منوها بفضل الشيخين أبى بكر وعمر :

سبق النبى صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر ، وثلث عمر ، فلا أوتى برجل فضلنى على أبى بكر الا جلدته حد المفترى ثمانين جلدة وطرح الشهادة .

٦ — أما دم عثمان ، فان الامام عليا وابنيه الامامين الحسن والحسين ، دفعوا عنه بما لم يدفع عنه متهموه ، وكان عمرو بن العاص أول الناصحين لعثمان باعتزال الخلافة ، وكان يقاطع عثمان وهو يخطب ليسترضى الثائرين ، وكان يقول انى لألقى الراعى فأحرضه على عثمان ، وقد مر عليك مادل على شماتته به حين قتل ، وأما معاوية فلم يدفع عنه بشيء ، كما أنه لم يقتص من قتلته ، كما كان يطلب من أمير المؤمنين على .

وذكره بالقصاص ورثة عثمان فتهرب ، وقد روى العلامة العقاد فى كتابه عبقرية الامام على ، أن معاوية زار المدينة فسمع ابنة عثمان تقول على مسمع منه : وا أبتاه ، فقال لها متهربا من القصاص وهو فى سلطانه :

يا ابنة أخى ان الناس أعطونا طاعة ، وأعطيناهم أمانا ، وأظهرنا لهم حلما تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل انسان سيفه ، وهو يرى مكان أنصاره فاذا نكثنا بهم نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا تكون أم

لنا ، ولأن تكونى بنت عم أمير المؤمنين ، خير من أن تـــكونى امرأة من عرض المسلمين .

وهذا الذى علمته من قول معـــاوية ، يريك بدليل واضـــح ، أن دم عثمان كان تكأة يخـــدعون بها الجهال ، ويحرضون بها أهل الشام ، الذين انقادوا انقياد الأعمى لقائده ، بدافع من المال الذى أغدقه عليهم معاوية بلا حساب .

واذا كان معاوية قد نجح فى استمالة أنصـــار أهل البيت بمـــاله ، فاستمالة أهل الشام كانت عليه أهون وأرخص ، أو ليس هو الذى قال : لاستميلن بالدنيا ثقاة على ، ولاقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياى آخرته.

وقد غلبت عـــلى النـــاس الدنيا ، وصدق أمير المؤمنين على حين قال لأتباعه : والله ما معاوية بأدهى منى . ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر ، لكنت من أدهى الناس .

وحين قال لهم ، ولكنه لا رأى لمن لا يطاع .

وحين قال لهم ، لم تـــكن بيعتكم اياى فلتـــة ، وليس أمرى وأمركم واحدا ، انى أريدكم لله وأنتم تريدوننى لأنفسكم .

أقول وما أصدق ســـيدنا عثمان رضى الله عنـــه حين قال فى احـــدى خطبه :

« ان ما تبتلى به هذه الأمة ، قدر واقع لايدفع ، وان فتنة الدنيـــا طغت على النفوس طغيانها الذى لاتجدى فيه الحيلة أو المحاولة » .

كما أقول صدق الامام الحسين رضى الله عنه حين قال :

« الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم ، يحوطونه ما درت به معايشهم ، فاذا محصوا بالبلاء ، قل الديانون » .

بين عمرو بن العاص والامام الحسن مرة اخرى :

روى ابن أبى حديد بســـنده عن المدائنى قال ، لقى عمرو بن العاص الحسن بن على عليه السلام فى الطواف ، فقال له ، ياحسن ، زعمت أن

الدين لا يقوم الا بك وبأبيك ، فقد رأيت الله أقامه بمعاوية ، فجعله راسيا بعد ميله ، وبينا بعد خفائه ، أفرضى الله بقتل عثمان .

أو من الحق أن تطوف بالبيت ، كما يدور الجمل بالطحين ، عليك ثياب كغرقىء البيض (القشرة الملتزقة ببياض البيض) وأنت قاتل عثمان ، والله أنه لألم للشعث ، وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك .

فألقمه الامام الحسن عليه السلام الصخر ورد عليه قائلا :

« ان لأهل النار لعلامات يعرفون بها ، الحادا لأولياء الله ، وموالاة لأعداء الله ، والله انك لتعلم أن عليا لم يرتب فى الدين ، ولم يشك فى الله ساعة ولا طرفة عين قط .

وايم الله لتنتهين يا ابن أم عمرو ، أو لأنفذن خضنيك بنوافذ أشد من القعضبية (الأسنه) فاياك والتهجم على ، فانى من قد عرفت ، لست بضعيف الغمزة ، ولاهش المشاشة (أى رؤوس العظام) ولا مرىء المأكلة .

« وانى من قريش كواسطة القلادة ، يعرف حسبى ، ولا أدعى لغير أبى ، وأنت من تعلم ويعلم الناس ، تحاكمت فيك رجال قريش ، فغلب عليك جزارها ، الأمهم حسبا ، وأعظمهم لؤما ، فاياك عنى ، فانك رجس ، ونحن أهل بيت الطهارة ، أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا » .

قال فأفحم عمرو وانصرف كئيبا .

مقارنة بين معاوية وعمرو :

دلنى اطلاعى على أن معاوية كان يحسن معاملة السبطين الحسن والحسين ، واذا قدم عليه أحدهما رحب به قائلا : مرحبا وأهلا ، وكان يجلسهما معه على سرير الملك ، وكان يقضى لهما الحاجات ، وكان يتحاشى اغضابهما ، لا بل انه أوصى يزيد ابنه بالامام الحسين وجاء فى وصيته تلك : ... « وان له رحما ماسة ، وحقا عظيما وقرابة من محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فان قدرت عليه

فاصفح عنه ، فانى لو أنى صاحبه عفوت عنه » ، ولعل حسن معاملة معاوية للسبطين هو الذى جعل بعض الرواةيقولون ان الذى تولى سم الامام الحسن هو اليزيد وليس معاوية .

معاوية يتمسح عند موته فى آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم :

جاء فى شرح كتاب زاد المسلم ، قال صاحب العقد الفريد أنه لما ثقل معاوية ويزيد غائب ، أقبل يزيد ، فوجد عثمان بن محمد بن أبى سفيان جالسا ، فأخذ بيده ودخل على معاوية ، وهو يجود بنفسه ، فكلمه يزيد فلم يكلمه فبكى يزيد .

ثم قال معاوية أى بنى ، ان أعظم ما أخاف الله فيه ، ماكنت أصنع بك : يابنى انى خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا مضى لحاجته وتوضأ . أصب الماء على يديه ، فنظر الى قميص لى قد انخرق من عاتقى ، فقال لى ، يامعاوية ألا أكسوك قميصا ؛ قلت بلى ، فكسانى قميصا لم ألبسه الا لبسة واحدة ، وهو عندى ، واجتز (قص شعره) ذات يوم فأخذت جزارة شعره وقلامة أظافره ، فجعلت ذلك فى قارورة .

فاذا مت يابنى فاغسلنى ، ثم اجعل ذلك الشعر والأظفار فى عينى ومنخرى وفمى ، ثم اجعل قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم شعارا من تحت كفنى ، ان نفعنى شىء نفع هذا .

تفاوت الصحابة فى الدرجات :

لاشك أن الصحابة رضوان الله عليهم هم أفضل الأمة المحمدية ، وقد نزلت آيات شتى فى القرآن الكريم تنوه بفضلهم وسبقهم وغفران ذنوبهم ورفع درجاتهم .

الا أنهم رضوان الله عليهم يتفاضلون فى الدرجات عند الله فيما بينهم ، نطق بذلك كتاب الله الكريم ، كما نطقت السنة النبوية المطهرة .

من ذلك مثلا قوله تعالى فى سورة الحديد (وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لايستوى منكم من أنفق من قبل

الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) .

والمراد بالفتح فى قول أكثر المفسرين فتح مكة ، وذهبت قلة الى أنه صلح الحديبية .

وجاء فى تفسير الامام القرطبى كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر ، ونفقتان احداهما أفضل من الأخرى . كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك ، لأن حاجة الناس قبل الفتح كانت أكثر لضعف الاسلام ، والانفاق حينئذ كان على المنفقين أشق ، والأجر على قدر النصب .

قال ، والآية نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ، وفيها دليل واضح على تفضيله وتقديمه ، لأنه أول من أسلم (من الرجال) ، وأول من أنفق على النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم قال ، وقد وعد الله الجميع الجنة ، مع تفاوت الدرجات ، كما أن المهاجرين مفضلون على الأنصار ، وقد بين ذلك بجلاء سيدنا أبو بكر فى اجتماع السقيفة فقال للأنصار ، وقدمنا فى القرآن عليكم نحن الأمراءوأنتم الوزراء .

وأقول ، ولا شك أن الامام عليا بسبقه الى الاسلام صبيا دون الحلم ، وبقتاله الرائع قبل الفتح من أصحاب الدرجات العليا بنص الآية المتقدمة ، كيف لا وقد قال فيه أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : لولا سيفه ما قام عمود الاسلام .

اجتهاد الصحابة :

انى أومن باجتهاد الصحابة فى تصرفاتهم ، كما أومن أنهم عدول ، ولا يشذ منهم عن هذه القاعدة فى رأيى ، الا من خالط تصرفاته هواه الشخصى الذى يخرجه عن سواء السبيل .

فاذا قست كلا من معاوية وعمرو بن العاص بهذا المقياس ، لا أقول باجتهاد أى منهما ، فقد كان معاوية فى خصومته للامام على ، كرم اللهوجهه

ينشد ملكا ، يتشبه فيه بكسرى وقيصر ، حيث كان أهل السابقة فى الدين يريدون خلافة الراشدين .

وحين أطفأ نيران الفتنة الامام الحسن عليه السلام بتنازله عن الخلافة ، لم يقف الهوى بمعاوية عند ملكه هو بل غلبه الهوى ، وحب ابنه ، وتأسيس الملك فى بيته ، فأكره المهاجرين والانصار على بيعة ابنه برهبة السيف ، وترتبت على تلك البيعة المشؤومة الحوادث التى غرست الحزن الدائم فى قلوب المسلمين ، كما كانت السبب المباشر فى الخلاف القائم فيهم الى اليوم ، حتى فى الآراء الدينية ، حيث جرت الخلافات السياسية الى الخلافات المذهبية ، وهى حالة تسوء ولا تسر ، وقد تأصلت فى المسلمين علة الخلاف فاستعصت على علاج المصلحين ويا أسفاه .

وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسرى أهل بدر ، فأشار سيدنا أبو بكر وجماعة معه بأخذ الفدية ، وأشار سيدنا عمر بضرب رقابهم اذ لاهوادة فى الدين ، وحيث لم يكن قد نزل وحى ، فقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأى الأغلبية وقبل الفدية .

ولما نزل قوله تعالى (ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) تحرج الصحابة من الأكل من مال الفدية ، فأزال الله عنهم الحرج وأحل لهم الغنيمة فقال (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) فأقرهم على اجتهادهم ، لأنهم وان أخطأوا الرأى الصائب لكنهم أخطأوا باجتهاد جماعى ، لم يغلبهم فيه هوى فردى لنفع شخصى بل أرادوا أن يأخذوا الفدية ليستعينوا بها فى المصلحة العامة ومواجهة أعدائهم الكافرين ، وقد وضح ذلك سيدنا أبو بكر فى رأيه .

ومن الواضح أن معاوية لابسه هوى الملك لنفسه وتعداه الى ابنه وأعقابه ، فخرج على ولى الأمر أولا بغيرحق ، ثم خرج عن أصل الشورى الذى كان يطلبه الى الامام على ، ثم الذى شرطه عليه فى شروط الصلح الامام الحسن بن على ، وهو النهج الأقوى الذى سارت عليه سنة أسلافنا الأولين الصالحين .

وعمرو بن العاص ، اشترط على معاوية فى مؤازرته أن يعطيه خراج مصر بأكمله ان تم له الظفر على الامام على ، فكانت المصلحة الخاصة ، دافعة له ، فى مواقفه العدائية ، لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وياحبذا لو لم يزل به الهوى هذه الزلة ، وهو فاتح الشام ومصر .

وما أصدق ما قال معاوية فى شجاعة أدبية ، أما أبو بكر فلم ترده الدنيا ولم يردها ، وأما عمر فقد أرادته الدنيا فلم يردها ، وأما نحن فقد تقلبنا فيها ظهرا لبطن .

مقارنة بين موقف الامامين الحسن والحسين عليهما السلام :

سلم الامام الحسن الأمر لمعاوية ، ولم يفعل الامام الحسين فعله مع يزيد ، ولعل اختلاف الموقفين يثير شكوكا فى افهام بعض الناس ، والمنصف المتأمل يرى أن كلا منهما كان مجتهدا فى رأيه ، ومحقا فى موقفه.

أما عذر الامام الحسن فى التنازل فقد بان للقارىء المتأمل فى الحوادث التى جرت ، فان أنصار معاوية كانوا من أهل الدنيا ، تلعب الأموال بأهوائهم ، وقد عرف معاوية علتهم فنثر عليهم الذهب والفضة نثرا ، فوجدوا فى يدى معاوية مايشتهون .

وكان معاوية صالحا لأهل الدنيا ، وكان أهل الدنيا صالحين لمعاوية ، وقد مر عليك ما قاله عمرو بن العاص ، لا يصلح لهذا الأمر الا رجل له ضرسان يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر ، وما قاله معاوية : لأستميلن بالدنيا ثقاة على ، ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياى آخرته ، فلم يكن فى أهل العراق أحد فى قلبه مرض الا طمع فى معاوية .

أما أنصار الامام الحسن ، فهم أنصار أبيه ، وقد وصفهم أبوه فقال أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، وقليل منهم من كان معه قلبا وقالبا .

وقد طلب الامام الحسن خلافة الراشدين ، وخاف الله كأبيه فى أموال المسلمين ، فلم ينثر على جنوده الأموال نثرا ، بل أراد أن يقاتل

الناس معه انتصارا للحق وطلبا للآخرة ، فلم يتحمس لذلك منهم الا أهل الصدق والوفاء والدين ، وقليل ما هم .

ولقد خذله في موقف الجد ، كما رأيت ، ابن عمه عبيد الله بن عباس والتمسه الناس ليصلى بهم الصبح فوجدوه فى عسكر معاوية ، فلا ردعه دينه وورعه ، ولا ردعته عصبيته لبنى هاشم ، فلم يبق الى جوار خليفة الحق وابن عمه أمير المؤمنين الحسن عليه السلام وغلبت دنياه على دينه ، وخمدت حمية العصبية فكان منه ذلك الموقف المخزى ، وقد ذهب المال الذى أغراه وبقى لاصقا به عار الموقف .

وقد رأينا للحق أنصارا أوفياء فى صف الامام الحسن ، لكننا رأيناه فى قلة من أمثال قيس بن سعد ، وعدى بن حاتم ، وقيس بن سعيد ، لكن معاوية كان معه عشرات الألوف ، يأتمرون بأمره ، وينتهون بنهيه .

لذلك لم يكن عجيبا ما علمته من أن جند الامام الحسن اعتدوا عليه، ونهبوا عسكره ، وشتموه على مسمع الناس فى سفاهة الحمقى ، الذين لايكادون يفقهون قولا .

أما الامام الحسين ، فقد عرفت أنه كان يعارض أخاه فى الصلح مع معاوية ، وحين أصر أخوه رضخ لرأيه على كره منه ، وقد زاد الشيعة معارضة بعد موت الامام الحسن ، وشجعتهم معارضة الامام الحسين لسياسة معاوية ، كما شجعتهم قسوة ولاة معاوية فى معاملتهم ، وخاصة ما كان منها على يد زياد وابنه عبيد الله .

وآلت الخلافة لمعاوية ، عن رضا من الامام الحسن ، لكن يزيد آلت اليه الخلافة عن معارضة من الامام الحسين وسائر أبناء المهاجرين ، لكن معاوية حمل الناس على البيعة بقوة السلطان ورهبة السيف .

وكان الصراع ، كما يقول العلامة العقاد ، بين الحسين ويزيد أول تجربة من قبيلها بعد عهد النبوة ، وعهد الخلفاء الأولين ، قد بذل فيها الحسين روحه ، وطبيعة الشهادة موكلة ببذل الحياة لما هو أدوم من الحياة فهو أبو الشهداء ، وينبوع شهادة متعاقبة ، لايقرن بها ينبوع فى تاريخ البشر أجمعين .

اجتهاد كل من الامامين الحسن والحسين عليهما السلام :

ويرى ابن أبى حديد أن كلا من الامامين الحسن والحسين ، عليهما السلام ، كان مجتهدا فيما رآه ، فسلم الامام الحسن الأمر الى معاوية ؛ ونازع الامام الحسين اليزيد فى الخلافة وعمل كل فى موقفه بموجب اجتهاده ، وما غلب على ظنونهما من المصلحة .

وقد كان تمكن الامام الحسن من المصلحة الحاضرة ، أكثر من تمكن الامام الحسين فى حاله الحاضرة ، لأن جند الحسن كان حوله ومطيفا به ؛ وهم كما روى مائة ألف سيف ، ولم يكن مع الامام الحسين من يحيط به ؛ ويسير بمسيره الى العراق الا دون مائة فارس ، ولكن ظنهما فى عاقبة الأمر ومستقبل الحال كان مختلفا .

فكان الامام الحسن يظن خذلان أصحابه عند اللقاء والحرب ، وكان الامام الحسين يظن نصرة أصحابه عند اللقاء والحرب ، فلذلك أحجم احدهما ، وأقدم الآخر .

ويقول ابن أبى حديد فى موضع آخر ، وقد صح فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما شاور فى أمر أسرى بدر أبا بكر أشار ألا يقتلهم ، وأشار عمر بقتلهم ، فمدحهما رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا.

ويتضح لك شعار الامام الحسين ، حين طلبوا اليه أن يبايع لليزيد ابقاء على حياته واتقاء للموت الذى يلقاه ان لم يبايع فقال لقائد الجيش الذى أرسلوه لقتاله : أبالموت تخوفنى وتمثل :

سأمضى وما بالموت عار على الفتى ... اذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه ... وخالف مثبورا وفارق مجرما
فان عشت لم أندم وان مت لم ألم ... كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

وقال أيضا فى شمم نبوى هاشمى ، لا والله ، لا أعطيهم بيدى اعطاء الذليل ولا اقرار العبيد ، ألا وان الدعى بن الدعى خيرنا بين اثنتين : السلة أو الذلة (والسلة انتزاع الشىء ويقصد البيعة) وهيهات منا الذلة ؛ يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت ، وبطون طهرت ، وأنوف حمية ، ونفوس أبية .

وصية الامام الحسن لأخيه الامام الحسين :

روى ابن عبد البر من وجوه فى كتاب الاستيعاب ، أن الامام الحسن ، لما حضرته الوفاة قال للامام الحسين أخيه :

ياأخى ، ان أباك رحمه الله ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، استشرف لهذا الأمر ، ورجا أن يكون صاحبه فصرفه الله عنه ، ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبابكر الوفاة تشوف لها أيضا ، فصرفت عنه الى عمر ، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين سته هو أحدهم ، فلم يشك أنها لاتعدوه ، فصرفت عنه الى عثمان ، فلما هلك عثمان بويع ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها ، فما صفا له شيء منها .

وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ، فلا أعرفنك ما استخفك أهل الكوفة فأخرجوك .

انى وقد كنت طلبت الى عائشة اذا مت أن تأذن لى ، فأدفن فى بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت نعم ، وانى لا أدرى ، لعلها كان ذلك منها حياء ، فاذا أنامت فاطلب ذلك اليها ، فان طابت نفسها فادفنى فى بيتها ، وما أظن القوم الا سيمنعونك اذا أردت ذلك ، فان فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك وادفنى فى بقيع الغرقد ، فان لى بمن فيه أسوة .

أقول وقد مر عليك مايؤيد صدق فراسة الامام الحسن ، فقد اعترض مروان على دفن الامام الحسن الى جوار جده صلى الله عليه وسلم ، فدفن فى البقيع الى جوار والدته السيدة الزهراء رضى الله عنهما وعن ذويهما .

لماذا خالف الامام الحسين وصية الامام الحسن :

انى شخصيا أعتقد أن الذى اضطر الامام الحسين لمخالفة الوصية التى أوصاه بها أخوه ، حين خرج من مكة الى الكوفة هى الاعتبارات الآتية :

١ — خروج معاوية عن مبدأ الشورى ، وجعله ملك بنى سفيان وراثيا ، يتوارثه الخلف عن السلف ، وهو أمر خطير على الاسلام وأهله .

٢ — بيعة معاوية ليزيد ، وهو تابعى ، مع فسقه المشهور بين الناس وتركه لخيار الصحابة من المهاجرين والأنصار .

٣ — ايفاد الامام الحسين لابن عمه مسلم بن عقيل ، ليستوثق له من حال أهل الكوفة ، وقد أحسن أهل الكوفة استقباله وبايعوا تحت سمعه وبصره لابن عمه الامام الحسين ، وكتب بذلك للامام الحسين ، فخرج من مكة الى الكوفة على بينة من أمره ، لكن أفسد بيعة الامام الحسين تولية عبيد الله بن زياد على الكوفة (مع ولايته على البصرة) فاشترى أهل الكوفة بالمال وأشاع فيهم الرعب ، فغدروا بسلم بن عقيل وتخلوا عنه ومكنوا ابن زياد منه فقتله ، وكان الامام الحسين قد وصل الى مشارف الكوفة ووقع استشهاده مع أهله وصحبه فى كربلاء ، وهوقدر واقع ، والحذر لا ينجى من القدر ، وانا لله وانا اليه راجعون .

وشاء الله ، جلت حكمته ، أن يرتبط باستشهاد الامام الحسين سقوط دولة بنى أمية ، فان استشهاده كان معول هدمها ، وان يرتبط باستشهاده قيام الدولة العباسية فى المشرق ، والفاطمية فى المغرب ، والأموية فى الأندلس (حتى قضى عليها بنو حمود الاشراف الحسنيون) .

ولا تنس أن أهل الرأى نصحوا لسيدنا أبى بكر الصديق بعدم قتال أهل الردة فخالفهم جميعا حيث رأى باجتهاده أن قتالهم واجب وقال أينقص الدين وأنا حى (ولكل وجهة هو موليها) .

وقد حيى الامام الحسين حياة الشهداء ، وباء خصومه بزوال ملكهم بعد ستين سنة من استشهاده ، وهو عمر قصير فى طول الحياة ، وقد نالوا من عدالة الله جزاءهم فأخذوا وقتلوا تقتيلا ، وشربوا على يد المختار بن عبيد الله وأبى العباس السفاح وأعمامه ، مرارة بغيهم ، والآخرة أشد عذابا وأبقى ، وما ربك بظلام للعبيد .

الباب الثالث

المتممـــات

* الموتورون من الامام على
* حول اجتماع النبوة والخلافة
* السنة النبوية ومظاهر الملك
* أهل الكوفة فى وصف الامام الحسن
* وصية امير المؤمنين على لابنه الامام الحسن

اتماما للفائدة ، تتعرض لبعض الوقائع التى يحسن بالقارىء أن يلم بها ، فى مناسبة قراءته لتاريخ الامام الحسن .

بين معاوية وحجر بن عدى واصحابه :

علم القارىء الكريم مما مر عليه أن معـاوية قتل حجـر بن عـدى وأصحابه ، وهاهى بعض التفاصيل :

جاء فى تاريخ الطبرى من حوادث سنة احدى وخمسين مقتل حجر بن عدى الكندى ، وذلك أن معاوية بن أبى سفيان لما ولى المغيرة بن شـعبة الكوفة فى سنة ٤١ ، دعاه وأوصـاه بشتم على وذمه والعيب على أصحابه والاقصاء لهم ، وباطراء شيعة عثمان ، والادناء لهم والاستماع منهم .

فأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية ، سبع سنين وأشهرا ، لايدع ذم على والوقوع فيه ، والدعاء لعثمان ، والتزكية لأصحابه ، والطالبين بدمه.

فكان حجر بن عدى ، اذا سمع ذلك ، قال بل اياكم فذمم الله ولعن ، ثم قام فقال ان الله عز وجل يقول (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) وأنا أشهد أن من تذمون وتعيرون لاحق بالفضل .

ولما هلك المغيرة سنة ٥١ ، جمعت الكوفة والبصرة لزياد بن سمية ، فصعد المنبر ، وذكر عثمان وأصحابه فقرظه ، وذكر قتلته ، ولعنهم ، فقـام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة .

ورجع زياد الى البصرة ، وولى الـكوفة عمر بن الحريث ، فبلغه أن حجرا يجتمع اليه شيعة على ، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه ، فشخص الى الكوفة ، وخطب يوم الجمعة ، وأطال الخطبة وأخر الصلاة ، فقـال حجر بن عدى : الصـلاة ، فمضى فى خطبته ، ثم قال الصلاة ، فمضى فى خطبته فلما خشى حجر فوات الصلاة : ثار اليها وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد صلى بالناس .

وكتب الى معاوية فى أمره فكتب اليه معاوية ، أن شده فى الحديد ثم احمله الى ، فأخذ زياد حجر بن عدى وحبسه ، ثم أرسله الى معاوية فى

الحديد ، فلما دخل عليه ، سلم عليه فقال له معاوية ، والله لا أقيلك ، أخرجوه فاضربوا عنقه .

وجاء فى التاريخ الكبير لابن عساكر ، أن حجر بن عدى الكندى ، من أهل الكوفة ، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان مع الجيش الذى فتح الشام ، وشهد صفين مع على بن أبى طالب وقتل بعذراء من قرى دمشق ومسجد قبره بها معروف .

وقال حجر لأصحابه ، ان قتلنى معاوية ، لا تفكوا قيودى ، وادفنونى بها ، ولا تغسلوا عنى دما ، فانى ألقى معاوية بذلك غدا .

وجمع زياد من أصحاب حجر ثلاثة عشر رجلا فتموا به أربعة عشر ، وأرسلهم مع حجر الى معاوية فقتل منهم سبعة ، فاستفظع أهل الكوفة ذلك استفظاعا شديدا .

وقد قال معاوية ، ما قتلت أحدا الا وأنا أعرف فيم قتلته ماخلا حجرا ، فانى لا أعرف بأى ذنب قتلته .

أقول وهؤلاء ، الذين قتلهم معاوية ، كان الامام الحسن قد أخذ الأمان لهم من معاوية ، وفى ذلك خروج سافر على شروط الصلح .

بين الامام الحسن وحجر بن عدى :

وروى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى ، قال دخل عبيدة بن عمرو الكندى على الحسن عليه السلام ، وكان ضرب على وجهه ضربة ، وهو مع قيس بن سعد بن عباده ، فقال ما الذى أرى بوجهك ، قال أصابنى مع قيس .

فالتفت حجر بن عدى الى الامام الحسن فقال لوددت أنك كنت من قبل هذا اليوم ، ولم يكن ما كان ، انما رجعنا راغمين بما كرهنا ، ورجعوا مسرورين بما أحبوا .

فتغير وجه الامام الحسن ، وغمز الحسين عليه السلام حجرا فسكت فقال الامام الحسن عليه السلام ، ياحجر ليس كل الناس يحب ماتحب ، ولا رأيه كرأيك ، وما فعلت ما فعلت الا ابقاء عليك ، والله كل يوم فى شأن .

توبة طلحة والزبير وام المؤمنين عائشة :

أجمع العلماء على توبة طلحة والزبير وأم المؤمنين سيدتنا عائشة من موقفهم فى واقعة الجمل ، فعليهم رضوان الله .

أما الزبير فقد انسحب من المعركة كما علمت ، وقال لأمير المؤمنين على حين ذكره بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد أذكرتنى ما أنسانيه الدهر ، ولو ذكرت ذلك ماخرجت .

وأما طلحة ، فقد رأى وهو يجود بنفسه ، رجلا الى جواره ، فقال من أى الفريقين أنت قال من فريق أمير المؤمنين على ، فقال أبلغه أنى مبايعه ، ولما بلغ ذلك أمير المؤمنين ، قال أبى الله أن يدخل طلحة الجنة الا وبيعتى فى عنقه ، وقد حزن لقتله أمير المؤمنين عليه السلام ورثاه كما سلف القول .

أما سيدتنا عائشة ، فقد قالت لأمير المؤمنين على عليه السلام ، ياابن أبى طالب ملكت فاسجح ، فقال لها غفر الله لك قالت وغفر لك ، وودت لو أنها ماتت قبل يوم الجمل بعشرين عاما ، وكانت تبكى وتقول وقرن فى بيوتكن ، كما أنها وهى خارجة من البصرة قالت للناس : أيها الناس لم يكن بينى وبين على فى القديم الامايكون بين المرأة وأحمائها (أهل الزوج) وقد سئلت رضى الله عنها أى الناس أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت فاطمة ، فقيل من الرجال ، قالت زوجها ، ان كان ما علمت قواما صراما .

وفى هذه المناسبة ، أذكر أن عبد الله بن الزبير وكان من قادة معركة الجمل ، كان يتردد على مجلس الامام الحسين ويسمع منه .

وكانت السيدة أم اسحق بنت طلحة زوجة للامام الحسن ، فلما حانت وفاته أوصى أخاه الامام الحسين ألا تخرج من بيوتهم ، وان يتزوجها الامام الحسين بعد انقضاء عدتها ، وفعل بالوصية ، وقد أعقب منها ، السيدة فاطمة (النبوية) التى تزوجت من ابن عمها الحسن بن الحسن، وهى أم عبد الله الذى مر عليك ما كان بينه وبين المنصور .

الموتورون من الامام علي عليه السلام :

جاء في أخبار صفين ، فيما نقله بسنده ابن أبى حديد عن محمد بن اسحق ما خلاصته :

اجتمع عند معاوية فى بعض ليالى صفين ، عمرو بن العاص وعتبة بن أبى سفيان ، والوليد بن عقبة ، ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامـر ، وابن طلحة الطلحات .

فقال عتبة ، ان أمرنا وأمر على بن أبى طالب لعجب ، ما فيناالا موتور مجتاح .

أما أنا فقتل جـدى عتبة بن ربيعة ، وأخى حنظلة وشرك فى دم عمى شيبة يوم بدر ، أما أنت ياوليد فقتل أباك صبرا ، وأما أنت ياابن عامـر مصرع أباك وسلب عمك ، وأما أنت يابن طلحة فقتل أباك يوم الجمل (مع أن مروان هو الذى قتله واعترف بقتله) وأيتم اخوتك ، وأما أنت يامروان فقد أفلت .

قال معاوية ، هذا الاقرار ، فاين الغير ، قال مروان ، وأى غير تريد ، قال أريد أن تشجروه بالرماح ، قال والله يا معاوية ، ما أراك الا هاذيا أو هازئا .

فقال ابن عقبة شعرا ، عرض فيه بعمرو بن العاص ، حين نالمنه أمامنا على مقتلا فى صفين ، فالقى عمرو بنفسه عن فرسه ، واستلقى وكشفعورته فأدار امامنا على وجهه ، وتركه ولم يقتله ، وكان عمـرو يعير بها فى الناس وجاء فيما قاله ابن عقبة :

يقول لنـا معـاوية بن حرب	أما فيـكم لواتـركم طلـوب
يشـد على أبى حسـن على	باسـمر لاتهجنـه الـكعوب
فقـلت له أتلعب يا ابـن هنـد	كأنك بيننـا رجـل غـريب
أتغرينـا بحيـة بطـن واد	اذا نهشـت فليس لهـا طبيـب
وما ضـبع يـدب ببطـن واد	أتيـح له بـه أسـد مهيب
بأضـعف حيـلة منـا اذا مـا	لقينـاه ولقيـاه عجيـب
سـوى عمرو وقتـه خصـيتاه	وكان لقلبـه منـه وجيب

وقال عمرو بن العاص شعرا ، جاءت فيه شهادة صادقة فى امامنا على وخصومه ، ومما قاله :

وعيرنى الوليـــد لقـــاء ليث ... اذا ما شـد هابتـه الأسـود
فأما فى اللقـــاء فـأين منـــه ... معـاوية بـن حـرب والوليـد
فرمهـا منــه يا ابن أبى معيـط ... وأنت الفـارس البطل النجيـد
وأقســم لو سـمعت نـدا على ... لطـار القلب وانتفـخ الوريـد
ولو لا قيتــه شـقت جيـــوب ... عليـك ولطمت فيـك الخـدود

بين عمرو ومعاوية فى خلافته :

وروى ابن أبى حديد بسنده عن الواقدى قال :

قال معاوية يوما بعد استقرار الخلافة له ، لعمرو بن العاص ، يا أبا عبد الله ، لا أراك الا ويغلبنى الضحك ، قال بمـاذا قال اذكر يوم حمل عليك ، أبو تراب (كنية الامام على) فى صفين ، فازريت نفسك فرقا من شبا سنانه ، وكشفت سوأتك له .

فقال عمرو ، وأنا منك أشد ضحكا ، انى لأذكر يوم دعاك الى البراز فانتفخ ســحرك ، وربا لســانك فى فمك ، وغصصت بريقك ، وارتعدت فرائصك وبدا منك ما أكره ذكره لك .

فقال معـاوية ، لم يـكن هـذا كله ، وكيف يـكون ، ودونى عك والأشعريون ، قال : انك تعلم ان الذى وصفت دون ما أصابك ، وقد نزل ذلك بك ، ودونك عك والأشـعريون ، فكيف كان حالك ، لو جمعـكما مأقط الحرب (موضع القتال) .

فقال معاوية ، يا أبا عبد الله خض بنا الهزل الى الجـد ، ان الجبن والفرار من على ، لا عار على أحد فيهما .

امير المؤمنين عمر وولاته :

وروى بن أبى حديد بسنده أن حذيفة قال لأمير المؤمنين عمـر رضى الله عنه : انك تستعين بالرجل الذى فيه ، وبعضهم يرويه بالرجل الفاجر ،

فقال استعمله لأستعين بقوته ، ثم أكون على قفائه (أى أتتبع أمره وأستقصى عمله) .

وقد فسر أمير المؤمنين عمر عليه السلام ، السبب فى تركه بنى هاشم وعدم استعمالهم فى الولاية ، فقال لا أدنس هؤلاء بالعمل .

ومعروف أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، كان شديد المحاسبه لعماله وولاته ، وكانت له هيبة فيهم وفى الرعية كلها ، حتى قالوا : كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج .

ولقد كتب أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، لعمرو بن العاص وهو واليه على مصر :

انكم معشر الأمراء ، أكلتم الأموال ، وأخلدتم الى الأعذار ، فانما تأكلون النار ، وتورثون العار ، وقد وجهت اليك محمد بن مسلمه ليشاطرك على ما فى يديك (أى يصادر نصف مالك) .

شهادة الامام على فى امير المؤمنين عمر :

وحين جيء الى أمير المؤمنين عمر بجواهر كسرى ، ورآها قال مادحا لأعوانه ، ان قوما أدوا هذا لأمناء .

فقال له امامنا على : يا أمير المؤمنين : عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا.
كما قال امامنا على مزكيا أمير المؤمنين عمر عند موته : ما أحد أحب الى أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى .

امير المؤمنين عمر يتزوج اخت الامامين الحسن والحسين :

روى ابن أبى حديد بسنده عن الزبير بن بكار قال : خطب عمر أم كلثوم بنت على عليه السلام ، فقال له انها صغيرة ، فقال زوجنيها يا أبا الحسن ، فانى أرصد من كرامتها مالا يرصده أحد .

فقال ، أنا أبعثها اليك ، فان رضيتها زوجتكها فبعثها اليه ببرد ، وقال لها قولى هذا البرد الذى ذكرته لك ، فقالت له ذلك فقال ، قولى له قد رضيته رضى الله عنك .

ووضع أمير المؤمنين يده على ساقها ، فقالت له ، أتفعل هذا ، لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ، ثم جاءت أباها فأخبرته الخبر ، وقالت بعثتنى الى شيخ سوء ، قال مهلا يابنيه ، انه زوجك .

فجاء عمر الى مجلس المهاجرين فى الروضة ، وكان يجلس فيها المهاجرون الأولون ، فقال رفئونى (أى هنئونى من قولهم بالرفاء والبنين).

قالوا بماذا يا أمير المؤمنين ، قال تزوجت أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى وصهرى) .

وأنت ترى من ذلك أن أمير المؤمنين عمر ، رضى الله عنه ، أراد أن يجمع الى مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (حيث كانت السيدة حفصة بنت عمر من أزواجه صلى الله عليه وسلم) النسب الكريم الذى يربطه بذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون له شرفان ، شرف من الصهر ، وشرف من النسب ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

حول اجتماع النبوة والخلافة :

أنت قرأت ما جاء فى وصية الامام الحسن لأخيه الامام الحسين عليهما السلام من قوله :

« وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ، فلا أعرفنك ما استخفك أهل الكوفة فأخرجوك » .

وقد يسيء ، البعض فهم هذا الكلام ، فيظن أنه لايجوز أن تجتمع النبوة والخلافة فى بنى هاشم ، فان وقع للبعض هذا الفهم كان بعيدا من الصواب ، ذلك بأن الله جمع لسيدنا داود عليه السلام النبوة والخلافة ، وكذلك جمعهما لسيدنا سليمان عليه السلام ، وقال تعالى فى آل ابراهيم عليهم السلام (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) .

وقد أدخل سيدنا عمر الامام عليا فى الستة من أهل الشورى ، فلو كان يرى ذلك الفهم ما أدخله فيهم ، كما أن فضلاء المهاجرين والأنصار وأهل بدر بايعوا للامام على بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان .

وواضح من ذلك أن الامام الحسن ، رأى بنور الله واستنتاجا من معاكسات الظروف السياسية ، أن الله يريد أن يطهر آل البيت من حكم مجتمع أفسدته الدنيا ، فلم يكونوا أهلا لخلافة الراشدين ، ولو كان الامام الحسن يذهب لعدم الجواز ، ما أقر بيعة أبيه ولا تولى الخلافة بعده نحو سبعة أشهر ، كما أن امامنا عليا ما كان يقبل الخلافة لو كان يعتقد أنه لا يجوز أن تجتمع لبنى هاشم الخلافة مع النبوة .

وقد صحت فراسة الامام الحسن ، فقد خذل أهل العراق الامام الحسين ، كما خذلوا أباه وأخاه من قبله ، وقد تبين أهل العراق الرشد من الغى بعد حين ، فندموا حيث لاينفع الندم ، وبكوا أمير المؤمنين عليا وبنيه الى الأبد ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وكم لله من لطف خفى يدق خفاه عن فهم الذكى

السنة النبوية ومظاهر الملك :

جاء فى كتاب عبد الله بن الزبير للدكتور على حسنى الخربوطلى أن أهل المدينة كانوا يتمسكون بالسنة النبوية ، ولذا لم يرضوا بصبغ الدولة الأموية بصبغة دنيوية زمنية ، واقتباس بعض النظم الرومانية .

واستفاد ابن الزبير من مظاهر الملك التى صبغت الدولة الأموية ، وكان معاوية أول من أقام الحرس ، والشرطة والبوابين فى الاسلام ، وأرخى الستور ، واستكتب النصارى ، ومشى بين يديه بالحراب ، وأخذ الزكاة من الأعطية ، وجلس على السرير والناس تحته ، وجعل ديوان الخاتم ، وبنى وشيد البناء ، وسخر الناس فى البناء ، وكان معاوية يقول انا أول الملوك .

أقول وصدق العلامة العقاد حين قال فى كتابه « عبقرية الامام » :

لم يكن معاوية زاهدا فى الخلافة فىعهد أبى بكر أو عمر أو عثمان، ولكن الخلافة كانت زاهدة فيه ، وقديما قال أبوه للعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى جيش المسلمين فى فتح مكة : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما .

اهل الكوفة فى وصف الامام الحسن :

جعل الناس يبكون عند خروج الامام الحسن من الكوفة ، فقيل له عليه السلام ، ما حملك على مافعلت ، فقال : كرهت الدنيا ، ورأيت أهل الكوفة قوما لايثق بهم أحد أبدا الا غلب ، ليس منهم أحد يوافق آخر فى رأى ولا هوى ، مختلفين . لانية لهم فى خير ولا شر ، لقد لقى أبى منهم أمورا عظاما ، فليت شعرى لمن يصلحون بعدى ، وهى أسرع البلاد خرابا

تمثيلية لبيعة يزيد فىحياة الامام الحسن :

علمت مما تقدم أن الذى ألقى الى معاوية فكرة البيعة ليزيد هو المغيرة بن شعبة ، وأراد بذلك أن يثبته معاوية فى ولاية الكوفة ، وكان هم بعزله وتولية سعيد بن العاص مكانه .

وطبعا صادفت فكرة المغيرة هوى فى نفس معاوية ، فلما اجتمعت وفود الأمصار فى دمشق ، وكان فيهم الأحنف بن قيس دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهرى فقال له : اذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتى وكلامى ، فاستأذنى القيام ، فاذا أذنت لك ، فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذى يحق له عليك من حسن الثناء عليه ، ثم ادعنى الى توليته من بعدى ، فانى رأيت وأجمعت على توليته ، فأسأل الله فى ذلك وفى غيره حسن القضاء .

وهذا كما ترى املاء ارادة على الضحاك ، وكان صاحب شرطته .

ثم دعا معاوية عبد الرحمن بن عثمان الثقفى ، وعبد الله بن مسعده الفزارى ، وثور بن معن السلمى ، وعبد الله بن عصام الأشعرى ، فأمرهم أن يقوموا اذا فرغ الضحاك وأن يصدقوا قوله ويدعوه الى يزيد .

فلما فرغ معاوية من خطبته ، قاموا فنفذوا أمر معاوية ، ومدحوا يزيد بما ليس فيه .

فقال معاوية : أوكلكم قد أجمع على هذا رأيه .

فقالوا : كلنا قد أجمع رأينا على ما ذكرنا .

قال : فأين الاحنف فاجابه ، قال الا تتكلم فقام الأحنف (أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وكان أحد الحكماء الدهاة ، وشهد صفين مع أمير المؤمنين على) فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

أصلح الله أمير المؤمنين ، ان الناس قد امسكوا فى منكر زمان قد سلف ، ومعروف زمان مؤتنف ، ويزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف .

وقد حلبت الدهر أشطره يا أمير المؤمنين ، فاعرف من تسند اليه الأمر من بعدك ، ثم اعص أمر من يأمرك ، لا يغررك من يشير عليك ولا ينظر لك ، وانت أنظر للجماعة وأعلم باستقامة الطاعة ، مع أن أهل الحجاز أو أهل العراق لا يرضون بهذا ، ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيا.

فغضب الضحاك بن قيس واعترض على كلام الأحنف فقام الأحنف مرة أخرى وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، انا قد فررنا عنك قريشا ، فوجدناك أكرمها زندا ، وأشدها عقدا ، وأوفاها عهدا .

وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة ، ولم تظهر عليها قعصا ، ولكنك أعطيت الحسن بن على من عهود الله ما قد علمت ليكون له الأمر من بعدك ، فان تف فأنت أهل الوفاء ، وان تغدر تعلم .

والله ان وراء الحسن خيولا جيادا ، وأذرعا شدادا ، وسيوفا حدادا ، ان تدن له شبرا من غدر ، تجد وراءه باعا من نصر .

وانك تعلم أن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك ، ولا أبغضوا عليا وحسنا منذ أحبوهما ، وما نزل عليهم فى ذلك خبر من السماء .

وان السيوف التى شهروها عليك مع على يوم صفين لعلى عواتقهم . والقلوب التى أبغضوك بها بين جوانحهم ، وايم الله ان الحسن لأحب الى أهل العراق من على .

فاعترض على كلام الأحنف عبد الله بن عثمان الثقفى ، ونافق معاويه ومدح يزيد بما ليس فيه ، فمن ذلك قوله :

فاذا خار الله لك فاعزم ، ثم اقطع قالة الكلام ، فان يزيد أعظمنا حلما وعلما ، وأوسعنا كنفا ، وخيرنا سلفا ، قد أحكمته التجارب ، وقصدت به سبل المذاهب ، فلا يصرفنك عن بيعته صارف .

ثم هاجم الأحنف وعرض به قائلا : ولا يقفن بك دونها واقف ، ممن هو شاسع عاص ، ينوص للفتنة كل مناص ، لسانه ملتو ، وفى صدره داء دوى ، ان قال فشر قائل ، وان سكت فداء غائل .. الى آخر ما قال . فقام معاوية فقال :

أيها الناس ، انلابليس من الناس اخواناوخلانا ، بهم يستعدى ، واياهم يستعين وعلى ألسنتهم ينطق ، ان رجوا طبعا أوجفوا ، وان استغنى عنهم أرجفوا ، ثم يلحقون الفتن بالفجور ، ويشققون لها حطب النفاق .

عيابون ، مرتابون ، ان لووا عروة أمر حنقوا ، وان دعوا الى غى أسرفـوا ، وليس أولئك بمنتهين ولا بمقلعين ، ولا متعظين ، حتى تصيبهم صـواعق خزى وبيل ، وتحل بهم قـوارع أمر جليل ، تجتث أصـولهم كاجتثاث أصول الفقع ، فأولى لأولئك ثم أولى ، فانا قد قدمنا وأنذرنا . ان أغنى التقدم شيئا أو نفع النذر .

فدعا معاوية الضـحاك فولاه الكوفة ، وترك المغيرة ، ودعا عبـد الرحمن فولاه الجزيرة ثم قام أبو حنيف فقال :

ياأمير المـؤمنين ، انا لانطيق السـنة مضر وخطبهـا ، أنت يا أمير المؤمنين ، فان هلكت فيزيد بعدك ، فمن أبى فهذا ، وسل سيفه .

فقال معاوية : أنت أخطب القوم وأكرمهم . ثم قام الأحنف بن قيس فقال :

أنت أعلمنا بليله ونهاره ، وبسره وعلانيته ، فان كنت تعلم أنه شر لك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة ، فانه ليس لك من الآخرة الا ما طاب .

واعلم أنه لاحجة لك عند الله ان قدمت يزيد على الحسن والحسين ، وأنت تعلم من هما والى ماهما ، وانما علينا أن نقول : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير .

أقول ، وقد علمت ما كان من معاوية مع أهل الحجاز ، وقد عارضه ابناء المهاجرين في مواجهته بكل شجاعة وصراحة ولكن ادعى أنهم بايعوا وحمل الناس برهبة السيف والسلطان على تلك البيعة المشؤومة التى كانت شرا مستطيرا على الاسلام الى اليوم والى ماشاء الله تعالى .

بين الامام علي وابي موسى الأشعري والامام الحسن :

قد يقول القارىء لماذا قال أمير المؤمنين على حين أشاروا عليه أصحابه فى أن يكون الحكم أبا موسى الأشعرى ، انه ليس لى ثقة ، فهذا هو الجواب .

كان أبو موسى أميرا على الكوفة ، وقد سمعه الامام الحسن يثبط أهل الكوفة ، ويصرفهم عن القتال ، وهو عكس ما كان ينتظر منه فى مناصرة أمير المؤمنين ، واليك ماقال أبو موسى لهم :

انها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب .

فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، فأغمدوا السيوف ، وأنصلوا الأسنة (أى انزعوها) واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهدين حتى يلتئم هذا الأمر .

فرد عليه الامام الحسن قائلا :

يا أبا موسى ، لم تثبط الناس عنا ، فو الله ما أردنا الا الاصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء .

ثم خاطب الامام الحسن أهل الكوفة وحثهم على اجابة دعوة أبيه أمير المؤمنين فقال :

يا أيها الناس أجيبوا دعوى أميركم ، وسيروا الى اخوانكم ، فانه سيوجد لهذا الأمر من ينفر اليه ، والله لأن يليه أولو النهى أمثل في العاجلة ، وخير فى العاقبة ، فأجيبوا دعوتنا ، وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم .

وكان لهذا ، الكلام أثره فى النفوس ، ثم قال رضى الله عنه أيها الناس ، انى غاد ، فمن شاء منكم أن يخرج معى على الظهر ومن شاء فليخرج فى الماء .

فخرج معه تسعة آلاف ، أما أبو موسى فأخرجه الناس من قصر الامارة ، واعتزل الامارة بأمر أمير المؤمنين .

وصية امير المؤمنين على لابنه الامام الحسن :

ونختتم المتممات بوصية أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لابنه الامام الحسن ، وليس أمير المؤمنين فى حاجة لتقريظى أو تقريظ غيرى ، فهو غنى فى علمه وبلاغته عن التعريف والتقريظ ، وشمس النهار لا تحتاج الى دليل .

واليك نص الوصية منقولة من شرح نهج البلاغة لابن أبى حديد ، وقد كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه من صفين :

من الوالد الفانى ، المقر للزمان ، المدبر العمر ، المستسلم للدهر ، الذام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، الظاعن عنها غدا .

الى المولود المؤمل مالا يدرك ، السالك سبيل من قد هلك ، غرض الأسقام ، ورهينة الأيام ، ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الأحزان ، ونصب الآفات ، وصريع الشهوات وخليفة الأموات .

أما بعد ، فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عنى ، وجموح الدهر على ، واقبال الآخرة الى ، مايزعنى عن ذكر من سواى ، والاهتمام بما ورائى ، غير أنى حيث تفرد بى دون هموم النـاس هم نفسى ، فصدقنى رأيى وصرفنى عن هواى ، وصرح لى محض أمرى ، فأفضى بى الى جد لايكون فيه لعب ، وصدق لايشوبه كذب ، وجدتك بعضى ، بل وجدتك كلى ، حتى كأن شيئا لو أصابك أصابنى ، فكأن الموت لو أتاك أتانى ، فعنانى من أمرك ما يعنينى من أمر نفسى ، فكتبت اليك كتابى مستظهرا به ، انأنا بقيت لك أو فنيت .

فانى أوصيك بتقوى الله — أى بنى — ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله ، وأى سبب أوثق من سبب بينك وبين الله ، ان أنت أخذت به .

أحى قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوه باليقين ، ونوره بالحكمة ، وذلله بذكر الموت ، وقرره بالفناء ، وبصره فجائع الدنيا ، وحذره صولة الدهر ، وفحش تقلب الليالى والأيام ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين .

وسر فى ديارهم وآثارهم ، فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا وأين حلوا؛ فانك تجدهم انتقلوا عن الأحبة ، وحلوا دار الغربة ، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم .

وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وأنكر المنكر بيدك ولسانك ، وباين من فعله بجهدك ، وجاهد فى الله حق جهاده ، ولا تأخذك فى الله لومة لائم .

وخض الغمرات للحق حيث كان ، وتفقه فى الدين ، وعود نفسك التصبر على المكروه ، ونعم الخلق التصبر فى الحق .

وألجىء نفسك فى أمورك كلها الى الهك ، فانك تلجئها الى كهف حريز ، ومانع عزيز .

وأخلص فى المسألة لربك ، فان بيده العطاء والحرمان ، وأكثر الاستخارة ، وتفهم وصيتى ، ولا تذهبن عنك صفحا ، فان خير القول مانفع. واعلم أنه لاخير فى علم لاينفع ، ولا تنتفع بعلم لايحق تعلمه .

أى بنى ، انى لما رأيتنى قد بلغت سنا ، ورأيتنى أزداد وهنا ، بادرت بوصيتى اليك ، وأوردت خصالا منها قبل أن يعجل بى أجلى دون أنأفضى اليك بما فى نفسى ، أو أن أنقص فى رأيى كما نقصت فى جسمى ، أو يسبقنى اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا ، فتكون كالصعب النفور .

وانما قلب الحدث كالأرض الخالية ، ما ألقى فيها من شىء قبلته . فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ، ويشتغل لبك ، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ماقد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته ، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه ، واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه .

أى بنى انى وان لم أكن عمرت عمر من كان قبلى ، فقد نظرت فى أعمالهم ، وفكرت فى أخبارهم ، وسرت فى آثارهم ، حتى عدت كأحدهم،بل كأنى بما انتهى الى من أمورهم ، قد عمرت مع أولهم الى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمر جليله وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله .

ورأيت حيث عنانى من أمرك ما يعنى الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه من أدبك ، أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ، ومقتبل الدهر ، ذو نية سليمة ، ونفس صافية ، وأن ابتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله ، وشرائع الاسلام وأحكامه ، وحلاله ، وحرامه ، لا أجاوز ذلك بك الى غيره .

ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه ، من أهوائهم وآرائهم ، مثل الذى التبس عليهم ، فكان احكام ذلك على ماكرهت من تنبيهك له ، أحب الى من اسلامك الى أمر لا آمن عليك به الهلكة ، ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك ، وأن يهديك لقصدك ، فعهدت اليك وصيتى هذه .

واعلم يا بنى ، أن أحب ما أنت آخذ به الى من وصيتى تقوى الله ، والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليــه الأولون من آبائك والصالحون من أهل بيتك ، فانهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخر ذلك الى الأخـذ بما عرفوا ، والامساك عما لم يكلفوا ، فان أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم ، لا بتورط الشـبهات ، وعلق الخصومات .

وابدأ قبل نظرك فى ذلك بالاستعانة بالهك والرغبة اليه فى توفيقك ، وترك كل شائبة أولجتك فى شبهة ، أو أسلمتك الى ضلالة ، فان أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همك فى ذلك هما واحدا ، فانظر فيما فسرت لك .

وان أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك ، وفراغ نظرك وفكرك ، فاعلم أنك انما تخبط العشواء ، وتتورط الظلماء ، وليس طالب الدين من خبط أو خلط ، والامساك عن ذلك أمثل ، فتفهم يابنى وصيتى ، واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ، وان الخالق هو المميت ، وأن المغنى هو المعيد ، وأن المبتلى هو المعافى ، وأن الدنيــا لم تكن لتســتقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء فى الميعاد ، أو ما شاء ممــا لاتعلم ، فان أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك ، فانك أول ما خلقت به جــاهلا ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمــر ، ويتحير فيه رأيك ، ويضل فيه بصرك ، ثم تبصره بعد ذلك .

فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسواك ، فليــكن له تعبدك ، واليه رغبتك ، ومنه شفقتك .

واعلم يابنى ، أن أحدا لم ينبىء عن الله سبحانه كمــا أنبأ عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وآله ، فارض به رائدا ، والى النجاة قائدا ، فانى لم آلك نصيحة ، وانك لن تبلغ فى النظر لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظرى لك .

واعلم يابنى ، أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه اله واحد كما وصف نفسه ، لايضاده فى ملكه أحد ، ولا يزول أبدا ولم يزل ، أول قبل الأشياء بلا أولية ، وآخر بعد الأشياء ، بلا نهاية ، عظم أن تثبت ربوبيته باحاطة قلب أو بصر .

فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغى لمثلك أن يفعل فى صغر خطره ، وقلة مقدرته وكثرة عجزه ، وعظيم حاجته الى ربه ، فى طلب طاعته ، والخشية من عقوبته ، والشفقة من سخطه ، فانه لم يأمرك الا بحسن ، ولم ينهك الا عن قبيح .

يابنى انى قد أنبأتك عن الدنيا وحالها ، وزوالها وانتقالها ، وأنبأتك عن الآخرة وما أعد لأهلها ، وضربت لك فيهما الأمثال ، لتعتبر بها وتحذو عليها .

انما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر ، نبا بهم منزل جديب ، فأموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا ، فاحتملوا وعثاء الطريق ، وفراق الصديق ، وخشونة السفر ، وجشوبة المطعم ، ليأتوا سعة دارهم ، ومنزل قرارهم ، فليس يجدون لذلك ألما ، ولا يرون نفقة فيه مغرما ، ولا شىء أحب اليهم مما قربهم الى منزلهم ، وأدناهم الى محلتهم .

ومثل من اغتربها ، كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب ، فنبابهم الى منزل جديب ، فليس شىء أكره اليهم ، ولا أفظع عندهم ، من مفارقة ما كانوا فيه ، الى مايهجمون عليه ، ويصيرون اليه .

يابنى اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لاتحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل مالا تعلم وان قل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك .

واعلم أن الاعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب ، فاسع فى كدحك ، ولا تكن خازنا لغيرك ، وان أنت هديت لقصدك ، فكن أخشع ماتكون لربك .

واعلم أن أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة ، وانه لاغنى بك فيه عن حسن الارتياد ، وقدر بلاغك من الزاد ، مع خفة الظهر ، فلا تحملن فوق ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك ، واذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة ، فيوافقك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه ، وحمله اياه ، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه ، فلعلك تطلبه فلا تجده .

واغتنم من استقرضك فى حال غناك ، ليجعل قضاءه لك فى يوم عسرتك .

واعلم أن أمامك عقبة كؤودا ، المخف فيها أحسن حالا من المثقل ، والمبطىء عليها أقبح حالا من المسرع ، وأن مهبطك بها لا محالة ، اما على جنة أو على نار ، فارتد لنفسك قبل نزولك ، ووطىء المنزل قبل حلولك ، فليس بعد الموت مستعتب ، ولا الى الدنيا منصرف .

واعلم أن الذى بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك فى الدعاء ، وتكفل لك بالاجابة ، وأمرك أن تسأله ليعطيك ، وتسترحمه ليرحمك ، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ، ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه ، ولم يمنعك ان أسأت من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ، ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ، ولم يشدد عليك فى قبول الانابة ، ولم يناقشك بالجريمة ، ولم يؤيسك من الرحمة ، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة ، وحسب حسنتك عشرا .

وفتح لك باب المتاب ، وباب الاستعتاب ، فاذا ناديته سمع نداك ، وناجيته علم نجواك ، فأفضيت اليه بحاجتك ، وأبثثته ذات نفسك ، وشكوت اليه همومك ، واستكشفته كروبك ، واستعنته على أمورك ، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره ، من زيادة الأعمار وصحة الأبدان ، وسعة الأرزاق .

ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه ، بما أذن لك فيه من مسألته ، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته ، واستطردت شآبيب رحمته ، فلا يقنطنك ابطاء اجابته ، فان العطية على قدر النية ، وربما أخرت عنك الاجابة ، ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، وأجزل لعطاء الآمل .

وربما سألت الشيء فلا تؤتاه ، وأوتيت خيرا منه عاجلا أو آجلا ، أو صرف عنك لما هو خير لك ، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته ، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ، وينفى عنك وباله ، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له .

واعلم يابنى أنك خلقت للآخرة لا للدنيا ، وللفناء لا للبقاء ، وللموت لا للحياة ، وأنك في منزل قلعة ، ودار بلغة ، وطريق الى الآخرة ، وانك طريد الموت الذى لا ينجو منه هاربه ، ولا يفوته طالبه ، ولابد أنه مدركه فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك ، فاذا أنت أهلكت نفسك .

يابنى أكثر من ذكر الموت ، وذكر ما تهجم عليه ، وتفضى بعد الموت اليه ، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك ، وشددت له أزرك ، ولا يأتيك بغتة فيبهرك .

واياك أن تغتر بما ترى من اخلاد أهل الدنيا اليها ، وتكالبهم عليها ؛ فقد نبأك الله عنها ، ونعتت هى لك نفسها ، وتكشفت لك عن مساويها ، فانما أهلها كلاب عاوية ، وسباع ضارية ، يهر بعضها على بعض ، ويأكل عزيزها ذليلها ، ويقهر كبيرها صغيرها ، نعم معقله ، وأخرى مهملة ، قد أضلت عقولها ، وركبت مجهولها ، سروح عاهة بواد وعث ، ليس لها راع يقيمها ، ولا مسيم يسيمها .

سلكت بهم الدنيا سبيل العمى ، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى ؛ فتاهوا في حيرتها ، وغرقوا فى نعمتها ، واتخذوها ربا فلعبت بهم ، ولعبوا بها ، ونسوا ما وراءها ، رويدا يسفر الظلام ، كأن قد وردت الأظعان ، يوشك من أسرع أن يلحق .

واعلم يابنى أن من كانت مطيته الليل والنهار ، فانه يسار به وان كان واقفا ، ويقطع المسافة وان كان مقيما وادعا .

واعلم يقينا أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك ، وأنك فى سبيل من كان قبلك .

فخفض فى الطلب ، وأجمل فى المكتسب ، فانه رب طلب قد جر الى حرب ، وليس كل طالب بمرزوق ، ولا كل مجمل بمحروم .

وأكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب ، فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ، ولا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حرا ، وما خير لا ينال الا بشر ، ويسر لا ينال الا بعسر .

واياك أن توجف بك مطايا الطمع ، فتوردك مناهل الهلكة ، وان استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فانك مدرك قسمك ، وآخذ سهمك ، وان اليسير من الله سبحانه ، أعظم وأكرم من الكثير من خلقه ، وان كان كل منه .

وتلافيك ما فرط من صمتك ، أيسر من ادراكك ما فات من منطقك ، وحفظ ما فى الوعاء بشد الوكاء ، وحفظ ما فى يديك أحب الى من طلب ما فى يدى غيرك ، ومرارة اليأس ، خير من الطلب الى الناس ، والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء أحفظ لسره ، ورب ساع فيما يضره ، من أكثر أهجر ، ومن تفكر أبصر .

قارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن عنهم ، بئس الطعام الحرام ، وظلم الضعيف أفحش الظلم ، اذا كان الرفق خرقا ، كان الخرق رفقا ، ربما كان الدواء داء ، والداء دواء ، وربما نصح غير الناصح ، وغش المستنصح .

واياك والاتكال على المنى ، فانها بضائع النوكى ، والعقل حفظ التجارب ، وخير ما جربت ما وعظك .

بادر الفرصة قبل ان تكون غصة ، ليس كل طالب يصيب ، ولا كل غائب يئوب ، ومن الفساد اضاعة الزاد ، ومفسدة المعاد ، ولكل أمر عاقبة ، سوف ياتيك ما قدر لك ، التاجر مخاطر ، ورب يسير أنمى من كثير .

لا خير في معين مهين ، ولا فى صديق ظنين ، ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ، ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه ، واياك أن تجمح بك مطية اللجاج .

احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة ، وعند صدوده على اللطف والمقاربة ، وعند جموده على البذل ، وعند تباعده على الدنو ، وعند شدته على اللين ، وعند جرمه على العذر ، حتى كأنك له عبد ، وكأنه ذو نعمة عليك ، واياك ان تضع ذلك فى غير موضعه ، او ان تفعله بغير أهله .

لا تتخذن عدو صديقك صديقا ، فتعادى صديقك ، وامحض اخاك النصيحة ، حسنة كانت أو قبيحة ، وتجرع الغيظ ، فانى لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ، ولا ألذ مغبة .

ولن لمن غالظك ، فانه يوشك أن يلين لك ، وخذ على عدوك بالفضل فانه أحد الظفرين ، وان أردت قطيعة اخيك ، فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ، ان بدا له ذلك يوما ما .

ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ، ولا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه ، فانه ليس لك بأخ من أضعت حقه .

ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ، ولا ترغبن فيمن زهد عنك ، ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ، ولا تكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ، ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك ، فانه يسعى فى مضرته ونفعك ، وليس جزاء من سرك ان تسوءه .

واعلم يابنى أن الرزق رزقان ، رزق تطلبه ورزق يطلبك ، فان أنت لم تأته اتاك .

ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى ، انما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، وان كنت جازعا على ما تفلت من يديك ، فاجزع على كل ما لم يصل اليك .

استدل على مالم يكن بما قد كان ، فان الأمور أشباه ، ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة ، الا اذا بالغت فى ايلامه ، فان العاقل يتعظ بالآداب ، والبهائم لا تتعظ الا بالضرب .

اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين .

من ترك القصد جار ، والصاحب مناسب ، والصديق من صدق غيبه ، والهوى شريك العمى ، ورب بعيد أقرب من قريب ، وقريب أبعد من بعيد ، والغريب من لم يكن له حبيب .

من تعدى الحق ضاق مذهبه ، ومن اقتصر على قدره كان أبقى له ، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه ، ومن لم يبالك فهو عدوك .

قد يكون اليأس ادراكا ، اذا كان الطمع هلاكا ، ليس كل عورة تظهر ، ولا كل فرصة تصاب ، وربما اخطأ البصير قصده ، وأصاب الاعمى رشده .

أخر الشر ، فانك اذا شئت تعجلته ، وقطيعة الجاهل ، تعدل صلة العاقل .

من أمن الزمان خانه ، ومن أعظمه أهانه .

ليس كل من رمى أصاب .

اذا تغير السلطان ، تغير الزمان .

سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار .

اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكا ، وان حكيت ذلك عن غيرك ، واياك ومشاورة النساء ، فان رأيهن الى أفن ، وعزمهن الى وهن اكفف عليهن من أبصارهن بحجابك اياهن ، فان شدة الحجاب أبقى

عليهن ، وليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن ، وان استطعت الا يعرفن غيرك فافعل .

ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فان المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة ، ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها فى ان تشفع لغيرها .

واياك والتغاير فى غير موضع غيرة ، فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم ، والبريئة الى الريب .

واجعل لكل انسان من خدمك عملا تأخذه به ، فانه أحرى ألايتواكلوا فى خدمتك .

وأكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير ، وأصلك الذى اليه تصير ، ويدك التى بها تصول .

استودع الله دينك ودنياك ، واسأله خير القضاء لك فى العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة والسلام .

وتلك الوصية هى مسك الختام .

(وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

الفهـــرس

مراجع الكتاب

القرآن الكريم ... ...

كتب السنة ... ...

تفسير القرطبى . . . . للامام القرطبى

تفسير الألوسى .. .. للامام الالوسى

تاريخ الأمم ... . لابن جرير الطبرى

مقاتل الطالبيين ... . لأبى الفرج الأصفهانى

الكامل . . .. لابن الأثير

مطالب السؤول ... . لابن ابى طلحة القرشى

الأغانى . . .. لأبى الفرج الأصفهانى

شرح نهج البلاغه .. .. لابن ابى حديد

الاصابه . . . . لابن حجر

الاستيعاب . ... لابن عبد البر

مروج الذهب . ... للمسعودى

الامامة والسياسة ... ... لابن قتيبة

الطبقات الكبرى . . .. للامام الشعرانى

عبقرية الامام ... . للعقـاد

عثمان ذو النورين ... ... للعقـاد

الفتنه الكبرى ... ... لعميد الأدب العربى

على وبنوه ... ... لعميد الأدب العربى

الامام زين العابدين ... ... للشيخ احمد فهمى

كريمة الدارين .. .. للشيخ احمد فهمى

العقيلة الطاهرة ... ... للشيخ احمد فهمى

الحسن والحسين ... ... للأستاذ محمد رضا

آل بيت رسول الله .. . . للاستاذين كامل البنا وتوفيق عريه

الحسين . . .. للمستشار على الحسينى

نور الحى القيوم ... ... للأستاذ أحمد عبد المنعم الحلوانى

السمو الروحى . . .. للأستاذ أحمد عبد المنعم الحلوانى

عبد الله بن الزبير ... ... للدكتور حسنى الخربوطلى

فلسفة اقبال ... ... للاستاذين الصاوى شعلان ومحمد الأعظمى

تاريخ الأمم الاسلامية ... ... للشيخ الخضرى

دائرة المعارف الاسلامية ... ...

مجلة منبر الاسلام ... ...

فاطمة الزهراء ... ... للأستاذ عطية خميس المحامى

نور الأبصار ... ... للشيخ الشبلنجى

شرح ورد سحر ... ... للعارف عمر الشبراوى

الامام الحسين بن على ... ... المؤلف